458

HARLEQUIN

روايات أحلام

صباح الجراح

كاتي وليامز

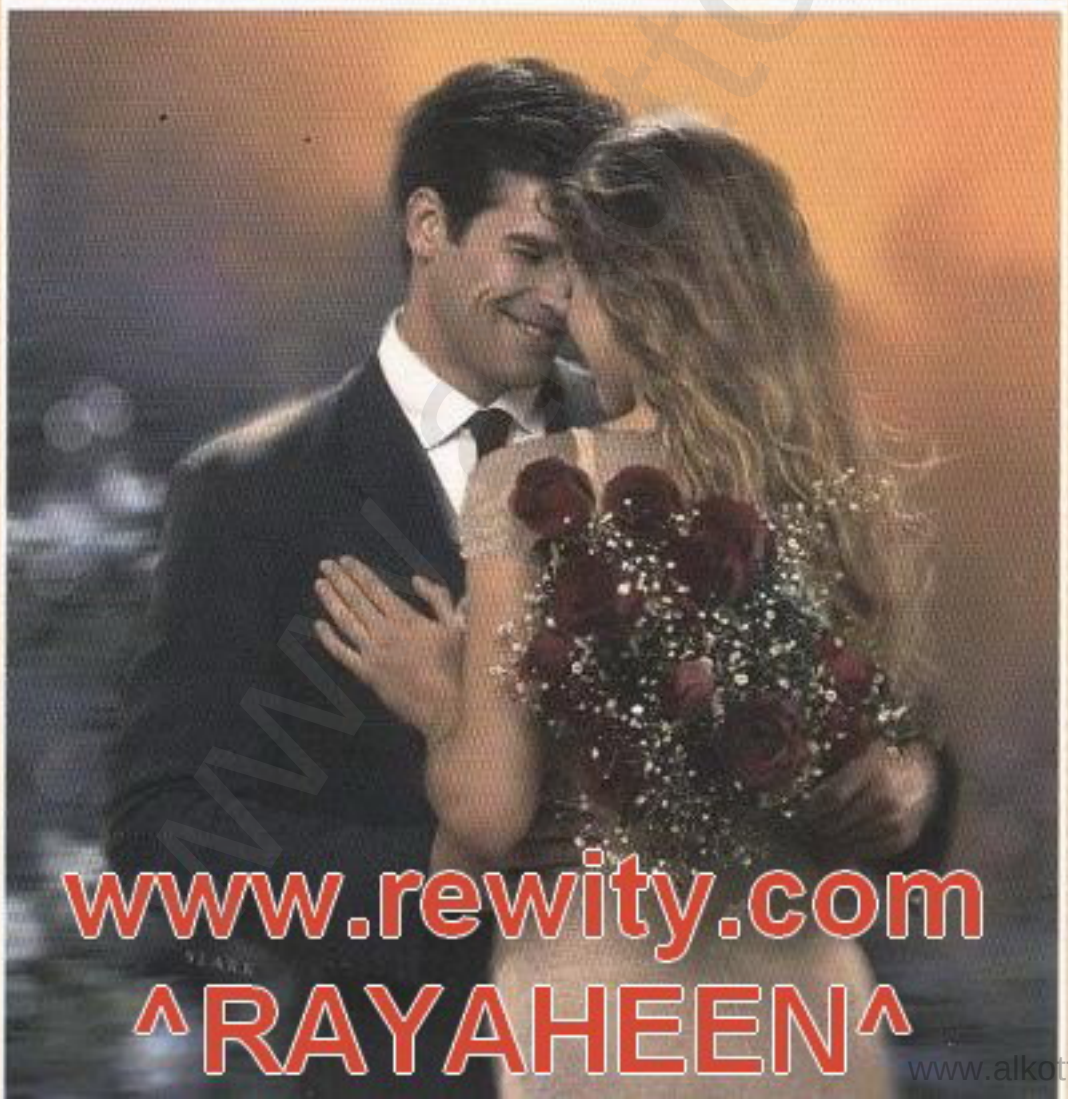

www.rewity.com
^RAYAHEEN^
www.alkottob.com

صباح الجراح

لم تجرؤ جورجي على النظر إلى بيير . أدارها بيير حول نفسها حتى تواجهه فيما بدى وجهه متحجراً كالغرانيت . تكلم بصوت حريري ناعم لكنه لاسع كالسوط قائلاً : هل بدأت تجدين عواقب تصرفاتك مزعجة . فلم يعجبك الأمر ؟.

وجهت جورجي إليه نظرة متمردة فوجدت نفسها تشرد في تينك العينين المدهشتين . رمشت بعينيها . وأجبرت نفسها على أن تعود إلى الواقع لتجد أن بيير يقبض على كتفيها ويحملق فيها .

- لا تفكري حتى بأن تصعدي إلى سيارتك الشبيهة بآلة الخياطة . لتحاولي قيادتها عائدة إلى منزلك في هذا الطقس .

ردت جورجي متجهمة : لو أنك رجل نبيل لعرضت علي أن تقلني بسيارتك . سيارتك يمكنها تحمل الرحلة بسهولة .

أجابها من دون أن يرف له جفن : لكنني لست رجلاً نبيلاً .

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الأردن	1.5 [illegible]	[illegible]	[illegible]
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-995-15-[illegible]-5

www.alkottob.com

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من *Harlequin Books S.A*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Books S.A*

العلامة التجارية *Harlequin* وشعار *Joey* هما ملك شركة *Harlequin Books S.A*
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Bedded at The Billionaire's convenience
First published in Great Britain 2008
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Cathy Williams 2008*
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 469 - 5

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية. . . ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل. . . ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا. . . لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة. . . والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.rewity.com
RAYAHEEN
www.alkottob.com

كاثي وليامز

ولدت «كاثي» في جزيرة «ترينيداد» وترعرعت في «توباغو». نالت منحة دراسية فسافرت إلى بريطانيا. في جامعة «إيكسيتر» أكملت دراسة المادة التي لطالما عشقتها وهي اللغات والأدب. وفي «انكلترا» التقت زوجها «ريتشرد»، وهما يعيشان الآن في بريطانيا مع بناتهما الثلاث. أقاما بداية في «وادي التيمز» وبعدها في «ميدلاندز».

١ - متسولة!

تأملت جورجي المبنى الزجاجي الذي بدا كأنه يحدق بوجهها فيما قررت وهي واقفة في مكانها في تلك اللحظة بالذات أن هذه هي المرة الأخيرة التي تسمح فيها لنفسها بأن تنقاد خلف اندفاعها، حتى لو كانت هناك أسباب وجيهة خلف هذا الاندفاع. الجزء الوحيد الذي يمكن اعتباره لائقاً إلى حدٍ ما من رحلتها المرهقة من ديفون إلى هنا هو الرحلة بسيارة الأجرة التي استقلتها من محطة القطار. لكن حتى هذه الرحلة انتهت بملاحظة فظة غير ضرورية أطلقها السائق بصوت يشبه صوت الخنزير قبل أن ينزلها خارج حاجز الحماية الأمامي للمبنى. كما أنه لم يعر أي اهتمام لتوسلاتها، فرفض البقاء لينتظرها بضع دقائق لتتأكد من أن الشخص الذي تنوي مقابلته موجود في الداخل.

لم تكن لدى جورجي أي فكرة كيف تراها ستجعل ذاك الرجل البائس ينزل إلى الطابق السفلي. بدا لها كأن المبنى محاط بجزام من رجال الأمن وكاميرات المراقبة التي لا يمكن تخطيها. أما الهدف من ذلك كله فهو الحرص على منع الحثالة والمتطفلين من الدخول إلى هذا المبنى السخيف البالغ الفخامة، كما لو أن أي شخص يتمتع بكامل قواه العقلية قد يرغب فعلاً بغزو نادٍ رياضي! إن غالبية الأشخاص الذين تعرفهم جورجي يمضون الكثير من أوقاتهم وهم يفكرون بطريقة تجنبهم دخول النادي الرياضي. فضلاً عن ذلك فهو مبنى بارد لا يوحي بالدفء والحرارة.

آخر مرة تناولت فيها جورجي الطعام كانت منذ أربع ساعات حين أكلت سندويشاً بائساً بسرعة وهي تسير في طريقها إلى هنا، لذلك أخذت

www.alkottob.com

معدتها تصدر أصواتاً تشير إلى أنها بحاجة إلى الطعام بسرعة. استنشقت نفساً عميقاً وهي تنظر إلى الأعلى نحو الأبواب. إنها السابعة و الربع الآن. لا بد أن المكان مكتظ بالرجال في مثل هذا الوقت؛ رجالٌ قصار القامة وآخرون طوال، ولا شك أن معظمهم يعانون من السمنة. حسناً! لا داعي لأن تذكّر نفسها بأن أياً منهم لا يناسبها. فكرت جورجي وهي تشعر بعدم الارتياح أن حشد الموظفين القابعين خلف مكتب الاستقبال الدائري الشكل والذين يتمتعون بلياقة بدنية عالية يقومون بحراسة الأبواب ذات الطراز الدوّار كما تفعل كلاب الروتوايلر، لذا اقتربت منهم بحذر. لم يبدُ لها أنهم يقومون بتأدية أي عمل طارىء مطلقاً، مع ذلك مرت بضع ثوانٍ قبل أن تلتفت إحدى الموظفات إليها. قوست تلك الفتاة الشابة أحد حاجبيها وسألتها إن كان بإمكانها أن تخدمها. إنها ذات شعر أشقر مشدود إلى الخلف على شكل ذيل الحصان. نظرت الفتاة إلى جورجي نظرة محذرة كما وضعت إصبعها على زر الطوارىء استعداداً للضغط عليه، حتى وهي تطرح السؤال عليها.

– أنا... نعم. آمل ذلك... في الواقع... أنا...

فكرت جورجي في سرها أنها مدرّسة إبتدائية كاملة التدريب والتأهيل، ولن ترعبها فتاة ذات صوتٍ يشبه صرير خانوق الدجاج وترتدي سروالاً مطاطياً ضيقاً جداً!

– هل جئت إلى هنا للاستفسار عن كيفية الانضمام إلى النادي؟ إذا كان هذا هو السبب أستطيع أن أقول لك إن حجوزاتنا ممتلئة تماماً حتى الأشهر الثمانية المقبلة.

– لا! في الواقع، أنا لست هنا بقصد الانضمام إلى النادي...

ارتفع حاجب المرأة بدرجة أعلى وقالت: «ماذا إذاً؟»

– أنا أبحث عن أحدهم... أحد أعضاء النادي لديكم. في الواقع...

أطلقت الفتاة الشقراء تنهيدة مطولة نافدة الصبر، ثم نظرت إلى ساعة

يدها وقالت: «أخشى أنني لن أتمكن من مساعدتك بذلك، فأعضاء النادي يقصدوننا ليسترخوا في أجواءٍ هادئة مميزة. إن آخر شيء يرغبون به هو أن يضايقهم أشخاص قد لا يرغبون بمقابلتهم. أنا مضطرة إلى أن أطلب منك أن ترحلي».

أدارت الفتاة رأسها نحو المشرفة عليها وهي نسخة طبق الأصل عنها لكنها أكبر سناً، فأدركت جورجي أنها الآن على الأرجح سوف تهاجم من قبل مجموعة كلاب الروتوايلر بأكملها.

– أنا مصرة على مقابلة السيد نيومان.

خاطبت جورجي المرأة الأكبر سناً التي تبلغ الثلاثينيات من عمرها، مستخدمة أفضل صوتٍ تملكه كمدّرسة، مع تلك النبرة التي تعد بالعقاب الشديد القاسي إن لم تُطع أوامرها على الفور. لم يفشل صوتها أبداً في أداء مهمته على تلاميذها البالغين الأربع سنوات من العمر. أحسّت بالمرأة الأكبر سنا تتصلب بعض الشيء، إلّا أنها أدركت أن ما استدعى ردة الفعل هذه ليس صوتها بل الإسم الذي ذكرته.

– هل تقصدين السيد بيير كريستوف نيومان؟

لم تقوَ جورجي على مقاومة رغبتها بأن تقول: «تفاجئني قدرتك على تذكر اسمه باعتبار أن ناديكم يضم عدداً كبيراً من الأعضاء يفوق حدود التذكر».

في الواقع لم تتفاجأ مطلقاً بذلك، فبيير كريستوف ليس من نوع الرجال الذين يسهل نسيانهم أو غض النظر عنهم.

بدت المرأة الشقراء الأكبر سناً فجأة مرتبكة، لكنها رغم ذلك أعلمت جورجي بأن نادي «هاي فيو» ليس مكتظاً بعدد المنتسبين لكنهم بكل بساطة يهدفون إلى الحصرية والتميز. ثم فصّلت كلامها بأناقة، قائلة: «إن بعض أعضاء النادي أشخاص بالغوا الأهمية وفاحشو الثراء، ونحن نحرص على أن يكون بمقدورهم المجيء إلى هنا ليشعروا بالاسترخاء بعيداً عن جداول أعمالهم المكتظة. نحن في الواقع نفضل أن يبقى هذا المكان خلوة حصرية

www.alkottob.com

جداً أكثر من أي شيء آخر!»

أصغت إليها جورجي بأدب ولباقة فيما فكرت أن كلامها يبدو مملاً جداً. هنالك العديد من أصحاب الملايين المترفين الذين يأخذون فترة استراحة ليبتعدوا عن الأشخاص العاديين، كما لو أنهم غير قادرين على الاسترخاء إلا إذا كانوا محاطين بأشخاص من مستواهم الاجتماعي نفسه. لابد أن بيير قد ينسجم مع مثل هؤلاء بيسر وسهولة. فهي تستطيع أن تتذكر بوضوح أنه شخص يتقبل خنوع الآخرين وتبعيتهم له كما لو أن ذلك من حقه تماماً. كما أنه بنى لنفسه عالماً من الثراء المذهل إلى درجة جعلته غير مضطر للمخاطرة بالخروج من قوقعته إلا إذا رغب بذلك. يكفي أن يشير بإصبعه حتى يأتي الناس راكضين لتلبية رغباته. إنه عالم بعيد عن عالم جورجي. ذكرها ذلك بسبب مجيئها إلى لندن أصلاً، فرفعت يدها.

– ذلك رائع، لكنني لست مهتمة بالانضمام إلى النادي. أنا هنا لأنني بحاجة إلى رؤية بيير بشأن مسألة طارئة. إذا أرشدتني إلى المسار الصحيح سوف أجده بنفسي، وإلا فلا مانع عندي من الانتظار إذا رغبتِ بالبحث عنه بنفسك.

– ليس من عادتنا أن نسمح للأفراد غير المنتسبين إلى النادي بالدخول إلى منطقة «هاي فيو» الحصرية للياقة البدنية.

– حسناً! سأبقى هنا. يمكنك أن تخبريه أن جورجي... جورجينا بحاجة إلى التكلم معه.

– هل يمكنني أن أسأل ما هو الموضوع؟

– يمكنك أن تسأليني، لكنني أخشى أنني لن أجيبك فهو موضوع ذو طابع شخصي نوعاً ما.

حاولت جورجي ألا تضحك فيما حاولت المرأة الأخرى أن تسيطر على فضولها بصعوبة. مسكين بيير، لن يشعر بالسرور عندما يفكر بأن الناس يتساءلون في الخفاء عن ذلك السر المجهول الذي يكتنف حياته الخاصة. لكن بيير لا يمتلك حسّاً فكاهياً مرحاً، أو على الأقل هو لم يصطنع يوماً أي حس

فكاهي لأجلها. لا، إن ذكريات جورجي عنه تتلخص في كونه أصبح رجلاً وسيماً مميزاً في حين كانت هي ما تزال تختبر استعمال أحمر الشفاه وحمالات النهدين المبطنة. لطالما تمتع بيير بمهارة في الرفض والاستهجان، فكان يستهجن كل شيء تقريباً في قريتهم الصغيرة ديفون، وهو لم يحاول إخفاء ذلك على الإطلاق. لطالما أبدى رفضه لما اعتبره أسلوب حياة بالغ البطء إلى درجة تكاد تلامس حدود الجمود، كما استهجن سلوك والديه ونمط حياتهما الشبيه بنمط حياة الهيبيّين، واستهجن سلوك الكثيرين من أبناء البلدة. بدا لجورجي أن ذلك ما يحس بيير به، أما هي فلم تشاركه طموحه الخارق لمغادرة بلدته الأم بأسرع ما يمكنه، حتى يتمكن من إحداث تأثير ما في المدينة. قصد بيير لندن قبل ما يزيد عن العشر سنوات، وأخذت رحلات عودته إلى ديفون تقل شيئاً فشيئاً كما باتت متباعدة في الزمن. عاد منذ ثلاث سنوات إلى هناك لحضور جنازة والده فأمضى حوالى الأسبوعين في المنزل لكي يطمئن أن والدته بخير وعلى ما يرام. لكنه بالرغم من ذلك قام ببيع المزرعة مظهراً في تصرفه هذا افتقاراً مزعجاً إلى الأحاسيس والمشاعر، باعتبار أنه ترعرع فيها وأمضى نصف حياته تقريباً في أرجائها، ثم اشترى لوالدته منزلاً أكثر ملاءمة لها في وسط القرية حيث تستطيع أن تقصد المتاجر سيراً على القدمين. ساور جورجي حينها انطباع مفاده أن بيير يتوق إلى إنهاء المسألة بأسرها والانطلاق عائداً إلى لندن بأسرع ما يمكنه.

منذ ذلك الحين لم يعد لرؤية والدته سوى مرّات قليلة يمكن عدّها على الأصابع. في الواقع، حرصت جورجي خلال الأعوام القليلة الماضية على البقاء بعيدة عن دربه حين يكون في البلدة. ذلك الأمر جعلها تلعن نفسها من جديد على اندفاعها وميلها إلى القفز بتهور. أغمضت عينيها وشبكت أناملها داعية لنفسها بالنجاح.

أخبرتها المرأة الشقراء أنها سوف ترسل أحدهم للبحث عن السيد نيومان، ثم كررت على مسامعها أن قيامها بذلك هو أمر مزعج وغير ملائم على الإطلاق. فكرت جورجي أنه إذا رفض مقابلتها، فسوف يقومون

www.alkottob.com

بطردها إلى خارج المبنى على الفور. أخذت فترة استراحة فيما انتظرت بصبر وهي جالسة على أحد الكراسي الحمراء المنخفضة التي تم ترتيبها بشكلٍ أنيق حول طاولة الكروم، حيث وضعت عدة مجلات دعائية خاصة بالشركة لعرض عجائب هذا النادي الرياضي. من الواضح أن هذا هو مكان الانتظار الخاص بأولئك القلة من غير الأثرياء الذين لا يسمح لهم بتخطي حدود ذاك الباب الدوار.

خلف الباب الدوار الواقع وراء مكتب الاستقبال امتدت ردهة رخامية واسعة، حيث ظهر درج يفترض أنه يؤدي إلى قلب النادي الرياضي الذي يقع خلف زجاجٍ أغبر اللون. إلى الأمام مباشرة يمتد رواق رخامي يؤدي إلى مكان ما، توقعت جورجي أنه ربما يؤدي إلى برك السباحة وإلى ملاعب السكواش، وربما يوصل إلى قاعة خاصة بالتجميل حيث يتمكن رجال الأعمال من حلحلة عقد التوتر على يد بعض من النساء الشقراوات المستنسخات.

رجعت جورجي إلى الواقع فوجدت بيير واقفاً أمامها مباشرة وقد تدلت منشفة من كتفيه، فيما رسّخ قدميه على الأرض. سافرت نظراتها صعوداً على طول جسده إلى أن لاقت وجهه. أخيراً التقت عيناها تينك العينين الزرقاوين الغامقتين اللتين ورثهما بيير من والده، فيما ورث من والدته لون بشرته الداكن وشعره الأسود كلون الغراب. لاحظت أن ذلك الشعر ذو قصة قصيرة وهو ما يزال رطباً، ما جعلها تظن أنها قاطعته عن جولة سباحة.

ظهر العبوس على وجه بيير وهو يقول: «ما الذي تفعلينه هنا جورجينا؟ أخبرتني كلاريس أنك بحاجة إلى التكلم معي. هل أصاب والدتي مكروه؟»

ازداد عبوسه وهو يتابع: «تكلمت معها خلال عطلة الأسبوع وبدت على ما يرام... حسناً! لا تكتفي بالجلوس هناك كما لو أنك دمية محشوة بالاسفنج! ما الذي يجري بحق الجحيم؟»

كادت جورجي تنسى أن بيير يبدو مرعباً عندما تلتقيه شخصياً، ذلك

لأنها بقيت بعيدة عن طريقه خلال المرات الأخيرة القليلة التي زار بها ديفون.

- أنا قلما أجد وقتاً للاسترخاء، وآخر ما أحتاج إليه هو أن يقاطع روتيني شخص ذو طباع نزقة. إذا كان لديك ما تخبريني به فقوليه حالاً.

قفزت جورجي واقفة على قدميها، وحملقت به قائلة: «حسناً! أنت لم تتغير أبداً. أليس كذلك بيير؟ ما زلت أكثر الرجال فظاظة من بين الذين قابلتهم طيلة حياتي!»

- إذاً أخبريني شيئاً لا أعرفه مسبقاً. إذا كانت ذاكرتي صحيحة، فقد شاركتني بذلك الرأي خلال عدة مناسبات في الماضي، وآخر مرة أتذكر فيها حصول ذلك هي عندما قصدت ديفون لحضور مأتم والدي! بينما كان الجميع منشغلين بتقديم احترامهم وتعزيتهم لي حرصت أنت على إعلامي أنني شخص عديم المشاعر! على أي حال إن أياً من ذلك لا يهمني. فقط أخبريني بما جئتِ لقوله.

- اسمع! أنا لا أرغب بالتجادل معك. إن ديدي... بحالة جيدة... نوعاً ما.

- نوعاً ما؟ ما الذي يعنيه ذلك بحق الجحيم؟

- أما من مكان يمكننا أن نقصده لكي... نتكلم؟ أعلم أنني أسحبك بعيداً عن مسرة التمرين الرياضي، لكنني قطعت مسافة بعيدة من ديفون...

حسناً! هي ليست مدعوة، كما أنها لم تبلغه مسبقاً بوصولها، حتى إنها لم تكن مستعدة للمجيء أصلاً. لكن حتى لو كان الأمر كذلك، فهو لن يعرف هذا. تابعت كلامها: «... إن كان يهمك الأمر، أمضيت وقتاً جهنمياً خلال رحلتي. كانت هناك بعض التأخيرات في بلايموت، فتناولت سندويشاً حقيراً خلال الرحلة بالقطار، وفشلت في الحصول على بطاقة لهاتفي النقال في كل مكان مررت به، كما حظيت بسائق سيارة أجرة فظ... من دون أن أذكر استخدام الرصيد المتوفر على هاتفي النقال إلى ما لا نهاية، في محاولة لإقناع سكرتيرتك بإطلاعي على مكانك. بدا الأمر أسوأ

www.alkottob.com

من عملية قلع الأسنان! هل حاولت تلك المرأة أن تتقدم بطلب للعمل في مجال الاستخبارات؟»

– ناتالي تعرف أنني لا أود أن يزعجني أي شخص عندما أقصد النادي الرياضي.

لكنه استرخى بعض الشيء. لعله كان قاسياً معها نوعاً ما، لكن لسبب ما يبدو أن هذه المرأة تحتك به بالشكل الخاطىء. كل ما يتعلق بها يزعجه فعلاً، بدءاً من حملقتها به وقواعدها الأخلاقية العالية التي تحكم من خلالها على الآخرين وصولاً إلى ميلها المزعج لأن تقول بكل بساطة ما تفكر به من دون أن تقوم بحذف أي شيء. يحب بيير أن تكون النساء اللواتي يتعامل معهن مهذبات تماماً، أما آراء الآخرين فهو يرحب بها شرط أن يتم التفكير والتمعن بها جيداً وأن تكون منفتحة على المناقشة السليمة. إنه في الواقع يعتبر نفسه أحد الرجال البارزين في القرن الحادي والعشرين الذين يستمتعون برفقة النساء ذوات الثقافة العالية، وهو يدعم حقوقهن في أمكنة العمل. أما جورجي فهي في الطرف الآخر المعاكس لموازينه في ما يتعلق بجاذبية الجنس الآخر. إن تمضية عشر دقائق من الزمن برفقتها تكفيه فعلاً.

بدأت جورجي تخبره قائلة: «استنتجت ذلك، فسكرتيرتك أوضحت لي ذلك تماماً خلال العشرين دقيقة التي تطلبها استخراجي لتلك المعلومات منها».

– ما الذي قلته لها؟

– إنني المرأة التي تزوجتها سراً خلال عطلة نهاية الأسبوع، وذكرت اسم ديدي حتى أعطي قصتي بعض المصداقية.

بالطبع جورجي لم تفعل ذلك، لكن الأمر يستحق هذه الكذبة الصغيرة البيضاء حتى ترى التعابير التي ارتسمت على وجه بيير. ما لبثت أن قالت: «أنا أمازحك».

– مضحك جداً! هنالك مقهى في النادي الرياضي. يمكننا أن نذهب إليه لنتحدث هناك.

استدار بيير على عقبيه، وبدأ يسير مبتعداً فيما حملقت جورجي بظهره العريض. ما من داعٍ لأن تذكر أنه حين تقدمها تنقلت بخفة وسرعة داخل الأبواب الممنوعة كما لو أنها أحد أفراد الأسرة المالكة يقوم بزيارة رسمية. إن الرجل محاط بهالة تسبقه إلى أي مكان يصادف وجوده فيه. بمجرد أن يسير تنفتح الأبواب أمامه، فهل من عجب أنه متسلط بشكل مثير جداً للغضب؟

شعرت جورجي أنها منقطعة الأنفاس، وهي تحاول مسايرته في خطواته وتنظر حولها في آنٍ معاً.

– يصدمني أنهم سمحوا لي بالمرور إلى الداخل. هل يتلقون تدريبات خاصة بخصوص التصرف بعدم لباقة؟

قالت جورجي ذلك متسائلة بصوت مرتفع. تمهل بيير ونظر إلى شعرها الأشقر المتمرد وقال: «إن غالبية الأعضاء المنتمين إلى النادي هنا يعيشون حياةً شديدة التوتر كثيرة الضغوطات، وهذا هو ملاذهم. إن آخر شيء يحتاجونه هو أن يظهر الأشخاص من دون أن يتوقعونهم لكي يناقشوا مسألة متعلقة بالعمل».

– وهل يحصل ذلك باستمرار؟ أهو ما يبرر وجود جيشٍ من المستنسخات الشقراوات اللواتي يكشرن عن أنيابهنّ لأي شخصٍ لا يعرفنه؟

– ستفاجئين إن علمت بمقدار حصوله.

غمغم بيير بذلك فيما تغافل عن ذكر أنه كان من المحتمل أن تتلقى معاملة أكثر احتراماً لو لم تكن ترتدي تشكيلة من الملابس التي تكاد تقف عند حدود الشذوذ وغرابة الأطوار. فجورجي تنتعل جزمة لامعة غريبة الشكل من دون كعبين ذات فروٍ سميك على جانبيها، مع سروال أسود ضيق ومعطفٍ أسود يشبه السترة الواقيةمن المطر، بالاضافة إلى شيء شديد الاحمرار تحته، الله وحده يعلمما هو.

وصلا إلى المقهى، فتمهلت جورجي لتتمعن بالمنظر هناك. من الواضح أن هذا المقهى مخصص لفاحشي الثراء المحاطين بأجواء خاصة بالنخبة فقط.

www.alkottob.com

تذكرت المقهى الذي يقع في النادي الرياضي المحلي القريب منها في ديفون، والذي قصدته ثلاث مرات. إنه مليء بالحيوية ومكتظ بالناس، حتى إن رواده يضطرون إلى الوقوف في صف طويل من أجل الحصول على كوب قهوة أو زجاجة مياه. لكن هذا المكان ينتمي إلى عالم مختلف تماماً. أعلنت وهي تحدق بالمكان علناً: «لا أظنني رأيت هذا القدر من الجلد الأسود خارج متجر للمفروشات».

لم يكن هنالك سوى عدد قليل من الأشخاص القابعين في ناحية بعيدة، وجميعهم يطالعون الصحف.

- ما الذي ترغبين بشربه، الشاي أم القهوة؟

- الشاي.

- لا تتوفر هنا إلا الأشياء الصحية، يجدر بي أن أحذرك. لذا فكري بأنواع شاي الفواكه.

ما هي إلا بضع دقائق حتى أصبحت جورجي جالسة وأمامها كوب من الشاي المعطر الذي توقعت أن يكون طعمه شبيهاً بطعم مياه جلي الأطباق.

- حسناً! والآن هل تنوين إطلاعي على هدف زيارتك إلى هنا، جورجي؟ ماذا عنيت حين قلت إن حالة والدتي جيدة نوعاً ما؟ إذا كانت تعاني من أي مشكلة صحية فأنا لا أنوي الجلوس هنا لأمارس ألاعيب ملء الأحجيات معك حيال الموضوع.

ارتشف بيير رشفة من قهوته ونظر إليها ببرود من فوق حافة فنجانه. في تلك الأثناء خلعت جورجي معطفها، فاستطاع بيير أن يرى أن لمحة اللون الأحمر التي رآها هي في الواقع سترة للعمل حيث يشكل اللون الأحمر فيها أحد الألوان الأساسية.

- هل فقد أحدهم عقله فنظف فرشاة للدهان على سترتك؟

وجد بيير نفسه يسألها ذلك، أما جورجي فتوهج وجهها وأخفضت بصرها نزولاً لتنظر إلى قميصها، ثم قالت: «في الواقع، إن عدة أشخاص يافعين فقدوا عقولهم تماماً وهم يستخدمون فراشي الدهان، وهذه هي

النتيجة. إنها هدية عيد الميلاد من تلاميذ صفي في السنة الماضية. إذا نظرت عن كثب فسوف ترى أن مشحات اللون هي في الواقع تعابير عن أنفسهم لكنها متداخلة ببعضها البعض. كما أن كل واحد منهم دوّن اسمه تحت رسمته. إنها لطيفة جداً، أليس كذلك؟»

علق بيير قائلاً: «أمر غير اعتيادي! كنت تخبرني عن والدتي».

- إنها بخير.

حاولت جورجي أن تشرب بعض الشاي، لكنها بعد أن أخذت رشفة واحدة، أعادت الكوب إلى الصحن. أليس الأمر غريباً إلى حد ما؟ إنها تعرف بيير منذ عدة سنوات، وهذه هي المرة الأولى التي تجري فيها حديثاً خاصاً معه. فعندما يلتقيان عادة خلال المناسبات يكونان محاطين بأصدقاء مشتركين وبأفراد العائلة والمعارف، وخلال السنوات القليلة الماضية أصبحت هذه اللقاءات قليلة جداً. بعد أن توفي والد بيير فقدت ديدي اهتمامها بالحفلات الكبرى التي اعتادا إقامتها. والآن، ها هي جورجي تلاحظ فيه أشياء لم تكن واضحة حينها. هو ما زال متغطرساً تماماً كما تذكره وهذا أمر طبيعي، لكنه بدا متنبهاً تماماً كما لو أنه يترصد كل حركة وكل كلمة منها، بل كما لو أنه لا يرغب بأن تمر أي كلمة شاذة أو أي حركة من دون أن يلحظها. جعلها ذلك الأمر تشعر بالتوتر، وفكرت أنه عليها أن تمنع نفسها عن العبث بفنجانها أو اللعب بشعرها.

اتضح من سكوته أنه ينتظرها لتتابع كلامها، وتصورت جورجي أنه يعتبر السكوت صفة مفيدة.

- بعد تلك الأزمة القلبية الخفيفة التي تعرضت لها في وقتٍ سابق من هذه السنة... ديدي بكل بساطة لم تعد على حالها.

عبس بيير وقال: «أعلمني الطبيب الذي استشرته أنها سوف تشفى تماماً، كما أنني لست بحاجة إلى تذكيرك أنه الأبرع في مجال عمله».

- لقد تعافت تماماً بالفعل...

- إذاً، إلى أين سيؤدي بنا هذا الحديث؟

www.alkottob.com

نظر بيير إلى ساعة يده. إنه كالعادة، يسير وفقاً لجدول عمل مضغوط جداً. ما زال يفترض به أن يرسل بعض الرسائل الإلكترونية حالما يعود إلى شقته، كما أن لديه موعداً هذه الليلة إذ سوف يلتقي جينيفر. إنهما يحاولان التحايل على جدولي أعمالهما المكتظين منذ أكثر من أسبوعين إلى أن تمكنا أخيراً من تحديد موعد عشاءٍ غرامي ما بين ارتباطات أعمالهما.

استفسرت جورجي ببرودة: «آسفة، هل أؤخرك عن شيءٍ ما؟»

- لربما تمكنت من تخصيص المزيد من الوقت لك جورجي لو أنك أعطيتني إنذاراً مسبقاً... صدقي أو لا تصدقي فأنا أعيش حياةً منشغلة جداً هنا.

- هذا ما كنت سأفعله، لكنني جئت إلى هنا باندفاعٍ مفاجىء.

- هذا نموذجي!

- ما الذي يعنيه ذلك؟

نظر بيير إلى جورجي ملاحظاً شعرها الأشقر المتمرد وملابسها الغريبة الشاذة وعينيها الخضراوين الكبيرتين اللتين غالباً ما تضيقان عندما تحكمان عليه. قال لها: «ليست لدي أي فكرة عن كيفية تمكنك من الاحتفاظ بوظيفة لائقة، جورجي».

- وأنا لا فكرة لدي أبداً كيف يمكنك أن تستمتع بوقتك، بيير.

- ها أنت تبدأين مجدداً... التكلم من دون تفكير.

- أنت تسمح لنفسك بإبداء الملاحظات عني بحرية، فلِمَ عساي لا أرد لك هذه الخدمة؟

أحست جورجي بشعرات عنقها تهبّ استنفاراً. ألا يحصل ذلك معها دوماً في حضوره؟ تابعت: «كوني شخصاً مندفعاً لا يعني أنني عديمة المسؤولية!»

- كيف حال الدجاجات، جورجي؟

حملقت به جورجي. نعم، إنها تربي الدجاج. لديها أربع دجاجات تعيش بسرور في حديقتها الخلفية، وتعطيها كمية ثابتة من أجود أنواع البيض

الذي يتمنى أي شخص الحصول عليه. ولطالما شعر بيير بالحيرة ولم يستطع فهم سبب هذه الرغبة المتعلقة بتربية الحيوانات وأعمال البستنة. من دون شك أنه سوف يذكر خلال دقائق رقعة الخضار الممتدة في أنحاء حديقتها، حيث زرعت جورجي مختلف أنواع الخضار بدءاً من الجزر وصولاً إلى الفاصوليا التي تمتد فروعها في عدة اتجاهات. هو لم يقصد منزلها من قبل سوى مرة واحدة فقط، وذلك لأداء مهمة أوكلتها له والدته، لكن تلك الزيارة بدت كافية لترسخ في ذهنه صورة مشوشة تماماً عنها بكونها امرأة غريبة الأطوار، غير منسجمة مطلقاً مع نمط الحياة في القرن الحادي والعشرين.

- الدجاجات بخير وعلى ما يرام، بيير.

- أما زلت تتبعين سياسة الاكتفاء الذاتي؟

- أنت مثير للغيظ!

- أعلم ذلك، أخبرتني بهذا من قبل.

كشّر بيير مقراً أن جورجي تقوم بتوجيه الإهانة المحتشمة الرقيقة بشكل جيد، فوجنتاها محمرتان وعينيها تلتمعان. تكلمت جورجي وهي تكزّ على أسنانها قائلة: «من المنطقي أن يحظى المرء بمنتجات طبيعية صحية قدر الإمكان...»

- آه، اعفيني من ذلك. أمضيت سنواتٍ وأنا أصغي إلى تلك التفاهات من والديّ، ولست بحاجة إلى زيارة ذاك المكان المتعب مجدداً.

- ما الخطب في أن تزرع ما استطعت من الطعام الذي تأكله؟ حين أقلع خضاري من التراب، أنا أعلم على الأقل أنها لم تكن تسبح بحرية في بركة من المياه الممتلئة بالأسمدة الزراعية!

نظرت جورجي حولها بتعاطف لا يخلو من الاشمئزاز، وقالت: «لست أدري كيف تستطيع أن تتأقلم مع... هذا، بيير».

- هذا... ماذا تعنين؟

جاء صوت بيير هادئاً جداً، ما جعل جورجي تفكر أن التخلي عن هذا

www.rewity.com RAYAHEEN
www.alkottob.com

الحديث الذي بدأ يتطور قد يكون فكرة جيدة.

- هذا النادي الرياضي العملي المترف والشقة العملية في قلب المدينة. أعني... أنك نشأت في مزرعة!

- للتصحيح، أنا نشأت في مدرسة داخلية، وكنت أمضي في المزرعة أيام العطل والإجازات فقط، وهذه كانت كافية بالنسبة إلي لأدرك أن نمط الحياة السائد هناك ليس نمطاً أرغب باتباعه. لكنك لم تأتي إلى هنا لتتكلم عما فات كل منا، جورجي. لعلك امرأة مندفعة، لكنك لست مندفعة إلى هذا الحد.

- إنه غريب بعض الشيء...

لاحظ بيير كيف أمالت رأسها بخجل وارتباك، وكيف أشاحت ببصرها عنه، كما فهم لغة جسدها وهي تنسحب إلى الوراء قليلاً. ما هو الأمر الغريب بعض الشيء؟ إنه يمكن أن يعني شيئاً ما جاءت إلى هنا لتطلبه منه. لكن يبدو كأنها نسيت في مكان ما من طريقها إلى هنا أن المتسولين يجب أن يكونوا متواضعين غير مشاكسين. جورجي المتواضعة! لا بد أن ذلك منظر مثير للاهتمام يستحق المشاهدة. قرر أن يراقبها بهدوء وهي تشق طريقها بالحيلة بنفسها من دون أن يشعر بالانزعاج. لذا أمال رأسه جانباً ورسم على وجهه تعبيراً ينم عن الاهتمام غير المتفهم.

- أعني...

انحنى بيير إلى الأمام، ثم عبس مظهراً استعداده لسماعها. تنهدت جورجي بشكل دراماتيكي، ثم قالت: «هذا الشاي طعمه مريع. هل جربت يوماً نقيع الفواكه؟ إنه مقرف. لا أفترض أنك تستطيع أن تحضر لي القهوة، أم أنك تقدر؟ أحب القهوة بالحليب، في الواقع. لم أتناول كوباً منها منذ عهود...»

يستطيع بيير أن يتعرف إلى تكتيك التأخير ولو على بعد ميل من هنا، لذا نسي أمر الرسائل الإلكترونية المهمة التي تنتظر أن يتم إرسالها، فأومأ قائلاً: «بالطبع».

- أعرف أنك على الأرجح في عجلة من أمرك...

- خذي وقتك جورجي.

وجه بيير ابتسامة نحوها، وتساءل كيف تراها ستطلب الخدمة التي من الواضح أنها جاءت لأجلها. جورجي معروفة بعزة نفسها، ولا بد أن يكون ما جعلها تأتي إليه منهزمة أمر بالغ الأهمية.

- سأحضر لك القهوة بالحليب، وربما... شيئاً ما تأكلينه؟ إنهم يحضرون صنفاً لذيذاً من كعك المافن بالنخالة مع الفواكه والمكسرات. لا بد أن ذلك يناسب ذوقك.

- لمجرد أنني أزرع قطعة أرض بالخضار، لا يعني أنني أحب كعك المافن بالنخالة والفواكه!

راقبته جورجي وهو يقف على قدميه، باحثاً في جيب سرواله الرياضي الخاص بالركض عن محفظة نقوده. إنه متفوق تماماً. أما السبب فليس طول قامته فقط بل تلك العضلات المفتولة التي تشكل بنيته القوية. لاحظت ذراعيه السمراوين الصلبتين وجذعه الرياضي الرشيق. استطاعت جورجي أن تتذكر أنها لاحظت هذه الميزات فيه من قبل، لكنها نادراً ما أمضت الوقت معه وحدهما وجهاً لوجه.

عاد بيير بعد لحظات حاملاً القهوة بالحليب لها وزجاجة من المياه المعدنية له، شربها مباشرة من الزجاجة. انحنى إلى الأمام وقد تدلت يداه بين رجليه، وقال: «إذاً... لِمَ لا تتخلين عن المزاح جورجي فتدخلين مباشرة في صلب الموضوع؟»

- آه!

تنهد بيير بنفاد صبر. فكر في سره أن الرسائل الإلكترونية التي يفترض به إرسالها يمكنها أن تنتظر بسرور لبضع ساعات. ذلك سيسمح له بأن يتلذذ بهذه الفرصة النادرة في رؤية جورجي تتلوى خجلاً. لكن جنيفر لا يمكنها أن تنتظر فهي رفيقة موعده المرتب بعناية. عندئذ قرر أن يسرع وتيرة الأمور قليلاً، فيساعد جورجي على الخروج من بؤسها الواضح.

- أنت لم تسافري كل هذه المسافة من ديفون حتى تسببي لي الانزعاج

www.alkottob.com

بخصوص نمط الحياة الذي اخترته. حسناً! أخبرتني أن والدتي على ما يرام...

- نوعاً ما.

- ماذا يعني ذلك؟ لو أن هنالك خطباً ما لعرفت بشأنه على الفور. هذا الأمر يتركنا مع احتمال واحد معقول دفعك إلى خوض رحلة استغرقت أربع ساعات حتى تزوريني...

- أحقاً؟

- المال!

جلس بيير مستنداً إلى الوراء، فارتشف القليل من المياه المعدنية وتابع مراقبتها قبل أن يتابع حديثه: «إنه ما يجعل العالم يدور...».

ثم أكمل بتكاسل: «... ربما في بعض الحالات. إذاً، ما الذي فعلته لتغرقي في الديون جورجي؟»

استعرض بيير في رأسه عدة سيناريوهات ثم قال: «اعتقدت أن الراتب الذي تتقاضاه المدرّسة في ديفون هو أكثر من كافٍ، فليس هنالك الكثير الذي يمكن إنفاق المال عليه، على أي حال...».

وجدت جورجي نفسها آنياً مشتتة الذهن ومتنبهة لدى سماعها انتقاداته، فقالت: «آه، بالطبع! ليس هناك نوادٍ كهذا في ديفون، بيير. لكنني لن أقول إنك تنفق مالك على مكان كهذا، بل أنت بالأحرى تهدره! على أي حال، لم آتِ إلى هنا ل...».

رفع بيير يده بحركة مستبدة وقال: «... لتتجادلي معي. نعم، نعم، نعم. فهمت ذلك، مع أنني ألاحظ أنك ببساطة تبدين غير قادرة على منع نفسك. أما السبب فهو ميلك إلى التحكم بالأمور، جورجي. إذا كنت لا تلاحظين ذلك، فسوف ينتهي بك الأمر بأن تنظمي جمعية محلية للنساء. لا تدعي ضغط دمك يرتفع فقط لأنه يصادف أنني أخبرك الحقيقة. أقصد أنك لا تستطيعين حتى أن تتحكمي بما يتفوه به لسانك في حين أنك جئت إلى هنا لتطلبي مني خدمة! أنت جئت لهذا السبب. أليس كذلك؟ جئت لتطلبي مني

خدمة...».

فكرت أنه يحشرها في دور المتسولة وهي ليست كذلك، بينما راح بيير يبتسم بأناقة وهو يهز رأسه. رغبت جورجي أن تقفز فتصوب له بشدة تفكيره وتقول له فعلاً لما استقلت القطار بجنون متوجهة إلى لندن، لكن لسوء الحظ بدأت الحقيقة تظهر أمامها. حسناً! ببساطة سوف تدعه يجول في الأفكار لبرهة، فيما ستحاول أن تفكر بمنطق بما تريد قوله. تساءلت كيف تراها نسيت أن هذا الرجل بغيض حقاً!

رفع بيير حاجبيه سائلاً: «حسناً! أخبريني، أين ذهبت أموالك؟»

استطاعت جورجي أن تلاحظ عن قرب أن عينيه الزرقاوين اللتين لطالما تصورتهما باردتين كالبحر في الشتاء تبدوان في الواقع غامقتي اللون حين يكون مستمتعاً، ومن الجلي أن ذلك يحصل الآن على حسابها. بدا لها أنه يفكر في متابعة سخريته منها إذ قال: «أتراك تنوين بناء خم دجاج فخم لأن دجاجاتك تستحق الأفضل؟ لا؟ حسناً! لا أستطيع أن أتصور أنك تتمتعين بذوق رفيع لاقتناء الملابس الثمينة والمجوهرات...».

جالت نظراته عليها من رأسها حتى أخمص قدميها، فبادلت نظراته بالعبوس. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يبرع فيه بيير؛ إنه يجعلها تشعر أنها امرأة عادية وغير جذابة حين يتعلق الأمر بخيارها في الملابس. في الواقع لم تتمتع جورجي أبداً بذوقٍ اعتيادي في ما يتعلق بالثياب. بدأت عبر السنوات تتعرف إلى التعابير المرتسمة في عينيه الزرقاوين، خصوصاً عندما ينظر إليها كما لو أنها شيء غير محدد أو مخلوق مبهم. مهما يكن فإن الرجل يفتقر إلى المخيلة الواسعة. ليس عليها إلا أن تفكر بالنساء اللواتي كان يحضرهن إلى منزل والديه خلال السنوات الماضية. إنهن نساء مثقفات غير مرحات يثرثرن بمهارة عن قضايا العلم والاقتصاد والنظام القانوني البريطاني، لكنهن لا يجدن مناقشة أي أمرآخر. وجدت جورجي نفسها مجبرة على الدفاع عن نفسها فقالت: «لا يبدو لي أمراً عملياً أن يرتدي المرء بذلات رسمية من ماركاتٍ معروفة حتى يعلّم الأطفال».

www.alkottob.com

- هل أوحيت لك أن الأمر كذلك؟
- لم تكن مضطراً إلى ذلك.
- إذاً السبب ليس الملابس، لأنك كما أشرتِ بنفسك لا ترين من المجدي ارتداء ملابس ثمينة أو مليئة بالأنوثة...
- أنا لم أقل ذلك مطلقاً!
- من المحتمل أنك خرجت من رحم والدتك وأنت ملتفة بطبقات مختلفة من الأقمشة المزينة بالأزهار والألوان. حسناً! فهمت أن السبب ليس شراءك للملابس الثمينة. همم...!

راقبها بيير وهي تغمغم كلاماً غير واضح فيما غمره شعور من الرضى.

- أتستمتع بوقتك بيير؟

تساءلت جورجي إن كانت تستطيع أن تتخلى عن قضيتها وتنسل عائدة إلى ديفون من دون أن تقدم له أي تفسير.

- أخبريني لماذا تريدين المال؟ سرّني تصور الاحتمالات لكن اللعبة وصلت إلى حدّها. أنا بحاجة إلى الذهاب من هنا، وأجرؤ أن أقول إنك مضطرة للعودة إلى ديفون.

كان بيير قد نسي أمر جينيفر، لكن ما إن ألقى نظرة سريعة إلى ساعة يده حتى علم أن عليه التحرك بسرعة. نظر إلى جورجي بنفاد صبر وفاجأه أن يدرك أنها مرتبكة كما لو أنها لا تستطيع إيجاد الكلمات التي تريد قولها.

- آه! بحق الله، جورجي... فقط قولي ما الذي تريدينه. ليس لدي متسع من الوقت لهذا.

- لا أريد استدانة المال منك، بيير. أنا لم أغرق نفسي بالديون عبر المقامرة على الإنترنت، أو... أو أي شيء آخر. أنا جئت لأخبرك أن... أن...

أحسّت جورجي كما لو أن ذهنها أصبح فارغاً تماماً، فرطبت شفتيها وهي تشعر بالتوتر، وتابعت: «... أنت وأنا... حسناً! يصعب علي نوعاً ما أن أقول هذا... لكن... نحن...»

- آه، بحق السماء! ماذا هناك؟
- ... مخطوبان!

www.rewity.com ^RAYAHEENA
www.alkottob.com

٢ - غريبة في المنزل

- ماذا؟

زأر بيير بصوتٍ راعدٍ مدوٍ جعل عدّة أشخاص يديرون رؤوسهم باهتمام ناحيته وجورجي.

- اشرحي ما تقولينه.

أمرها بيير فيما انحنى إلى الأمام في كرسيه ما جعل جهازها العصبي يصاب باهتياج شديد.

سعلت جورجي لتنقي حلقها وحاولت الإبقاء على تواصل عيونهما، فقالت: «ما من داعٍ لأن تتصرف هكذا حيال الأمر...».

- ما من داعٍ لأن أتصرف هكذا...؟ على أي كوكب تعيشين جورجي؟ أتيت مسرعة إلى لندن من دون سابق إنذار لتهاجميني في النادي الرياضي، ثم تعلميني بكل هدوء أننا مخطوبان... ألا يفترض بي أن أفاجأ ولو قليلاً؟

- مخطوبان عملياً... حسناً! بل ربما نحن متورطان في علاقة جدية...

- هل فقدت عقلك جورجي؟ يجدر بك أن تتلقي علاجاً نفسياً. ربما يفيدك أن تتصادقي مع الطبيب النفسي المعالج في بلدتك.

- اسمع...! أدرك أن لدينا خلافاتنا على مر السنوات...

- هذا التصريح هو أقل ما تقتضيه الحقيقة. إنه تصريح العصر!

- لكن... فقط اسمعني!

- كلي آذان صاغية.

- كما تعلم، أنا مقربة جداً من والدتك... أنا أحاول أن أرعاها عملياً كل يوم. فقط لأطمئن بأنها على ما يرام.

- وهي كذلك.

- جزئياً.

- اسمعي! أنت تضعين صبري على المحك. ليس لدي الوقت لأمارس التلاعب على الكلام. والدتي تعافت تماماً بعد الأزمة القلبية التي تعرضت لها. تكلمت مع طبيبها بنفسي، وسواء صدقت ذلك أم لا، أنا أتصل بها هاتفياً مرة في الأسبوع.

- لكنك لا تذهب لرؤيتها.

تكلم بيير بضيق قائلاً: «دعينا لا نفتح هذا الموضوع جورجي، فهو موضوع حرج جداً بالنسبة لي».

وجد بيير أن من الصعب عليه أن يتحكم بغضبه وذهوله أمام ما تقوله جورجي. لقد تمتع بحياةٍ تتميز باليسر نسبياً كونه المتلقي لثروة عائلته التي تمّ توارثها عبر الأجيال. شاهد بيير والديه وهما يجعلان الثروة تذهب سدى على مجموعة من المخططات الغريبة العديمة الجدوى، بدءاً من الزراعة العضوية حين لم تكن كلمة الزراعة «العضوية» موجودة حتى في القاموس وصولاً إلى الاستثمارات المالية التي قام بها والده في شركات غرقت فوراً من دون أن تترك خلفها أي أثر، حالما كان والده يقذف بأمواله إليها. لم يبدُ الأمر وكأنه يزعج والديه لكنه أزعجه هو. على أثر ذلك صمم بيير وهو ما يزال شاباً يافعاً، بأن قدره لن يكون مشابهاً لقدر والديه. سوف يصنع ثروته بنفسه، وسوف يمارس السيطرة العديمة الرحمة على كلّ قرش من ثروته وعلى مجرى حياته، والتزم بخطته المحكمة من دون ندم أو أسف. حين توفي والده انكشف المدى الحقيقي لديونه المتراكمة. في ذلك الوقت كان بيير قد جمع ثروة هائلة، وأصبح أحد أكبر رجال الأعمال في البلاد. لا شك أن خطته عبقرية. بدا من الطبيعي ألا يبقى مقيماً في ديفون، إلا أنه حافظ على علاقته مع والدته. راح بيير يزورها كلما سمح له برنامج عمله المحموم بذلك، فيقدم

www.alkottob.com

لها الخدمات فقط لأنه ابنها. لكن... اللعنة! هل هنأته ولو مرة واحدة على إنجازاته؟ بالطبع لا! حتى عندما سدد ديون والده وجعلها تستقر في منزل من اختيارها، وخصص لها مصروفاً من المال يتخطى كثيراً ما يمكنها أن تصرفه خلال حياتها كلها.

بالرغم من ذلك، ما زال بيير غير قادر على أن يصدق ما يسمعه الآن من جورجي، بأنه متورط في علاقة جدية مع هذه المرأة الشقراء المجنونة.

- لن أجاريك حتى بالاصغاء إلى هذا الهراء.

- بيير، إن ديدي محبطة فعلاً.

رد بيير بكلام لاذع وهو يبدو نافد الصبر، فقال: «جميع الناس يشعرون بالاحباط من حين إلى آخر. قلما يكون ذلك مسألة تدعو إلى القلق».

- ديدي ليست من ذلك النوع من الأشخاص الذين يشعرون بالاحباط.

الله وحده يعلم لما أزعجت جورجي نفسها بهذه الفكرة. هذه الفكرة بدت جيدة جداً في حينه، أما الآن وهي تقف وجها لوجه أمام تدقيق بيير فإنها تبدو جنونية.

- نعم، لقد تعافت، من المفترض أن تكون صحتها جيدة. لكنها خلال الأشهر القليلة الماضية توقفت عن فعل كل الأشياء التي تقوم بها عادةً. ما عادت تقصد نادي البريدج مرتين في الأسبوع. في البداية ادعت أنها لم تعد قادرة على ذلك، كما أنها وهبت البطّات التي كانت تربيها إلى المزرعة الخاصة بالأطفال...

- حان الوقت لأن تفعل ذلك.

- إنها تربيها منذ أربع سنوات، بيير!

انحنت جورجي إلى الأمام مستندة إلى الطاولة، في محاولة منها لمشاركته ببعضٍ من قلقها، بالرغم من أنه لم يبدُ أنها تحقق تقدماً. تابعت تقول: «ما زالت ديدي تقوم ببعضٍ من أعمالها الخيرية. لكنني قصدتها عدة مرات هذا الشهر لأراها في الصباح قبل أن أتوجه إلى المدرسة، لأجد أنها ما تزال في

السرير...».

- في أي وقت تتوجهين إلى المدرسة؟

- الثامنة والربع.

- حسناً! والدتي ما عادت شابة فتية. لعلها تشعر فقط بأنها تستحق الاستلقاء من حين إلى آخر بسبب تقدمها في السن.

- ذلك ليس من طبعها.

قال بيير بإيجاز: «الناس يتغيرون عندما يكبرون في السن».

- أعلم أن لديك العديد من الأشياء المهمة لتنجزها، بيير. لكنني جئت من الديار إلى هنا حتى أكلمك، ولن أغادر حتى تسمع كل ما أريد قوله.

- لعلني مخطىء، لكن ألا يعود الخيار لي في أن أصغي إلى ما تريدين قوله أم لا؟ وفي ما يخصني، أظنني سمعت ما فيه الكفاية.

- ما كنت لآتي إلى هنا لو لم يكن الأمر يهم والدتك. هل تظن أنني أستمتع بجلوسي هنا لتقوم بالصراخ في وجهي وإهانتي؟

تساءلت جورجي ما تراها قد تفعل إذا ما قرر أن ينهض ويغادر بكل بساطة. أتراها ستركض خلفه فتجذب كم قميصه فتخدشه وهي تسرع في أثره؟ حين فكرت بالقدوم إلى لندن ظنت أنه سوف يرغب بسماع ما لديها مبدياً اهتماماً أكبر، لكنها نسيت أنه لا يكن الحب والعاطفة الكافيين تجاه من هم من لحمه ودمه كما تفعل هي. لطالما كان والداها ووالداه أصدقاء حميمين مقربين، وحين توفي والداها في حادث سيارة وهي ما تزال مراهقة، أخذها والدا بيير تحت أجنحتهما واعتنيا بها، ويمكن القول إنهما عملياً تبنياها كما لو أنها ابنتهما. في تلك المرحلة كان نجم بيير قد بدأ بالصعود السريع كالنيزك في عالم الأعمال والأسواق المالية، فشعرت جورجي أنها حلت مكانه وملأت الفراغ الذي تركه عند والديه. إن كان بيير قد كره ذلك الأمر فهو حتماً لم يظهر انزعاجه يوماً. لطالما زار والدته وعاملها بأدب وتعاطف كما يفعل أي شخص غريب عن محيطها.

هز بيير رأسه ثم نهض واقفاً، فاستطاعت جورجي أن ترى أكثر

www.rewity.com ARAYAHEEN
www.alkottob.com

السيناريوهات الخيالية رهبة. كما لو أنها فعلاً تقوم بالتقاط كم قميص بيير و . . . لكن بيير قال بكل بساطة ومن دون مقدمات: «يجدر بي أن أذهب إلى مكانٍ ما هذه الليلة، لذا إذا أردت التحدث معي فستضطرين إلى مرافقتي إلى شقتي فنتحدث هناك بينما أحضر نفسي. صدقيني! هذا كل ما يمكنني أن أعرضه عليك».

لم ينتظرها لترد عليه، بل سرعان ما حمل حقيبته الرياضية وبدأ يتجه نحو المخرج، أما جورجي فسارت إثره وهي تشعر بالاحباط. اعتاد بيير أن يطلب من سائقه أن يقله إلى النادي الرياضي، لكنه اليوم قاد السيارة بنفسه إلى هنا. كانت سيارة البنتلي السوداء اللامعة الخاصة تنتظره في مرآب السيارات. عضت جورجي شفتيها وابتلعت رغبتها بأن تقول شيئاً وقحاً حول أسلوب عيش النصف الآخر الثري من الناس.

لم يبدُ لها مناسباً أن تتحدث عن أي شيء جدي فيما كان بيير يركز على القيادة عبر شوارع لندن. في الواقع، لم تشعر بالرغبة في التحدث أصلاً بل شعرت بالسرور لمجرد النظر خارج نافذة السيارة ومراقبة شوارع لندن المليئة بالأنوار. أحست بقلبها يدق بقوة أكبر في صدرها خلال المرات القليلة التي نظرت فيها نحو بيير. صورته الجانبية التي تبدو كمنحوتة تامة المواصفات بدت عابسة بضراوة وشراسة. لا عجب أن الناس يجبنون في وجوده.

يقع منزل بيير في منطقة تشيلسي، أما جورجي التي لا فكرة لديها بتاتاً عن لندن، فاستطاعت أن تدرك من نظرة واحدة أن ثمنه لابد أن يكون باهظاً جداً. لعل السبب في ذلك هو فخامة المجمع السكني الذي انطلقت من حوله مروحة من المباني الطويلة الحمراء من العصر الفيكتوري على شكل هلالي. بالرغم من وقوع هذه المنطقة في قلب لندن النابض ذي النمط الحديث، فإن هذه الناحية ترشح بالهدوء وبالخصوصية والعزلة. لعل السبب هو تلك السيارات الثمينة المركونة خارج المباني والتي تشي بفخامة هذه الناحية من المدينة.

تكلمت جورجي لتكسر جدار الصمت الذي بدأ يمتد بينهما فقالت:

«المكان لطيف هنا، بيير. إنه هادىء جداً. . . في الواقع، هل يسكن أحد فعلياً في هذه المنازل؟ أنا أرى السيارات وبعض الأنوار المضاءة خلف النوافذ، لكن أين هم الناس؟»

ضحكت بتوتر وهو يفتح باب المنزل الأمامي. استدار بيير نحوها لفترة وجيزة وقال: «هذه ليست قرية صغيرة في ديفون، جورجي. الجيران هنا لا يهدرون ساعات من الزمن وهم يثرثرون من فوق سياج الحدائق».

– قد يفاجؤك ما يمكن أن يكتشفه المرء من فوق سياج الحديقة.

– أحقاً؟ لا يهمني ذلك كثيراً. . .

– آه، بالطبع! فنحن لا نتبادل الحديث التافه بخصوص أسواق البورصة أو بخصوص العروض التي يقدمها القطاع الخاص للسيطرة على الشركات.

آخر مرة التقت فيها جورجي إحدى صديقات بيير الحميمات أصغت إلى حديث مطولٍ يثير لدى المرء الرغبة بالنوم حول عجائب أسواق تبادل الأسهم في نيويورك، حيث اتضح أن صديقة بيير عملت هناك لمدة ثلاث سنوات قبل أن تعود إلى لندن لتترأس القسم المتعلق بالتطوير المستقبلي في أحد مصارف الاستثمار.

دفع بيير الباب ففتحه وسبقها إلى الداخل نحو الردهة، وقال: «لا. لمَ عساكم تكسرون هذا القالب في حين أن من الأسهل أن يمضي المرء وقته بكلَ بساطة وهو يتحدث عن الإشاعات المحلية وتصنيع المواد الزراعية؟»

– لماذا أنت شديد. . . شديد. . . الغرور، بيير؟

قذف بيير مفاتيحه على المنضدة الصغيرة الملتصقة بحائط البهو وتجاهل ما قالته جورجي، فقال لها: «أغلقي الباب خلفك جورجي. بالكاد لدي متسع من الوقت لأعرض عليك فنجاناً من القهوة أو مشروباً أقوى إذا رغبت. سأذهب لأبدل ملابسي».

نظر إليها من فوق كتفه بعبوس خفيف وقال متابعاً: «أين تنوين البقاء هذه الليلة؟»

كانت جورجي منشغلة بإلقاء نظرة شاملة على منزله أو على الأقل على ما

www.alkottob.com

استطاعت أن تراه منه. لم يكن ذلك بالضبط ما توقعته. توقعت أن يكون منزله بارداً ومكتفياً بالحد الأدنى من المفروشات... نوعاً ما كشخصية الرجل نفسه. لكنها فوجئت بأن المكان دافىء ولطيف. قاعة المدخل مغطاة بالآجر وألوان أرضيتها قوية كمشتقات اللون الأحمر والفخاري ومشتقات اللون الأزرق وألوان الكريما. أما الجدران فزينت بلوحات زيتية لمناظر طبيعية ريفية معروفة.

طالبها بيير قائلاً: «حسناً!»

شدت جورجي نظراتها الفضولية بالقوة بعيداً عن مراقبة بقية محيطها وهزت كتفيها قائلة: «أنا لم أفكر حقاً بالموضوع. في الواقع اعتقدت أنني سأصل إلى لندن في وقت أبكر بكثير، لكن حصل تأخير في كل مكان. مع ذلك أفترض أنني أستطيع أن أسافر لأعود هذه الليلة، أو يمكنك أن ترشدني إلى فندق صغير رخيص يقدم الفطور أيضاً. هذا إذا كنت تعرف مكان وجود أحد هذه الفنادق؟»

اتكأ بيير على إطار الباب ونظر إليها وهو يضيق عينيه، لكنه لم يقل أي شيء. عوضاً عن ذلك استدار على عقبيه واختفى عبر مدخل الباب بحيث اضطرت جورجي إلى اللحاق به. لكنها تباطأت كثيراً أثناء ذلك لأنه لم تكن لديها أي نية باختصار تفحصها لمنزله. هنالك غرفتان على كلٍ من جانبي البهو الفسيح. استطاعت جورجي أن تلاحظ أن إحداهما فرشت بأثاث بلون الكريما الباردة. أما الغرفة الأخرى فبدت كأنها مكتب عملي فعال مكمل بكل تجهيزات القرن الحادي والعشرين المتطورة.

- خذي وقتك!

قاطع صوت بيير تفحص جورجي للمنزل، فرفعت نظرها وهي تشعر بالذنب لأنه عاد إلى المدخل لينتظرها.

- آسفة.

- أحقاً؟ بشكل ما أجد من الصعب تصديق ذلك.

هذه المرة انتظرها بيير، فتنحى جانباً حتى تتمكن جورجي من تقدمه

داخل غرفة الطعام وبعد ذلك إلى المطبخ، الذي كان واسعاً بما يكفي ليتسع لطاولة طعام فضلاً عن كل الأدوات المطبخية المعتادة. استدار نحوها وهو يحمل إبريق القهوة في يده، وقال: «هل لاحظت أنني لم أذكر أي شيء بخصوص ذاك الهراء الذي أخبرتني به في المقهى لأنني رغبت بمنحك الوقت لتدركي أنها فكرة سخيفة إلى حد غير معقول؟ كما أنني لم أشأ أن تفهمي بشكلٍ ما أنني قد آخذ الأمر بجدية على أي نحوٍ كان، لأنني لن أفعل».

ملأ بيير إبريق القهوة ثم استدار ووضعه على بلاطة المجلى، وتابع: «إذا كنت تقولين لي إن والدتي تتصرف بغرابة على غير عادتها فأنا بحاجة لأن أعرف عن الأمر حتى لو لم أكن بالضرورة موافقاً على ما تقولينه. إذاً...»

سحب أحد الكراسي من تحت الطاولة وجلس عليه، ثم شبك قدمه بكرسي آخر بحيث استخدمه ليضع قدميه عليه، ثم قال: «... أنا أصغي. استفيدي من هذا قدر المستطاع».

- أتعني أن وقتي يبدأ الآن؟

- أنتِ قلتها.

شبك بيير ذراعيه فأعطاها اهتمامه الكامل.

- لم أتصور أن نجري هذا الحديث بمثل هذا الأسلوب.

قال: «هل توقعت مني أن أقفز من شدة السرور لدى سماعي خطتك؟»

- حسناً! كبداية، بإمكانك أن تصغي إلى ما أريد قوله.

- حسناً! أنا أسمعك الآن. أنت تقولين لي إن والدتي ليست على ما يرام. حسناً! لِمَ لا تدعيني أقرر ذلك بنفسي؟

- أتعني أنَك ستزورها؟

- أعني أنني سأتصل بها هاتفياً وأسألها عن هذا الموضوع بأسره.

- وهل تتوقع أن تفضي لك بمكنونات قلبها عبر الهاتف؟

- لِمَ لا؟

- لأن هذا ليسَ هو الأسلوب الذي يعمل به الناس، بيير. ليس والدتك على الأقل. أنت تعرف كم هي فخورة بنفسها و...

www.alkottob.com

- ماذا؟

- . . . هي تشعر بالاشتياق إليك.

تلونت وجنتا بيير بلونٍ غامقٍ لدى سماعه ذلك. هذا في الواقع انتقاد مبطن. لاشك لديه بذلك. وعبس قائلاً: «اشرحي لي الأمر».

- أعني أنها على الأرجح تكره أن تظنها ضعيفة.

- هذا الحديث لا يؤدي إلى أي مكان، ويجدر بي أن أبدل ملابسي.

لحقت به بسرعة مصممة على إنهاء الأمر الذي تحملت لأجله مشقة السفر لساعات، حتى لو تعمد بيير أن يصدمها بقوله إنه غير راغبٍ بالمساعدة. تمهلت قليلاً عند مدخل باب غرفة نومه، ومن دون أن يزعج بيير نفسه بأن يستدير قال لها: «يمكنك أن تدخلي جورجي»

فتحت جورجي فمها، ثم بلعت ريقها من دون أن تحدث صوتاً، فيما بدأ بيير بخلع قميصه القطنية الرياضية التي جذبها فوق رأسه بحركة خفيفة رشيقة من دون أن يستدير نحوها. حدقت به مسحورة برؤية صدره العريض الممتلىء بالعضلات. إنه نموذج تام عن الجسد المثالي ببشرته الذهبية السمراء التي ورثها عن والدته. أخيراً حين استدار بيير تصادمت عيونهما، فأشاحت جورجي بنظرها بعيداً على الفور وقد أصبح وجهها أحمر اللون.

- يمكنك أن تتحدثي الآن إذا رغبت بذلك.

قال بيير ذلك فأصدرت جورجي صوتاً مكتوماً وأخيراً تطور إلى كلام مترابط، فقالت: «العله. . . يفترض بي أن أنتظر إلى أن تنهي استحمامك».

- كما تشائين، لكنني سوف أكون في طريقي إلى الخروج حينها، إلا إذا رغبتِ بمرافقتي إلى موعدي الغرامي. أنا أقترح عليكِ أن تتابعي ما ترغبين بقوله هنا.

- أنا. . . أنا لا أرغب بإحراجك. . .

- تقصدين أنك لا ترغبين بإحراج نفسك.

ضحك بيير وقال: «صدقيني أنا لا أحرج بسهولة، وذلك ناتج عن تربيتي في مدرسة داخلية. فهنالك يتخلص المرء سريعاً من تعقيداته».

لكن جورجي ظلت تشعر بالانزعاج رغم أنها أدارت وجهها إلى الاتجاه الآخر فيما وضعت يدها على خصرها. دخل بيير إلى الحمام مبقياً الباب مفتوحاً وفوجىء بأنها سحبت الكرسي فجلست عليه وبدأت تكلمه. بالرغم من أنها لم تكن قادرة على رؤيته، لكنها حتماً قادرة على سماعه والتحدث إليه. فوجىء بيير بإصرارها هذا وتساءل لأول مرة في حياته عن مدى خبرتها في العلاقات العاطفية. هذا إذا كانت لديها أي خبرة على الإطلاق. إنها في العشرينيات من عمرها، جميلة وتتمتع ببعض الصفات المميزة. ولا بد أن هنالك بعض الرجال المؤهلين للزواج في القرية يبحثون عن امرأة تصلح لتكون زوجة. . .

اضطرت جورجي لأن تصرخ بصوت أعلى من المياه المتدفقة حين قالت: «حظيت بفرصة للتحدث مع والدتك منذ بضعة أيام. سألتها عن سبب تخليها عن لعب البريدج، وأخيراً اعترفت لي. . .»

- اعترفت بماذا؟

أطفأ بيير صنبور المياه وخطا خارج المغطس وهو يلف منشفة حول خصره، فيما راح يملأ المغسلة بالماء الدافىء حتى يحلق ذقنه. الآن بات بمقدورها أن تراه أو على الأقل أن ترى ظهره، فحين ينظر إلى المرآة بمقدوره أن يلاقي عينيها فعلاً.

- منذ أن أصابتها تلك الأزمة القلبية الطفيفة أصبحت محبطة. قالت لي إن الأمر بدأ بعدم اكتراثها لأي شيء. أحياناً تبقى رابضة في مكانها حتى حلول موعد الغداء، ثم تخرج من السرير فقط لأنها تعلم بأن هنالك احتمال بأن أمرّ بها في وقتٍ لاحق من بعد الظهر وأنا في طريق عودتي من المدرسة.

توقف بيير ونظر إلى جورجي في المرآة، ثم قال: «لم تذكر لي أي شيء من ذلك. لا! لا تقولي لي إن ذلك سببه أنها تخاف مني».

بدا بيير جامداً جداً، لكنه استطاع أن يشعر بالرجفة الخفيفة في فكه.

- بالطبع هيَ لا تخاف منك!

تساءلت جورجي إن كان صوتها قد بدا هشاً بعض الشيء. إن ديدي لا

www.rewity.com RAYAHEEN
www.alkottob.com

تنتقد ابنها مطلقاً من وراء ظهره، لكن من السهل جداً أن يقرأ المرء ما بين السطور؛ بيير ووالدته لم يكونا على علاقة مريحة عبر السنوات، وهي تقبلت اللوم على ذلك. لامت والدته نفسها على إرساله إلى مدرسة داخلية، لأن والده التحق بمدرسة داخلية وكذلك جده ووالد جده من قبل، فذلك هو التقليد المتبع في الأسرة. ثم لامت ديدي نفسها لأنها لم ترتقِ إلى مستوى الحياة الذي أراده بيير، ولأنها تصرفت بأنانية فاتبعت أسلوب حياةٍ غريب الأطوار. ديدي وتشارلي أحبا هذا النمط لحياتهما، لكن ابنهما بيير كان يمقته ويشعر أنه مخيب لآماله. لطالما افتخرت ديدي بابنها إلى حد السخف، لكنها ما انفكت تشعر كما لو أنها تسير على قشور البيض في وجوده. أقرت بنفسها أن ذلك على الأرجح خفف من رغبته بالعودة إلى ديفون لزيارتها دوماً كما ترغب بأن يفعل. بالإضافة إلى ذلك، هنالك مسألة النساء اللواتي كان يحضرهن للقائها. اضطرت جورجي إلى الإقرار: «مع ذلك فأنت قد تكون مخيفاً بعض الشيء».

أسقط بيير شفرة الحلاقة من يده، وغسل وجهه من دون أن يزعج نفسه بأن يحلق أصلاً، ثم تمشى خارج الحمام ووقف مشرفاً عليها وهو يشبك ذراعيه وقد شد فمه في خطٍ رفيعٍ، فقال: «ماذا تعنين بذلك؟»

- إن طريقتك في التعاطي مع الناس فظة.

- أنا لست سخيفاً، إذا كان هذا ما تقصدينه. أدرك أن والدتي تفضل لو أنني أدير مركزاً للمنتجات الطبيعية في مزرعة ما في ديفون، لكن بكل بساطة عليها أن تتقبل أن ذلك لن يحصل أبداً.

- لا تكن سخيفاً!

قالت ذلك وهي تحدق بكتفي بيير العريضتين المتصلبتين، ثم أردفت: «لكنها تكبر في السن. أعتقد... لا، بل أعرف أن إحباطها مرتبط باعتقادها أنها خسرتك لصالح لندن والأعمال المهمة».

- إن لندن والأعمال المهمة سمحا لي بإيفاء ديون والدي وشراء منزل لوالدتي.

- نعم، أعرف ذلك. لكن...

- لكن ماذا؟

قالت جورجي: «حالة ديدي النفسية في هبوط. قصدت الدكتور تومبسون منذ بضعة أيام بشأن هذا الموضوع وكان صريحاً جداً معي. قال إنها في سنٍ تجعلها تعتقد أنها على حافة القبر. من الواضح أن ذلك يحصل بالتحديد مع الأشخاص الذين يبقون بمفردهم بعد وفاة شريك حياتهم. ذلك يجعلهم محبطين، ومع مرور الوقت تتآكلهم الهموم حتى يخسروا فعلياً رغبتهم بالعيش. الطبيب لا يحبذ فكرة إعطائها أدوية لمعالجة الإحباط، فهو يقول إنها قد تتحول إلى إدمان، فينتهي بها الأمر إلى مواجهة مشكلة شبيهة بالاحباط وعلى المستوى نفسه من الخطورة. كما أن ديدي تعترض كلياً على تناول هذه الأدوية».

حظيت جورجي بكامل اهتمام بيير إذ مرر أنامله في شعره، ومشى عبر الغرفة ليجلس في الكرسي الضخم بالقرب من النافذة، ثم أدارها لتصبح مواجهة لجورجي بحيث يتمكن من النظر نحوها.

- الطبيب أخبرني أن أفضل دواءٍ منشطٍ لديدي هو أن تحظى بشيءٍ تتطلع إليه، شيء يساعدها على جعل أيامها ذات معنى...

قاطعها بيير فجأة: «بمقدورها أن تحصل على أي شيء ترغب به. لطالما أوضحت لديدي بأن المال ليس مشكلة حين يتعلق الأمر بتلبية رغباتها وحاجاتها. إذا كانت ترغب بالذهاب في رحلة سياحية منظمة فما عليها إلا أن تقول ذلك. ذلك قد يكون تغييراً جيداً. إن الأشخاص الأكبر سناً يفضلون هذا النوع من الرحلات».

- ديدي... رحلة سياحية منظمة؟

- ربما ليس رحلة سياحية منظمة.

قال بيير ذلك بسرعة وهو يفكر بوالدته ذات الطباع الخارجة عن المألوف، والتي قد تعتبر أي نوع من الرحلات السياحية المنظمة كشكلٍ من أشكال العقاب.

www.alkottob.com

– ما تريده ديدي هو شيء لا يمكن شراؤه. تمكنت من سحب ذلك الاعتراف منها شيئاً فشيئاً. أخبرتني أن الشيء الوحيد الذي تريده فعلاً هو أن تكون أنت سعيداً، وأن تحظيا كلاكما بنوع من التقارب.

– ليس هنالك أي خطب في علاقتنا.

وقف بيير، ثم عبر الغرفة متجهاً نحو خزانة ملابسه ففتح الباب بقوة. في الواقع، إن فكرة جلوسه مع جنيفر لتناول عشاءٍ فرنسي متكلف لم تعد تبدو له مشوقة في هذه اللحظة. منذ ثلاث ساعات كانت حياته هادئة منظمة تماماً كما يحبها، لكنها لم تعد كذلك الآن.

ردت جورجي بسرعة: «أنا لم أقل أبداً إن هنالك خطباً ما. أنا بكل بساطة أحاول أن أشرح سبب مجيئي إلى هنا... والدتك تود أن تراك مستقراً. أعتقد... أنها تشعر بالمسؤولية لأنك لم تتزوج بعد... أعتقد أنها تشعر بأن طفولتك كانت غير مستقرة والآن أنت تدفع ثمن غلطة ارتكبتها هي من دون أن تقصد ذلك، إنها حتى...»

كانت تدير ظهرها نحو بيير الذي كان يرتدي ثيابه، فقاطعها قائلاً: «يا له من كلام تافه! أنا لا أؤمن بكل هذه الثرثرة. أفترض أنك شجعتها على التعبير عن مخاوفها وأقنعتها بأن تقول ما يجول في خلدها».

أطلق بيير نظرة حارقة باتجاه جورجي وتابع: «لعلك تقومين بتعليم الأطفال الصغار كيف يرسمون بأناملهم وكيف يقومون بالحسابات البسيطة، لكن ذلك لا يعطيك حق التدخل في حياة الآخرين».

– أعلم ذلك!

– إذاً ما الذي تظنين أنك تفعلينه بتشجيع والدتي على محاولة تحليل نفسيتها؟ بدت لي على خير ما يرام عندما كلمتها منذ أسبوع.

– حسناً! هي ليست كذلك، كما أنها ليست على ما يرام منذ فترة.

– وما هو الحل الذي ابتدعته بعد أن أجلستها على أريكة مريحة وشاركتها بجواهر حكمتك؟ ما الذي قلته لها؟ إنها ما عادت بحاجة للقلق على ابنها المتمرد العنيد، إذ إنه يخرج برفقتك أنت، بغض النظر عن أنني أتمتع

بحياة عاطفية متوازنة تماماً، وأن ديدي في الواقع تعرفت إلى بعض صديقاتي الحميمات السابقات؟

– همم!

– ما الذي تقصدينه بهذه الهمهمة؟

بالكاد أدرك بيير أنه أخرج ملابسه من خزانة الملابس وارتداها. بعدئذٍ سار ليصبح في مواجهتها.

– لا شيء.

– بعد أن وصلتِ إلى هذا الحد، جورجي، لا تقولي لي إن كلامك نضب الآن فجأة.

أحست جورجي فعلاً وهي تنظر إليه كما لو أن فمها محشو بالقطن، كما أن تفكيرها بدا معطلاً لبضع ثوانٍ مربكة. بيير يبدو وسيماً جداً إلى حدٍ مرعب. لم يكن قد أزعج نفسه بتمشيط شعره بل ببساطة مسحه إلى الوراء بأنامله، فبدا مشعثاً ويتناقض تماماً مع لباسه الرسمي. ما زالت جورجي تذكر أنها عندما كانت مراهقة سخيفة كانت تشعر بارتعادة عندما تنظر إليه. أما الآن بالذات، فإن تلك الارتعادة التي تشعر بها في داخلها تبدو شبيهة بشكلٍ مزعج بما أحست به في الماضي، إلى درجة أن جورجي اضطرت إلى جر نفسها لتعود إلى الواقع فتذكر نفسها بسبب مقتها العميق له.

– حسناً! بشأن صديقاتك الحميمات... حسناً! هنّ لسن سهلات المراس والرفقة. أليس كذلك؟

– أنا لم أواجه أي مشكلة معهن أبداً.

– لأنك تستمتع بمناقشة شؤون المال والسياسات المالية الحكومية.

– أتعنين تلك الأمور المملة التي تجعل العالم يدور؟

استنشقت جورجي نفساً عميقاً وانجرفت في حديثها قائلة: «أعني... والدتك تجد أن صديقاتك يصعب التودد إليهن نوعاً ما...».

– من الصعب أن أصدق بأن ديدي غرقت في الاحباط لأنها وجدت من الصعب أن تتودد إلى صديقاتي الحميمات السابقات. مما يذكرني...

www.alkottob.com

نظر بيير إلى ساعة يده، فأدركت جورجي وهي تشعر بقلبها يغوص في صدرها أنها قامت برحلتها المعقدة هذه ولم تصل إلى أي نتيجة. لم يبق أمامها إلا أن تلمح لديدي بلطف أن علاقتها الرومنسية المختلقة مع ابنها وصلت إلى نهايتها أو ربما بإمكانها أن تتابع لعب هذه المهزلة لكن بغياب الرجل الذي يؤدي الدور الرئيسي فيها. فكرت أن أياً من الخيارين ليس احتمالاً مقبولاً. نظر بيير إلى جورجي بعينين ضيقتين ما أعلمها بوضوح بأن ماخططت له في ذهنها المشتت لا يبلغ أي حد من حدود المعقول.

- تعلمين ما يقال عن حبل الكذب.

أكمل بيير كلامه، قبل أن يحمل سترته ويرتديها استعداداً لمغادرة الغرفة.

- كنت يائسة!

وجدت جورجي نفسها تجذب طرف سترته، وما لبثت أن أبعدت يدها إلى الوراء كما لو أنها أحرقتها، لكن حركتها تلك أجدت نفعاً لأنه على الأقل استدار لينظر إليها.

- سأقول لك أمراً جورجي: أنت كثيرة الإلحاح. لو أن بمقدورك أن توظفي إصرارك هذا لصالح... لنقل شيئاً مملاً كالاهتمام بشؤون العالم، فمن يعلم إلى أين ستصلين؟

لكن ملاحظة جورجي حول صديقاته الحميمات أصابت الهدف فعلاً، وهو صدق جورجي تماماً حين أخبرته أن ديدي وجدتهن صعبات المراس. والدة بيير وجورجي مقتنعتان بفكرة: «عش يومك فقط». تابع كلامه وهو يستأنف قفزه نزولاً عن الدرج: «في مطلق الأحوال، ماذا نويت أن تخبريها بعد وصول هذه العلاقة الغرامية المزيفة إلى نهايتها الحتمية الطبيعية؟»

- آه! من يعلم، بيير. لعلني كنت سأنقلك إلى العالم الجديد فأبتكر لك أسلوب حياة مختلف تماماً! ربما بمقدوري أن أحولك إلى أي شيء غير آلة لصنع الأموال، و... ربما سأريحك من أي مسؤولية لأن تزور والدتك من جديد!

أوقف هذا الكلام بيير عن سيره، وحين استدار ليواجه جورجي بدت

تعابير وجهه قاسية متصلبة. قال: «احذري، جورجينا! أنا أسمح لك أن تدلي بوجهة نظرك عني نظراً إلى تاريخنا سوياً، لكن هنالك حد معين لن أسمح لك بتجاوزه. أما أن تطلقي العنان لفمك حيال مسائل تجهلينها فهو أمر غير مقبول. أنا أستمتع برؤية والدتي، وإذاكنت لا أحظى بمقابلتها بقدر ما نتمنى كلانا فذلك سببه أسلوب حياتي. إن الشركات لا تدير نفسها بنفسها بشكل سحري. إنها بحاجة إلى شخص ما ليدير دفتها، وهذا الشخص هو أنا. وقبل أن تنطلقي في خطابٍ آخر حول عدم جدوى كوني آلة لصنع الأموال، فقط أعيدي ذهنك إلى الوراء إلى حيث وصل والدي فيما كان يعيش مسترخياً خالي البال».

- لكنه كان سعيداً! كلاهما كانا كذلك!

تنهد بيير وقال: «أعلم ذلك، جورجي. اسمعي! عليّ أن أذهب الآن. من الأفضل أن تنامي هنا هذه الليلة. تأخر الوقت كثيراً على عودتك الليلة إلى منزلك، وأنا لن أسمح لك بأن تتجولي في الشوارع بحثاً عن مكانٍ رخيص تنزلين فيه. هناك مناشف في إحدى الخزائن في الطابق العلوي، ويمكنك أن تختاري أياً من غرفتي الضيوف. هنالك طعام في المطبخ. يمكنك أن تتدبري أمرك في أرجاء المنزل. أما التلفزيون فهو في غرفة الجلوس في الطابق السفلي».

- مع من ستخرج؟

رفع بيير حاجبيه، وقال: «هل يؤدي هذا السؤال إلى أي مكان؟»

- لست أفهم ما تعنيه.

- ما أقصده هو أنني إذا أخبرتك بأن اسمها جينيفر ستريبيت، وأنها محامية في إحدى مؤسسات المحاماة المتخصصة بالضرائب، فهل ستستخدمين المعلومات لاحقاً كدليل ضدي؟

ابتسمت جورجي بتردد ثم أقرت: «أعتقد أن ذلك محتمل».

- إذاً، من الأفضل أن أقول إن اسمها هو... كاندي فلوس وإنها راقصة تعمل في نادٍ ليلي...

www.alkottob.com

- بكل بساطة هنالك أشياء يصعب تصديقها بيير، وهذه إحداها!

- ألأن الشيء الوحيد الذي أجيد فعله حقاً هو جني المال، والنساء الوحيدات اللواتي أواعدهن هن نساء يجنين المال أيضاً؟ نحن لا نتكلم عن شؤون المال فقط، جورجي. نحن أيضاً نقضي وقتاً ممتعاً.

قال كلماته الأخيرة بنعومة، فشعرت جورجي لبضع لحظات كما لو أن الأوكسجين قد سحب من داخلها. حين تلاقت عيونهما من جديد رأت الابتسامة البطيئة على فمه، وشعرت بالصدمة لمقدار إحساسها بجاذبيته التي لا تقاوم.

- حسناً! أرجوك فكر بكلامي قليلاً، بيير.

حاولت جورجي أن تقضي على أفكارها المتمردة، بالرغم من أن صوتها بدا مؤثراً وعالي النبرة، فقالت: «أنا فعلاً قلقة...»

آه! ليت نبرة صوتها تنخفض قليلاً. تابعت: «... أنا فعلاً قلقة على والدتك، وأنا مستعدة لفعل أي شيء حتى أخرجها من حالتها الذهنية المشوشة تلك، حتى لو اضطرني ذلك إلى الاستمرار بالادعاء. أنا لست من صنفك المفضل من النساء...»

فكرت جورجي بصنف صديقاته الحميمات كتلك المحامية المتخصصة بالضرائب. تابعت: «... تماماً كما أنك لست صنفي المفضل، لكن والدتك قد تشعر بالسرور. ولعل ذلك هو كل ما هي بحاجة إليه حتى تعود حياتها إلى مسارها الصحيح».

لماذا تراه يشعر بالذنب بحق الجحيم؟ ليست لدى بيير أدنى فكرة.

هو حقاً لا يشعر بالمسؤولية حيال حالة والدته الذهنية. إنه يقوم بواجبه تجاهها على أكمل وجه. حسناً! قد يتمكن من زيارتها أكثر بشكل دوري، لكن كم مرة دعاها لتزوره في لندن وتقيم معه؟ في كل مرة كانت والدته ترفض العرض. هو حقاً قام بأكثر مما هو مطلوب من أجل ديدي، ورغم ذلك... فجأة قال بيير: «سأراك غداً جورجي. أطفئي الأنوار عندما تتوجهين إلى الطابق العلوي».

غادر بيير المنزل وهو يشعر بأن ضميره مثقل بشكل مزعج، أما الأسوأ من ذلك فهو أنه بدأ يتساءل إن كانت جنيفر فعلاً جزءاً من الجانب المظلم الممل في حياته. أخيراً وجد نفسه يحتسب ذهنياً عدد المرات التي أشارت بها إلى عملها.

عاد إلى منزله في وقتٍ أبكر بكثير مما توقعه، ليجد أن جورجي لم تخلد إلى النوم بعد، وذلك نظراً إلى الأضواء المنبعثة من البهو. عندما دخل إلى المنزل، فاجأها وهي تخرج من غرفة الجلوس وقد اغتسلت ومسحت تبرجها فيما ارتدت إحدى قمصانه القطنية الفضفاضة مع سروالٍ رياضي حزمته بإحدى ربطات عنقه. حدّقا ببعضهما، وبدت جورجي متفاجئة لعودته المبكرة. أما هو فكاد يبدي إعجابه بتلك الملابس التي بدت ملفتة من دون أن تتكلف عناء ذلك.

رن جرس الهاتف في تلك اللحظة بالذات هناك على الطاولة المجاورة لجورجي. أليس من البديهي أن تلتقط جورجي السماعة؟

www.alkottob.com

٣ - تهور أم خيال؟

مدت جورجي يدها بحركة تلقائية لرفع السماعة. إنها تتصرف على هذا النحو حتى في منازل أصدقائها، ولم تجد تفسيراً لذلك سوى أن تلك عادة اكتسبتها من خلال تمضية الكثير من الوقت في المدرسة.

بدأ بيير بخلع سترته فيما أدرك على الفور أن جورجي تعرف المتصل. انشرحت معالم وجهها وأطلقت ابتسامة مشرقة، ففكر أنها لا تحتاج إلى الكثير من التحريض كي تتحول ابتسامتها إلى ذاك النوع من الضحكات المعدية التي تنجح دوماً في جعل أكثر الأشخاص المملين الصارمين يبتسم بدوره.

وضعت جورجي يدها فوق سماعة الهاتف وقالت له: «إنها ديدي».

عبس بيير بعد أن خلع سترته وبدأ يرخي ربطة عنقه، ثم مد يده لتناول الهاتف. استدارت جورجي مبتعدة حتى تسمح له بالخصوصية لتلقي الاتصال، فسمعت كلماته الأولى وهو يقول لوالدته: «ديدي. ما الذي تقصدينه باتصالك في هذا الوقت المتأخر؟ هل من خطبٍ ما؟»

توجهت جورجي بعد ذلك نحو المطبخ، لأنها بشكلٍ ما استغربت شعور الخلود إلى السرير فيما هي تعلم أن بيير يطوف المكان في الطابق السفلي. أدركت متأخرة أنها استعارت لنفسها بعضاً من ثياب بيير التي كانت معلقة في الخزانة الاحتياطية. بالطبع، هي لم تتحلّ ببعد النظر لكي تجلب معها ملابس احتياطية لأنها توقعت أن تنجز رحلتها في يوم واحدٍ. تساءلت لماذا عاد بيير باكراً إلى المنزل. لم تصل الساعة إلىّ الحادية عشرة بعد!

بدا الجو دافئاً لطيفاً داخل المطبخ. وراء طاولة المطبخ هناك مساحة صغيرة فيها تلفزيون وأريكتان وثيرتان. جلست جورجي على إحداهما حاملةً كوب القهوة في يدها. كانت قد بدأت فعلاً تشعر بالنعاس حين سمعت بيير يدخل، ورغم ذلك فهي لم تدر رأسها نحوه. وصل بيير إلى حيث تجلس. وقف مشرفاً عليها قبل أن تلاحظ ملامح وجهه المتجهمة الغاضبة. جلست جورجي باستقامة، ولوحت بإحدى يديها مبدية حركة مسترضية له فيما قالت: «حسناً... حسناً! أعلم أنه ما كان يجدر بي أن أستعير ملابسك، لكنني وجدتها مرمية بإهمال في خزانة الملابس في غرفة الضيوف، لذا افترضت بكل بساطة أنها ملابس فائضة عن حاجاتك الضرورية».

بدا بيير كما لو أنه بركان على حافة الانفجار، تابعت قائلة: «سوف أخلعها إذا كان الأمر يزعجك إلى هذه الدرجة».

- أنا لا آبه أبداً بخصوص الملابس، جُورجي!

تابع التخلص من ربطة عنقه، ثم قذفها على أحد الكراسي. تكلمت جورجي غير واثقة فقالت: «آه! ذلك مريح. بالطبع سآخذ الملابس معي إلى الديار، فأعيدها إليك بعد أن أرسلها إلى المصبغة».

- قلت لكِ إنني لا آبه بشأن الملابس!

نظرت إليه بصمتٍ وسألته: «هل يمكنني أن أعد لك كوباً من القهوة... أو شيئاً ما؟»

جلس على الأريكة إلى جانب جورجي ورمقها بنظرة مطولة.

استأنف كلامه قائلاً: «أهذه إحدى عاداتك السيئة بأن تردي على الاتصالات الهاتفية الخاصة بالآخرين؟»

أحست جورجي كما لو أن فخاً ما يفغر فمه واسعاً تحت قدميها لابتلاعها، لكنها لاقت ملاحظة بيير بابتسامة اعتذار قائلة: «أعرف أنه تصرف بغيض... عادة بغيضة. في الواقع ليس في مدرستنا موظف ليرد على المكالمات الهاتفية بَعد أن غادرت آخر فتاة تولت هذه الوظيفة، هذا هو السبب الذي يدفعني إلى رفع السماعة من دون تفكير حين أسمع رنين

www.alkottob.com

الهاتف».

– وذلك أيضاً يفسر إلى حد بعيد سبب قيامك بغالبية الأشياء من دون تفكير. فمن دون تفكير تبتكرين قصة سخيفة مفادها أننا نخوض علاقة غرامية... من دون تفكير تسافرين إلى لندن محاولة جذبي إلى مخططك الجنوني... من دون تفكير تهرعين لالتقاط سماعة الهاتف حالما يرنّ من دون أي احترام لخصوصيات الشخص الآخر.

– أعترف أن التفكير المنطقي يتأخر أحياناً لدي...

– أحياناً؟

نظر إلى جورجي نظرة نارية حارقة ثم قال: «حسناً! نتيجة تفكيرك المنطقي المتأخر هي أن والدتي باتت الآن مقتنعة بأن القصة الخرافية الصغيرة التي لفقتها لأجلها هي صحيحة مئة بالمئة. لماذا تراك تردين على اتصالاتي الهاتفية عند الساعة العاشرة والنصف ليلاً لو لم نكن متورطين في علاقة غرامية متهورة؟ يبدو أنك أخبرتها أننا نتواعد منذ بعض الوقت، لكنك لم ترغبي بإطلاعها على أي شيء لأن الأمر برمته جديد عليك كما يبدو. لا أدري متى يفترض أن تكون هذه اللقاءات قد حصلت، لكن لاشك أن لديك الجواب عن هذا اللغز!»

– خلال عطل نهاية الأسبوع.

أقرت جورجي بذلك بصوت منخفض، ثم حدقت نزولاً نحو كوب القهوة الذي تحمله متمنية لو أن الأرض تنشق وتبتلعها.

كرر بيير كلام جورجي: «خلال عطلات نهاية الأسبوع؟»

أومأت جورجي وتمتمت قائلة: «لقد... تغاضيت عن التفاصيل. فقط أوحيت لها نوعاً ما أن الأمر برمته كان سرياً ومشوقاً. أعلم أنه ما كان يجدر بي أن أفعل ذلك، لكن والدتك كانت تبكي وتقول إنها تتمنى لو أنكما أكثر تفاهماً مع بعضكما، وإنها سوف تموت من دون أن ترى لها أحفاداً، وإنها لا تطيق أولئك النساء اللواتي كنت تحضرهن لرؤيتها...».

– وبما أن قلبك الرقيق تلوّى تعاطفاً معها قررت أن ألطف شيء يمكنك

أن تفعليه هو أن تلفقي قصة خيالية عنّا!

لم يأبه بيير كثيراً بخصوص بكاء والدته، فهي لم تكن يوماً من الأشخاص الكثيري البكاء والشكوى. هو في الواقع يتذكرها ممتلئة بالحياة، كثيرة الضحك والمرح. فهي تجذب الناس من حولها بشخصيتها المتميزة بالحماس والمرح..

قال بإيجاز: «أنا لست متحجر القلب. يمكنني أن أرى أنك على الأرجح شعرت بالحاجة لتهدئة بال والدتي، لكنها وقعت في شباك قصتك تماماً».

جلس بيير مستنداً إلى الوراء وأغمض عينيه. قالت جورجي بهدوء: «لا بد أنها تضايقت كثيراً حين أخبرتها الحقيقة. لديك الحق تماماً بأن تشعر بالغضب».

– الغضب؟

فتح بيير عينيه من جديد وحدق بجورجي غير مصدق، ثم قال: «الغضب؟ الغضب هو شيء تشعرين به حين تكونين بانتظار رسالة مهمة فيصل ساعي البريد متأخراً ساعة عن الوقت المحدد. الغضب هو عندما لا تكونين قادرة على إيجاد مفاتيح منزلك!»

ردت جورجي بكلمات لاذعة فقالت: «آه، حسناً! فهمت الصورة: السخط والغيظ إذاً. هل هذا تعبير أفضل؟»

نظر إليها بعينين ضيقتين وقال: «لماذا تتصورين أنني أنقذك من خوض معاناة أن تخذلي ديدي بنفسك؟ مهما يكن، فأنت التي أدخلتنا كلينا في هذه الورطة أصلاً».

– أتعني أنك لم تقل لها شيئاً؟

– لم تبدُ لي ديدي في حالةٍ ذهنيةٍ تسمح لها بأن تتحمل تحطم آمالها الكبيرة.

نهض بيير فسكب لنفسه قليلاً من الماء وعاد ليجلس على الأريكة. ذلك منح جورجي أي وقت حتى تدرس خياراتها، أو بالأحرى حتى تواجه خيارها الوحيد الذي يقضي بأن تنسل عائدة إلى ديفون فتعترف

www.alkottob.com

لديدي بكل شيء.

سألته بصوتٍ ضعيف: «أي حالة ذهنية تقصد؟»

شعرت أنها كالذبابة التي تنجذب إلى لهيب النار، وأنها مجبرة على معرفة كل التفاصيل التي تجعل مهمتها المقبلة أكثر إيلاماً.

- سعيدة... متفائلة... متحمسة كالفتيات! هل تفهمين الصورة هنا؟

ردت جورجي بعبوس: «بوضوحٍ تام. لا تقلق، سوف أفسر لها الأمر برمته غداً. ديدي سوف تتفهم».

أو ربما سوف يخيب ظنها بمرارة، لكن جورجي ترفض التفكير بهذا الاحتمال.

أطلق بيير شتيمة من تحت أنفاسه، وقفز ناهضاً على قدميه ثم قال: «كيف بحق الجحيم استطعت أن تضعيني في موقف كهذا؟»

بدأ يخطو عبر المطبخ، متمهلاً من حينٍ إلى آخر حتى يحدق بإحدى الأدوات المطبخية، ثم يعيد انتباهه من جديد نحو جورجي.

- أنا آسفة. كم مرة تريدني أن أقول لك ذلك؟ لعلك تريدني أن أدون اعتذاري مئة مرة كعقاب لي؟

نهضت جورجي من مكانها، وتابعت: «يجدر بي أن أعود إلى النوم الآن. يبدو أن يوم الغد سوف يكون يوماً ماراثونياً».

- عودي، واجلسي مكانك!

- لماذا؟

وضعت جورجي يديها على وركيها وحملقت ببيير. لأول مرة في حياتها تمنت جورجي لو أنها امرأة أمازونية ضخمة وقوية أو أنها تستطيع أن تنظر مباشرة إلى عينيه فتوجه له نظرة متسلطة. إن بيير يتفوق عليها من الناحيتين الجسدية والذهنية.

- هذا الحديث لم ينتهِ بعد!

- حسناً! لست أرى إلى أين يمكن أن يذهب بنا الحديث. لقد أخفقت.

أفهم تماماً أنني أخفقت. سوف يتوجب علي أن أذهب لتسوية الفوضى التي أحدثتها. هل هناك شيء أبسط من هذا؟

- أنا جاريت والدتي في هذا الادعاء.

قال بيير ذلك بكآبة، فنظرت إليه جورجي مصدومة غير مصدقة وفغرت فمها بانشداه.

عادت وجلست مكانها، فيما راقبت بيير وهو يجر كرسياً خشبياً من دون مسند، ثم يديره ليتمكن من الجلوس عليه.

سألته بصوتٍ واهن: «لماذا؟ أمضيت الساعات القليلة الماضية وأنت تعدد لي الأسباب التي تجعلك ترفض أي علاقة لك بمخططي... لماذا بحق السماء بدلت رأيك في اللحظة الأخيرة؟»

- كبداية، لم تسمح لي والدتي بالتقاط أنفاسي، ثم... أنا لم أسمعها متحمسة إلى هذا الحد منذ... كان والدي حياً.

مرّر بيير أنامله في شَعره بحركة متململة تدل على الاحباط المكبوت، ثم تابع كلامه: «ديدي مقتنعة بحماس بأننا فعلاً نقيم علاقة غرامية سرية. لا يمكنني أن أفهم كيف صدقت الأمر بمثل هذه السهولة. أين تراها تظن أننا نلتقي؟ ألم يخطر لها أنها كانت لتراني أقوم بزيارة البلدة مرات عديدة خلال الأشهر القليلة الماضية لو أنني أطاردك حقاً؟»

كانت جورجي ما تزال تتصارع مع حقيقة أنه مستعد لمجاراتها في فكرتها، والآن بدأت تفكر بالأمر من جديد. سألته: «هل سألتها عن ذلك الأمر؟»

هز رأسه بذهول وأقر قائلاً: «كنت أنوي القيام بذلك، لكن الأمر بدا أشبه بالوقوف في درب جرافة».

- حسناً! ما الذي سيحصل من الآن فصاعداً؟

عندما ابتكرت جورجي قصتها أخذت بعين الاعتبار فكرة أنهما يستطيعان خوض هذه العلاقة الغرامية الخيالية الغامضة من دون أن يراهما الناس معاً في المكان نفسه وفي الوقت نفسه.

- أنا ما زلت غير موافق على ما فعلته، فهو بالفعل مخادع على كل

www.alkottob.com

المستويات. لقد جعلتني مشاركاً في مكيدتك.

- ليتك لا تسميها مكيدة.

- لا بد أن كلامي أصاب الجرح الذي يؤلمك.

نهض بيير وبدأ يعد لنفسه كوباً من القهوة، فيما راقبته جورجي عابسة. قال: «دفعت امرأة مسنة لأن تصدق كذبة... بل في الواقع ما هو أسوأ من الكذب، لأن الفكرة بأسرها غير معقولة بكل ما في الكلمة من معنى».

- لكن نيتي كانت تحقيق شيء جيد.

شخر بيير بازدراء: «أعرف أن والدتي تؤمن بالقصص الخيالية، أما صفعها بقصص الفتيات فلن يجدي نفعاً».

- لِمَ لا؟ أدرك أن الأمر برمته مهزلة لكنه سوف يخرجها من حفرتها السوداء، وهذا هو الأهم.

- أتعنين أن الغاية تبرر الوسيلة؟

- شيء من هذا النوع.

- حسناً! لن نخوض في مناقشة هذا المبدأ. الواقع هو أن ديديَ تصر على أن آتي لتمضية عطلة نهاية أسبوع مطولة. كما قالت شيئاً بخصوص القيام بالتسوق لعيد الميلاد لأجلك.

شحب وجه جورجي ولاحظ بيير تعابير الفزع المرتسمة عليه، فيما أدرك ساخراً ما يدور في رأسها.

- هل اقترحت أن تأتي إلى البلدة؟

- ذلك صحيح. وفضلاً عن ذلك، لن ترتدع ديدي مهما قدمت لها من أعذار. في الواقع كان كلامها معي الأكثر إلحاحاً مما عرفته يوماً منها.

- يمكنني أن أتخيل ذلك.

لطالما بدت حياة ديدي مختلفة كثيراً عن حياة بيير، ولطالما تحسرت على صعود ابنها السريع الطائش في عالم المال والأعمال، وهو أمر لا تملك أي اهتمام به مطلقاً كما أنها لا تفهمه أيضاً. ديدي تدرك أيضاً رفض بيير العميق لما اعتبره نظرة والديه الغريبة تجاه الأموال.

- لن أزعج نفسي بأن أسألك ما الذي قصدته بقولك هذا. سأكتفي بالقول إنها تجاهلت محاولاتي لإقناعها بأن ضغط العمل يزداد خلال الوقت الذي يسبق عيد الميلاد. في الواقع...

فوجيء بيير أنه وجد نفسه يستمتع بالأمر، فتابع: «... طلبت مني ديدي في مرحلةٍ ما أن أصمت وأن أفعل ما تمليه عليّ».

- آه، يا إلهي! لا بد أن هذه هي المرة الأولى بالنسبة إليك.

لاحظ بيير النبرة الساخرة في صوت جورجي، لكنه حين نظر إلى عينيها الخضراوين لاحظ أنهما ترشحان بالتعاطف معه.

- أما النتيجة فهي أن عطلة نهاية الأسبوع تقررت، وأفترض أنكما أنتما الاثنتان سوف تتشاركان تبادل الأسرار بينما تقومان بتحضير وجبة طعام ساخنة للمسافر المرهق ليتناولها حين وصوله.

- لا!

- بلى! هل بدأتِ ترين الجوانب السلبية لمكيدتك الحذقة؟ آه، آسف!

ردت جورجي ببؤس قائلة: «بدأت أكره هذا الأمر. بدا لي الكلام سهلاً حينها، بل كان تنميق القصة ممتعاً نوعاً ما! لم أفكر أبداً ب... تطابق القصتين... أشعر كما لو أنني كاذبة».

- أنت فعلاً كاذبة، بل أسوأ... أنت شخص مستعد لجرجرة الأشخاص الآخرين إلى أكاذيبك، بغض النظر إن كانت هنالك امرأة في حياتي أصلاً.

- آسفة! أنا آسفة أيضاً لأنك اختصرت أمسيتك بسبب وصولي المفاجيء على عتبة بابك.

أومأ بيير بجفاف، بالرغم من أنه يدرك جيداً أنه لم يكن مضطراً لاختصار أي شيء، بالكاد استطاع أن يركز على أي كلمة تفوهت بها جنيفر، بالرغم من أن بعض النقاط التي أثارتها حول مواد قانون الضرائب المعقدة بدت مثيرة جداً للاهتمام، وهي بالواقع على صلة وثيقة بشيء يعمل عليه هو نفسه حالياً. في الواقع وجد بيير انتباهه مشتتاً إلى درجة أنه استسلم واضطر أخيراً

www.alkottob.com

إلى التخلي عن الأمسية مفترضاً أنها ستستأنف في موعدٍ لاحق بعد أن يراجع مفكرته ويتحايل على مواعيده وبرامج عمله.

– لم تكن مضطراً لأن تشعر بالذنب حيال تركي هنا بمفردي.

شددت جورجي على كلامها، أما بيير فأطلق ضحكة مزمجرة وقال: «الذنب؟ أنا؟ لماذا تراني أشعر بالذنب لأنني تركتك هنا؟ أولاً، ما كان يجدر بك أن تكوني هنا أصلاً. ثانياً، أنت على الأرجح قادرة على ضرب أي دخيل حتى الموت بكلامك التافه المستمر».

ردت جورجي بانزعاج: «ذلك ليس لطيفاً حقاً».

– لا، إنه ليس كذلك. أعتذر.

قالت له جورجي ببرود: «يمكنني أن أرى أنك تعني ذلك فعلاً. حسناً! أتريد أن نطابق قصتينا؟»

– ما دمنا عالقين معاً في عالمك الخيالي هذا، فمن الأفضل أن نجعل القصة معقولة قدر الإمكان. متى بالتحديد بدأت علاقتنا الغرامية هذه؟

– منذ بعض الوقت. لعلني ذكرت الستة إلى الثمانية أشهر.

– أخبريني كيف حدث الأمر بأسره. أنا أرغب بقوة بأن أعرف إلى أين قادك ذهنك المبتكر.

– إلى مطعم يقدم السمك في لندن أثناء آخر زيارة لي إلى هنا.

– هل جئت لزيارة لندن؟

– لا، لكن هناك احتمال بأن أزور لندن. لو أنني زرت لندن فعلاً، لربما سأتصل بك هاتفياً لأرى إذا كنت ترغب بالخروج لتناول الغداء معي.

– بالرغم من أننا كلما التقينا ينتهي بنا الأمر إلى التجادل حول موضوعٍ ما؟

– آه، بحق السماء! هل أنت مضطر للاعتراض على كل ما أقوله؟ نعم، التقينا لتناول الغداء! أنا تناولت سمك القد وأنت تناولت التن!

– وبعد أن تناولنا وجبتنا الصحية . . . هل ذهبنا إلى شقتي فانجرفنا مع عواطفنا وغرقنا في علاقة حميمة؟

جلس بيير هناك، فبدا كأن حضوره يملأ المطبخ ويسيطر على قدرتها على التفكير بوضوح. احمر وجه جورجي تماماً، بل إنها كادت تسمع الدماء تضخ ببطء عبر شرايينها. أحست فجأة بإدراك معذب لنفسها كامرأة. امرأة يعتبرها بيير مسلية في أفضل تقدير، أما في أسوأ تقدير فهو يعتبرها بكل صراحة سيئة الطباع. غمرها هذا الشعور المعذب لأنها وجدت نفسها الآن تقف بمفردها معه بعيداً عن الأصدقاء المشتركين والعائلة. تكلمت بنبرة متغطرسة قائلة: «أنا لم أفكر فعلاً بكل تعقيدات الموضوع وتفاصيله. ولا أتوقع أن تطرح ديدي أسئلة متطفلة حول. . . على أي حال، يمكننا فقط أن نتكلم عن الأوقات المحددة والمواعيد التي يفترض أننا التقينا فيها لاحقاً».

– ولماذا لم آت أبداً لرؤيتك في ديفون؟

ردت جورجي بكلمات لاذعة كالدبور: «لأنك أناني إلى حدٍ غير معقول، وأعتقد أنها سوف تصدق هذا!»

مال بيير نحوها وقال بنعومة: «توقفي عند هذا الحد جورجي! إنني الآن أسدي إليك خدمة، فأنا أساعدك على الخروج من الورطة التي أوقعت نفسك فيها. نعم، لعل الأمر سيجدي نفعاً نوعاً ما، فيعطي ديدي شيئاً ما تتطلع قدماً نحوه، لكن ما كان يفترض بي أن أجاريك به. كانت حياتي تسير في اتجاه منظم تماماً من دون تطفلك. لذا أنصحك بأن تبقي مزاجك هذا تحت السيطرة!»

– آه! حسناً، حسناً!

تمتمت جورجي بذلك وقد ارتاحت حين تراجع بيير إلى الخلف فأعطاها الفرصة لتتنفس بسهولة أكثر.

– ما إن تعود ديدي إلى حالتها الطبيعية حتى نخبرها بأن الأمور لم تجرِ على ما يرام بيننا. أفهمت؟ أنا لن أخوض هذا الادعاء لفترة طويلة.

– وأنا أيضاً!

التمعت عينا جورجي الخضراوان وهي تتذكر تحذير بيير بخصوص إبقاء مزاجها تحت السيطرة فخمدت قليلاً. سألته بفضول: «هل ستخبر صديقتك

www.alkottob.com

عن الأمر؟»

هز بيير كتفيه وقال: «ما من داعٍ لذلك».

- ما من داعٍ؟

- إن الجهل نعمة. ألم تسمعي أبداً هذا القول المأثور؟

- لكنه لا ينطبق على أمر كهذا.

- على أي حال، هي ليست جزءاً مهماً من حياتي. نحن نتقابل من حين إلى آخر ونستمتع برفقة بعضنا البعض، إلا أن كلاً منا يعيش حياةً شديدة الانشغال إلى حدٍ لا يسمح بإقامة علاقة غرامية تستهلك الوقت.

- آه!

سألها بيير بطبع حاد: «ألديك أي مشكلة في ذلك؟»

سارعت جورجي إلى طمأنته بأن لا مشكلة لديها في ذلك، لا مشكلة البتة.

- هل أستنتج أن ليس لديك أي صديق متوارٍ في مكانٍ ما؟

ضاقت عينا بيير وهو ينظر إليها، فبحسب معلوماته عنها هي لم تحظ أبداً بصديقٍ حميم لكن بعد التفكير بالأمر، من هو ليقول ذلك؟ في الفترة الأخيرة لم يعد يرى جورجي إلا نادراً خلال رحلاته إلى ديفون، كما أن رحلاته تلك أصبحت قليلة ومتباعدة.

- ليس في الوقت الراهن. لا.

- هل كان لديك أي صديق حميم من قبل؟

نظرت جورجي إلى بيير ببرود، لكن شيئاً ما تحرك في أعماقها. إنها تدرك بالضبط أي نوعٍ من النساء يثير اهتمامه، كما تدرك أنها بالنسبة إليه ليست أكثر من فتاة قريةٍ غير متأنقة. حاولت إدخال نبرة استمتاع على صوتها وهي تسأله: «ما الذي تظنه؟»

رمق بيير جورجي بنظرة بطيئة من رأسها حتى أخمص قدميها ما جعل معدتها تتقلص بشكلٍ غير مريح. وقال: «لست أدري. لا أظن أنك تعيشين حياة مستهترة».

- أنا لا أتصرف بهذا الشكل.

- أي شكل؟

وجد بيير نفسه مهتماً بشكلٍ أو بآخر باعتراضها العنيف. ومن حيث لا يدري، تذكر ما فكر فيه خلال اللحظات القليلة الأولى حين رآها ترتدي ملابسه. بدت جورجي نحيلة صغيرة الحجم وهي ملتفة بتلك الملابس التي غمرتها تماماً، لكنها مع ذلك بدت جذابة.

- أنا لا أقيم علاقات غرامية عابرة، بيير.

تلاقت عيناها مع عينيه الزرقاوين المتألقتين، فأحست بمعدتها تتقلص مرة ثانية. تابعت كلامها: «على أي حال، سواء كان لي أصدقاء حميمون أم لا فذلك ليس من شأنك».

- آه! لكنه من شأني باعتبار أننا الآن مرتبطان! ألا يجعلني ذلك مخولاً بمعرفة كل ما يختص بماضيك؟

بدأت جورجي تشعر بالندم لقرارها المندفع بتوريط بيير معها في علاقة غرامية زائفة. لطالما اعتبرت أنه مثير للملل على الرغم من كونه رجلاً وسيماً، لأن اهتمامه الوحيد يدور حول إنتاج الأموال. لكنها الآن بدأت ترى لمحات عن شخص أكثر تعقيداً، ردت بكلمات لاذعة: «لا! لست أدري لماذا أطلعك على هذا، لكنني حظيت بعدة صداقات مشوقة مع بعض الشبان المثيرين جداً للاهتمام».

- من الواضح أنهم لم يكونوا مشوقين بما فيه الكفاية للحفاظ على اهتمامك لفترة طويلة.

اختارت جورجي أن تغير الموضوع بعد أن جعلتها كلمات بيير تشعر بالارتباك فقالت: «إذاً هل تنوي القدوم إلى ديفون خلال عطلة نهاية الأسبوع؟ ذكرت عطلة نهاية أسبوع مطولة، لكنني أفترض أن التزاماتك لن تسمح لك بذلك في وقت قريب».

- أتعنين أنك تأملين ألا تسمح لي التزاماتي العملية بذلك؟

- أعني أنك إذا كنت غير قادر على إيجاد الوقت الكافي للمضي في علاقة

www.alkottob.com

غرامية مع امرأة، فكيف تراك إذاً تجد فجأة الوقت الذي يسمح لك بأخذ إجازة قصيرة في ديفون؟

– وهل لدي الخيار؟ لا أظنك تتوقعين حقاً أن ندعي أننا مغرمان ببعضنا عن بعد إلى أن يأتي الوقت الذي تعلن فيه ديدي أنها شفيت من إحباطها. أليس كذلك؟

– أنا أشعر بالسوء حقاً لأنك تخدع صديقتك.

– حسناً! كان يجدر بك أن تفكري بذلك قبل أن تباشري خطتك الحذقة. على أي حال، أليس مستغرباً أن تتحدثي عن شعوري بالذنب حيال جنيفر، في حين أنك تبدين مستعدة لخداع ديدي من دون أي شعور بالذنب؟

صمتت جورجي لدى سماعها هذه الحقيقة الجلية، لكن ذلك لم يمنعها من الحملقة إليه بتمرد.

– لأجيب عن سؤالك الأساسي، بعد أن فكرت بالأمر وجدت أن نهاية الأسبوع القادم ستلائمني. سوف أضطر إلى التحقق من مفكرة مواعيدي، لكن كلما كان الأمر أسرع كلما كان ذلك أفضل.

نظر بيير إلى ساعة يده، وقال: «والآن، سوف أقوم بإرسال بعض الرسائل الإلكترونية ثم أتوجه إلى السرير».

بعدئذٍ اختفى خارج المطبخ، فصعدت جورجي إلى الطابق العلوي. إنها تعلم تماماً أين سيعمل وذلك بعد أن استكشفت المنزل بأكمله في غيابه. هي تعرف أيضاً أين تقع غرفة نومه، والآن وجدت نفسها تتخيله وهو مستلقٍ في سريره الواسع الضخم. شعرت بالصدمة لأنها بدت ساذجة بشكلٍ ميؤوسٍ منه بخصوص توقعاتها عن بيير. صوره لها ذهنها شخصية عملية جداً ذات بعدٍ واحدٍ، لكن اتضح لها أن الرجل مختلف تماماً وأن الحقيقة مزعجة بشكل مستغرب. بالطبع، لا يمكنها تفهم أسلوب حياته مطلقاً. أما احتمال أن تكون له صديقة حميمة فهو شيء لم تفكر به حتى. حسناً! لِمَ لا؟ إن الرجل وسيم وفائق الثراء إلى حد غير معقول. لا شك أنه لا يواجه مشكلة في التقرب من أي امرأة يريدها. أما هي فسافرت إلى لندن بسبب اندفاعها

وقلقها على ديدي، وبعد أن حشرت بيير في الزاوية فاضطر إلى مجاراتها في مخططها، أدركت أنه لن يطول الأمر به حتى يكرهها لتدخلها في حياته.

من جهة أخرى، ما الذي سيقولانه لديدي حين ينتهي الأمر برمته؟ جورجي لم تكذب على بيير عندما أقرت له أنها لم تفكر بذلك الموضوع مطلقاً. إن خوفها وقلقها على حالة ديدي الذهنية جعلاها تقفز مجازفة إلى أقصى الحدود.

استيقظت جورجي صباح اليوم التالي لتجد المنزل خالياً ما جعلها تشعر بالارتياح نوعاً ما. وجدت على منضدة المطبخ ملاحظة من بيير يتمنى لها فيها أن تحظى برحلة آمنة إلى ديفون، وأن تنقل حبه إلى ديدي. قرأتها جورجي ثم قذفت بها إلى سلة المهملات.

خلال رحلة العودة إلى الديار فتحت كتاباً لتقرأه، إلا أنها وجدت نفسها تعبس في مواجهة المناظر الطبيعية التي تمر مسرعة أمام عينيها. تساءلت ما الذي زجت نفسها فيه بالضبط، وفكرت أن طبيعتها الرقيقة غالباً ما جرتها إلى مواقف محرجة لا تجري كما خططت لها.

www.alkottob.com

٤ - أغرب من الخيال

لم يزر بيير والدته منذ خمسة أشهر، وحين كان يزورها كان يحضر معه سائقاً ليقود السيارة، وبعد أن يتحرر من ضجيج زحمة السير، يستأنف عمله في المقعد الخلفي لسيارة البنتلي ولا يخرج من انغماسه إلا حين تتخذ السيارة الطريق الجانبي المؤدي إلى منزل والدته. أما اليوم، فاختارأن يقود سيارته بنفسه فيما انطبعت عبارة «اهرب بسرعة» في مكانٍ ما من خلفية ذهنه. لم يتحدث إلى جورجي منذ لقائهما الغريب قبل أسبوع. لم يثق بنفسه ليتحدث إليها لأنه أصبح الآن شريكاً مساهماً في مخططها المتهور ذاك. بالطبع جورجي لا ترغب بأن يستخدم تلك الكلمة بالتحديد، لكن ما من كلمة أخرى تتلائم مع هذا الموقف بشكل أفضل، خصوصاً بعد آخر محادثتين أجراهما مع ديدي، حيث أجبر بيير عملياً على فضولها المنقطع الأنفاس. تلك العاطفة السطحية المهذبة التي لطالما سادت بين بيير ووالدته تم خرقها، ما أجبره على التراجع إلى الوراء وهو لا يعلم كيف يتعامل مع والدته التي بدت فجأة مهتمة بأمره بشكل حيوي حماسي؛ ما الذي ينوي فعله؟.

تبخر كل أملٍ لديه بالتراجع عن قصته بشأن لقاءات غرامية خيالية جرت بينه وبين جورجي وأمسيات مليئة بالحب والشغف لم تحصل أصلاً. تبخرت آماله بالتراجع أسرع من تبخر حبيبات الندى تحت أشعة الشمس الحارقة. إن اللوم يقع على جورجي بالطبع! إنها المرة الأولى التي يخوض فيها موقفاً لا يتحكم هو بمجريات الأمور فيه ولا يمارس سلطته المطلقة. كيف يفترض به أن يدّعي علاقة غرامية مع امرأة تزعجه بشكل يتخطى حد التصديق؟ لا بد

أن ديدي سوف تراقبه بحثاً عن كل الإشارات الصغيرة التي تبرهن أنهما شخصان مغرمان.

وبما أن بيير لم يغرم أبداً من قبل سوف يضطر بكل بساطة إلى الاستعانة بخياله الواسع، بالرغم من أنه حالما يفكر بجورجي فهو يطبق أسنانه على بعضها من شدة الاحباط. أطفأ جهاز الراديو في سيارته ثم وضع في أذنه السماعة المخصصة لتلقي المكالمات الهاتفية عبر هاتفه النقال وضغط على أزرار رقم هاتف منزل جورجي. كانت جورجي قد دونته له قبل مغادرتها منزله منذ أسبوع مضى، وتركته إلى جانب هاتفه. لو أنه اضطر إلى سؤال ديدي عن رقم هاتف المرأة التي يفترض أنه غارق في حبها لكانت تلك ثغرة كبيرة في قصتهما المختلقة.

ردت جورجي على الهاتف بعد الرنة الثالثة. بدت منقطعة الأنفاس قليلاً كما لو أنها اندفعت مسرعة للوصول إليه. تشدق بيير قائلاً: «هل قبضت عليك في خضم عملٍ ما؟»

تصورها بيير وهي تصرخ مذعورة ثم تتوقف أثناء ركضها أمام الهاتف وقد تبعثر شعرها الأجعد الذي تنطلق كلّ خصلة منه في اتجاه مختلف، فيما فتحت فمها قليلاً واتسعت عيناها الخضراوان. فكر أنه يجدر بالمعلمات أن يكنّ أكثر الناس تنظيماً على وجه الأرض. لطالما أعطته جورجي الانطباع بأنها شخص يفضل أن تفاجئه الحياة، فمن الواضح أنها لم تستنتج بعد أن من الأفضل أن يتجنب المرء مفاجآتها.

- كنت على وشك الخروج من المنزل.

توقعت جورجي أن يتصل بها، لكن هذا لم يبد كافياً لتخفيض تسارع دقات قلبها المفاجيء حين سمعت صوته المنخفض المتكاسل على الجهة الأخرى من الهاتف. سألته: «أين أنت؟»

- في سيارتي. أتجه نحو البلدة. هل كنت تأملين أن أتدبر عذراً مقنعاً ملائماً للتهرب من عطلة نهاية الأسبوع هذه؟

- والدتك لن تسامحك أبداً إن فعلت، فهي تنظر قدماً نحو العطلة أكثر

www.alkottob.com

مما انتظرت أي شيء آخر منذ وفاة والدك.

- أعرف. أخبرتني بذلك.

- أنا آسفة.

تجاهل بيير قولها إذ لم ير ما الداعي إلى الاعتذار الآن بعد أن حصل ما حصل وسار نصف المسافة في هذه التمثيلية المهزلة.

- ما الذي يمكنني توقعه حين أصل إلى منزل ديدي؟

- آه... ! كالمعتاد.

- كفي عن هذا جورجي. فجأة تتم معاملتي كما لو أنني الولد العاق المبذر. أنا لا أتوقع لقاء كالمعتاد تماماً. ألست محقاً؟

سعلت جورجي لتنقي حلقها وهي تشعر بالتوتر، وقالت: «وجبة طعام لطيفة».

فكرت بالأغراض التي أصرت ديدي على بسطها ونشرها بالرغم من اعتراضات جورجي. قالت لديدي إنه لا يفترض بها أن تقوم بهذا حقاً، وتوسلت إليها ألا تزعج نفسها أكثر، فبيير سوف يكره الأمر. قالت لبيير متابعة كلامها: «أظنها فقط... تريدنا أن نمضي وقتاً جميلاً مريحاً...».

- إنه توقع كبير نظراً إلى الظروف الراهنة.

- لن يساعدك استمرارك في الغضب مني.

- قلت إنك على وشك الخروج من المنزل. إلى أين أنت ذاهبة؟

- سأعود إلى المدرسة لحضور اللقاء المخصص للأهل. من المفترض أن ينتهي هذا اللقاء بحلول الساعة الخامسة والنصف. بعدئذٍ سوف أذهب مباشرة إلى منزل ديدي لأساعدها.

- تساعدينها... بماذا؟

- آه! فقط بإعداد العشاء.

زمجر بيير وسرعان ما قالت جورجي: «أعلم، أعلم. لكنك لن تصدق كم هي لجوجة ومتملقة، بيير... اسمع! علي أن أنطلق من المنزل بسرعة. سأراك لاحقاً!»

أجفل بيير ما إن سمع صوت الطنين بعد أن أقفلت جورجي الخط، ففصل هاتفه الخليوي وهو يعبس بحدة مبدياً عدم سروره. تصورها وهي تقود دراجتها الهوائية تلك نحو المدرسة بالرغم من الطرقات المظلمة الزلقة بسبب الانخفاض السريع لدرجات الحرارة. أو لعلها ستختار التنقل بسيارة الميني الصغيرة المتداعية التي تعترض حانقة كلما طلبت منها خدمة ما، هذا إذا لم تخنه ذاكرته. لا شيء يتعلق بهذه المرأة يبدو مريحاً، فبيير يحبذ رفقة النساء المتأنقات اللواتي لا يرفعن ضغط دمه ولا يجعلن رأسه يختلج. فكر بجنيفر الهادئة المتميزة المسيطرة على ذاتها، إلا أنه سرعان ما دفع بصورتها بعيداً عن ذهنه، فهي لم تعد موجودة على الساحة في مطلق الأحوال. أنهى بيير علاقته بها منذ يومين وهما يتناولان كوباً من القهوة في مقهى يقع في منتصف الطريق بين مكتبه ومكتبها. بالطبع، ذلك ليس التصرف المثالي، لكنه أفضل من مكالمتها هاتفياً أو مراسلتها عبر البريد الإلكتروني. شعرت جنيفر بالصدمة بسبب هذا القرار، لكنها سيطرت على صوتها وهي تسأله بجفاف عن أسباب الانفصال. بالطبع هو لم يطلعها على الحقيقة، إذ خشي أن تختنق خلال تناولها كوب الكابوتشينو لو عرفت بما حدث. فوجيء بيير لأن الانفصال لم يؤثر عليه كما توقع. مهما يكن فهو استمتع برفقتها. حتى إنه، في مرحلةٍ ما، درس شهاداتها ومؤهلاتها بتأنٍ آملاً أن تصبح إحدى الملامح الدائمة في حياته.

بدت رحلته نحو ديفون طويلة، متعبة ومملة، كما أنها تطلبت الكثير من التركيز بسبب الظلام الذي أخذ يلف الأفق. لكنه بالرغم من ذلك لم يندم على ترك سائقه الخاص في المدينة، كلما قلّ عدد الأشخاص الذين يعرفون بأمر هذه المهزلة، كلما سهل عليه الانسلال عائداً إلى حياته المعهودة المنظمة بإتقان. كان الوقت قد تجاوز الساعة الثامنة عندما وصل بيير إلى منزل والدته. إنه منزل يقع على مسافة قريبة من القرية، في أعلى درب تحف به من الجانبين الأشجار الطويلة. تلك الأشجار تبدو رائعة في فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فتشبه أيدٍ جميلة ممتدة نحو السماء. لمح بيير في الأعلى الأنوار

www.rewity.com
RAYAHEEN
www.alkottob.com

المضاءة، فتصلب جسمه بانتظار المحنة القادمة.

لا بد أن والدته سمعت صوت الإطارات على الحصى التي تغطي الدرب، لأن الباب الأمامي للمنزل فتح على مصراعيه قبل أن تتوقف السيارة. رأى والدته واقفة في إطار الباب، وهي ترتدي ملابس عادية غامقة اللون، فيما لفّت دثاراً حول كتفيها وقد علت الابتسامة ثغرها.

- ديدي...!

تكلم بيير وهو يتجه نحوها، فيما حمل حقيبة صغيرة في إحدى يديه وفي الأخرى حقيبة الكمبيوتر النقال الخاص به. انحنى ما إن وصل بالقرب منها فقبلها على جبينها، إلا أنه فوجىء حين جذبته ليدنو منها حتى تحتضنه، ثم تراجعت إلى الوراء مبتعدة عنه قليلاً فيما أبقت يديها على كتفيه، ونظرت إليه كما لو أنها تراه للمرة الأولى.

- أنا مسرورة جداً لمجيئك إلى هنا، بيير!

- لا تتصرفي كما لو أنك فوجئت بي، ديدي. أخبرتك أنني قادم لتمضية عطلة نهاية الأسبوع.

- خشيت أن تغير رأيك فتصرف النظر عن فكرة المجيء إلى هنا. لطالما فعلت ذلك من قبل، لكنني أعتقد أن هنالك الآن سبباً قوياً يجذبك للمجيء!

ابتسم بيير بضعفٍ نوعاً ما. جورجي محقة في أمر واحدٍ على الأقل، فوالدته بدت متألقة مشرقة كالحلي اللامعة المتدلية من شجرة الميلاد.

- أفترض أنك تموت شوقاً لرؤية جورجي... مرّت بي منذ بعض الوقت، ثم عادت إلى منزلها لتبدل ملابسها. قالت إنها تشعر بالقذارة نوعاً ما بعد ذلك اللقاء مع الأهل... لعلها أرادت أن ترتدي ملابس أقل تكلفاً لأجلك أنت.

جذبته والدته إلى الداخل وتابعت: «لا يمكنني أن أصدق أنكما أبقيتما هذا الأمر مخفياً لمدة ثمانية أشهر!»

تدبر بيير أن يقول: «آه...!»

- ثمانية أشهر! اطمئن. أنا لا أنوي التطفل وطرح الكثير من الأسئلة. أعلم أنكم أنتم الشباب تفضلون الإبقاء على أسراركم الخاصة بعيداً عن الآخرين.

- ما من كلام أصدق من هذا.

تمتم بيير بذلكٍ وهو يفكر بالسر الصغير الذي يتشارك فيه مع تلك المدعوة حبيبته. فاحت داخل الكوخ روائح رائعة، فقال لوالدته: «آمل أنك لم ترهقي نفسك لأجلي، ديدي. جورجي قالت إنك... لست على ما يرام منذ بعض الوقت. لا أرغب بأن تبالغي في الأمور».

اعترفت ديدي قائلة: «أصبح لدي الآن هدف جدي كي أحيا لأجله. اذهب أنت إلى غرفة الجلوس عزيزي، وسوف أحضر لك كوباً من العصير... إلا إذا رغبت بأن تستحم أولاً؟ لا بد أنك تشعر بالانزعاج بعد تلك الرحلة الطويلة بالسيارة. يفاجئني أنك لم تطلب من هاري أن يقلك إلى هنا، لكنني مسرورة لذلك. سوف يكون الأمر مميزاً جداً، نحن الثلاثة فقط».

- نعم.

كانت هذه الكلمة الوحيدة التي تدبر بيير أن يقولها، فيما قادته نحو غرفة الجلوس ودفعته نوعاً ما ليجلس على الأريكة حتى تتمكن من الانهماك بإحضار مشروب له.

بعد أن أصبح بيير بمفرده، أجال بصره في أرجاء الغرفة العائلية المريحة، ولاحظ لأول مرة أنها مليئة بالكثير من التحف التي جمعتها من أسفارها عبر السنوات بالاضافة إلى صورٍ فوتوغرافية موضوعة في إطارات مختلفة في كل مكان من الغرفة. في العادة يأتي بيير إلى البلدة فيتفقد المنزل ليحرص على أن كل شيء على ما يرام، ثم يصطحب والدته لتناول العشاء، ويدعوها في اليوم التالي لتناول الغداء. تمشى باتجاه بعض الصور فأدرك أن العديد منها تخصه، بدءاً منذ طفولته وصولاً إلى مرحلة المراهقة.

- لدي صناديق عديدة تحتوي على صور كهذه.

www.alkottob.com

قاطعه صوت والدته القادم من خلفه، فاستدار نحوها ليرى أنها تحمل له كوباً من العصير. علا الاحمرار وجهه إذ شعر بالتأثر لرؤية هذا العدد من الصور، أما ما أثر به أكثر فهو أن ديدي تهتم بتنظيف تلك الصور وتلميعها، وتحرص على عدم ترك ذرة غبار واحدة على الإطارات الفضية المزخرفة. أدرك أنه لا يستطيع التفكير بأي شيء ليقوله، لكن قبل أن يجد نفسه في موقف يجبره على إيجاد ردٍّ ملائم، سمع أزيز جرس الباب، فكادت ديدي تقهقه من فرط بهجتها.

تناهت إلى أسماعه أصوات كلام، فتمشى خارج غرفة الجلوس ليرى جورجي. كانت تحمل باقة من الأزهار فيما هي تحاول أن تتخلص من معطفها ووشاحها. وقفت ديدي منتصبة القامة وهي تشعر بالفخر إلى جانب جورجي، ففكر بيير حسناً! فليكن. جورجي جرجرته ولو بشكل غير متعمد إلى خوض هذه المهزلة، لذا قرر أن يلقنها درساً صغيراً. وضع كوبه على الطاولة في الممر، وسار نحوها. راقب باستمتاعٍ كيف تحولت ابتسامتها إلى ذهولٍ وارتباكٍ متردد لدى رؤيتها لردة فعله.

همس بيير فيما أخذها بين ذراعيه ومرر أنامله في شعرها الجميل: «أخيراً وصلتِ. ظننتك لن تصلي أبداً».

حاولت جورجي مذعورة أن تفكر بشيء ملائم وظريف لتقوله، وسرعان ما شعرت بذراعيه تطوقانها وتشدانها إليه. بدا الأمر أشبه بصدمة كهربائية مفاجئة. جاء عناق بيير حازماً دافئاً وليس عناقاً عادياً عابراً البتة. تأوهت رغم إرادتها بتأثير هذا العناق وحاولت التراجع إلى الخلف، إلا أن يده تحكمت بظهرها ما أجبرها على أن تستند إليه. أخذ قلبها يدق بقوة كالطبل في داخلها، وكادت تتعثر لشدة ارتباكها، فيما أحست بوجهها يحترق من شدة احمراره عندما تلاقت نظراتها مع عيني ديدي.

- يا لسطوة الحب! لطالما كنا كذلك أنا ووالدك. لم نكن نقوى على الابتعاد عن بعضنا.

نظر بيير نزولاً نحو جورجي، وقال: «أعلم. فنحن نواجه المشكلة

نفسها. ألسنا كذلك حبيبتي؟»

- آه! نعم.

ردت جورجي بنبرة عالية فيما حاولت أن تتزحزح مبتعدة عنه، لكنها لم تصل إلى مكان بعيدٍ جداً، لأن ذراع بيير انسلت حول خصرها فأمسكتها بحزم وأوقفتها في مكانها.

- كيف كان اللقاء مع أهل التلاميذ؟

سألها بيير ذلك بصوتٍ حريري، فيما أحكم قبضته عليها أكثر عندما أحسّ بها تحاول الافلات منه. أحست جورجي أنها سريعة العطب وحساسة كالفتيات المراهقات.

- جيد جداً! شكراً لك! ديدي، هل أضع لك هذه الأزهار في زهرية؟

- لا. أنا سأفعل ذلك. يمكنكما أن تختفيا أنتما الاثنان في غرفة الجلوس لتتكلما عما فاتكما. أنا ما زلت أذكر كيف يكون شعور الحبيبين حين يلتقيان.

ابتسمت ابتسامة دافئة، وتابعت: «فضلاً عن ذلك، يجدر بي إنهاء طهو بعض الطعام في الدقيقة الأخيرة. هذا إذا كنا سنأكل هذه الليلة».

ما إن اختفت ديدي داخل المطبخ حتى قفزت جورجي إلى الوراء وحملقت في بيير. همست قائلة: «ما هذا الذي يجري؟»

أجابها بيير ببراءة: «إنه يتعلق بكوننا مغرمين. أليس هذا ما يفترض أن نكون عليه؟»

- نعم، لكن... ألا تظن أنك تتمادى قليلاً بالتمثيل؟

هز كتفيه وتراجع خطوة إلى الوراء، فسمح لها أن تمر بسرعة وتتخطاه إلى غرفة الجلوس. لاحظ أنها حرصت على أن تحتل المقعد الوحيد المنفرد الموجود في الغرفة. جلس بيير على الأريكة وهز رأسه، فيما ربّت على الفسحة الفارغة الموجودة إلى جانبه. تجاهلت جورجي حركته وطوت رجليها تحتها، فتنهد بيير بنفاد صبر ثم نهض وسار نحوها حيث راحت تنظر إليه بتوتر.

www.alkottob.com

- هذا لن ينفع.
- ما الذي لن ينفع؟
- أنت تجلسين بمفردك تماماً هناك. هذه ليست فعلاً الصورة الصحيحة عن عاشقين مجنونين بحب بعضهما. أليس كذلك؟

انحنى بيير نزولاً حتى يكلمها، فارتعدت جورجي وأدركت تحت أنوار هذه الغرفة المضاءة جزئياً ما الذي ورطت نفسها فيه؛ هذا الرجل لا يلعب متبعاً القوانين.

- لكن... لكننا لسنا مجنونين بحب بعضنا.

أومأت جورجي وهي تتكلم، فهي ما زالت متأثرة بعناق بيير لها. وهي ما زالت غير مصدقة أنه فعل ذلك.

- آه! لكننا كذلك، حين نكون هنا.

سمع كلاهما صوت ديدي وهي تعود إلى الغرفة، فجذبها بيير بسرعة لتنهض على قدميها بحيث أصبحا متعانقين مع دخول والدته. أحست جورجي برغبة شديدة بأن تلكزه بقوة في ظهره، لأنها فهمت ما يفعله بالتحدد. إنه غير معجب بها وهو حتماً لا يأبه كثيراً بالموقف الذي وجد نفسه فيه، لكنه بطبيعته الوحشية المعتادة يرفض أن يكون الشريك المطيع الذي تريده.

ولم تتمكن من الابتعاد إلا لمسافة قصيرة حين وافقت على تناول كوب العصير الذي قدمته لها والدته. ومع هذا، فالمسافة المقصودة بينهما لم تدم طويلاً.

- أخبراني كل شيء، عن لقاءاتكما السرية الرائعة تلك.

شجعتهما ديدي على الكلام فيما جلسا على الأريكة وتدلت ذراع بيير بشكل تلقائي فوق كتفي جورجي، بحيث جذبها لتلتصق به. كانت ديدي قد أحضرت طبقاً كبيراً. احتوى على قطع القريدس، ولفافات سمك السلمون، وأعواد الكعك، بالاضافة إلى الصلصة في الوسط. حصلت جورجي بذلك على بضع ثوانٍ من الوقت القيم حتى تستجمع أفكارها،

فوضعت بعضاً من تلك القطع اللذيذة في طبقها. هذا الرجل يترك تأثيراً مضحكاً وسخيفاً على جهازها العصبي نظراً إلى كونه شخصاً ترفضه حقاً من أعماقها. إنها تحمدالله لأنها ارتدت طبقات عديدة فضفاضة من الملابس بسبب حالة الطقس، لأنها ارتعدت لمجرد تفكيرها بردة فعل جسدها إذا ما جالت يداه المتعجرفتان فوق بشرتها.

- لِمَ لا تخبر والدتك كل شيء بخصوص الموضوع. عزيزي؟

ابتسمت له جورجي بحلاوة ولطف من فوق كتفها، ثم تزحزحت شيئاً فشيئاً مبتعدة عنه حتى تتمكن من الانغماس في تناول الطعام الشهي المذاق. نظرت جورجي إلى بيير داعمة مشجعة، وقد أصبحت آمنة خارج نطاق ذراعه. أحست حينها أن أعصابها المشتتة بدأت تستجمع هدوءها ببطء. ابتسم بيير أمام تعابير وجه ديدي المتحمسة فتناول كومة كبيرة من اللقمات، ثم قال. «آه! كالعادة... تبدو شهية، ديدي. يمكنك أن تستلقي مطولاً في الصباح، وسوف أحضرُ لك كوباً من الشاي وبعض الخبز المحمص».

ستكون هذه المرة الأولى التي يقوم فيها بتحضير الفطورلشخصٍ آخر. لكن بيير أدرك بشكل غريب أنها تمنحها عزيمة هائلة نظراً إلى الابتسامة المشعة التي ارتسمت على وجهها. لم يخطر بباله من قبل أبداً أن مبادرة صغيرة كهذه قد تستحضر رداً مكافئاً إلى هذا الحد. عادة ما يستيقظ باكراً حتى يتمكن من قراءة بريده الإلكتروني ويعوض ما فاته في الليلة السابقة فيما تبقى والدته غافية. وغالباً ما يتناول شريحة من الخبز المحمص قبل استيقاظها بفترة طويلة ثم يبقى برفقتها في المطبخ أثناء تناولها الطعام، بينما يظل ذهنه منشغلاً بأي مسألة يصادف أنها تتملكه في تلك اللحظة.

- يا إلهي، بيير! ما من داعٍ لذلك، مع أن ذلك سيكون لطيفاً.

استدارت جورجي بالكامل نحو بيير فرمقته بنظرة ذات معنى، وقالت: «كنت على وشك إطلاع والدتك على كيفية لقائنا... أنا لم أخبرها بالضبط بالتفاصيل. أليس كذلك، ديدي؟ اعتقدت أنك تودين سماعها من بيير نفسه. أعلم أنه ليس شديد... همم... ما هي الكلمة المناسبة؟

www.alkottob.com

. . . الانفتاح حين يتعلق الأمر بالتعبير عن ذاته، لكنني أعلم تماماً كم يتحرق شوقاً لإطلاعك على التفاصيل».

تساءلت جورجي ما تراه سيقول. فهما لم يتواصلا خلال الأسبوع المنصرم، وهي تعلم أنه يغلي على مهلٍ بسبب الموقف غير المريح الذي وجد نفسه فيه وهو ساهٍ غير مدرك. إنها تستطيع أن تعتذر له إلى ما لا نهاية، لكن ذلك لن يشكل أي فرق. فهو سيبقى غاضباً منها. بالرغم من ذلك، لا بد أنه يلاحظ التأثيرات الإيجابية المفيدة التي أحدثتها كذبتهما الصغيرة هذه على ديدي. ما إن تعود قوتها إليها وتصبح مقبلة بسرور على الحياة حتى يتمكنا من الاعتراف لها بأن علاقتهما الغرامية منتهية.

نظر بيير إلى جورجي من تحت أهدابه، وقال: «هي طاردتني، كما لو أنها امرأة وقحة عديمة الحياء. . .».

- هيه. . . تمهل!

- جورجي؟!

سألت ديدي متعجبة وقد داعب وجنتيها اللون الزهري لسماع الكذبة الشائنة التي لفّقها ابنها.

- أظن أن المطاردة كلمة قوية بعض الشيء، عزيزي!

- تفاهة!

وضع بيير طبقه الفارغ على الطاولة واسترخى مستنداً إلى الوراء على الأريكة، فيما شبك أنامله خلف رأسه حتى يتمكن من مراقبة جورجي بعينيه شبه المفتوحتين. كيف تراها تمكنت أن تعتبر هذا الرجل مملاً؟ منذ متى أصبح الخطير مملاً؟

- آه! لا أرى سوءاً في أن تكون المرأة هي التي تقوم بالخطوة الأولى!

قالت ديدي ذلك مبتهجة فيما انحنت إلى الأمام في كرسيها وقد ضغطت بيديها على بعضهما. في حين أن بيير طويل القامة ذو بنية صلبة، فإن والدته امرأة رقيقة دافئة ولطيفة. لولا تشابه بشرتيهما القاتمتي اللون لما ظهر بينهما أي تشابه.

قالت جورجي وقد ضاق عليها الخناق: «أظن أن بيير يبالغ قليلاً!»

رفع بيير حاجبيه باستمتاع وقال: «أنت اتصلتِ بي. ألا تذكرين؟ قلت لي إنك في لندن وإنك متفرغة للغداء. . . تبدو لي هذه كدعوة. . .».

وجه لوالدته نظرة متآمرة ما جعل بشرتها تصبح زهرية اللون، وتابع: «. . . ما الذي يستطيع الرجل النبيل أن يفعله في مثل هذه الحالة؟»

سأل ذلك فيما هز كتفيه العريضتين بشكلٍ عابر. استعادت جورجي في ذهنها ذكرى زيارتها إلى النادي الرياضي، حيث لاقاها هذا الرجل النبيل بعدائية غير مخفية وبنفاد صبر بارد. يومها أحست كما لو أنها جرو ينبح أمامه ويتعلق بسرواله الإيطالي الفاخر. لم تظن جورجي لحظة واحدة أنه يتمتع بمخيلة واسعة، وأدركت أن ذلك يبرهن على مقدار المخاطرة التي يتعرض لها المرء حين يتصور أنه يعرف شخصاً آخر معرفة جيدة، في حين أنه لم يشاهد إلّا المظاهر السطحية منه.

بدا العشاء لذيذاً، حاراً ويحتوي على العديد من الأطباق. لا بد أن ديدي جهزت معظمها في وقتٍ سابق من ذلك النهار. خلال العشاء توسّع بيير متحدثاً عن مواعيد غرامية لم تجرِ بينهما، وعن معانقات لم يتبادلاها مطلقاً، وعن حبهما للمسرح، وهو أمر افترضت جورجي أنهما كانا ليتشاركا فيه فعلاً لو سنحت لهما الفرصة لذلك. لكنها بالكاد تمكنت من التفوه بكلمة جانبية حول الموضوع.

تثاءبت جورجي ملء فمها وقالت لديدي: «أصبح الوقت متأخراً، أليس كذلك؟ سأتركك لتتحدثي مع بيير وتعوضا عما فاتكما، وأنا سأرتب المطبخ».

إنها الساعة الثامنة مساءً لكن الظلمة بدت حالكة. كما لو أن ديدي انتبهت فجأة وتيقظت للواقع، سارت نحو نافذة المطبخ فرفعت الستائر التي أبقت ليل الشتاء هذا بعيداً عنهم، ثم استدارت نحو جورجي عابسة لتقول: «جورجي! عزيزتي، كيف جئت إلى هنا؟»

- جئت بالسيارة.

www.alkottob.com

قالت جورجي ذلك متفاجئة، ثم نهضت ومشت متجهة نحو النافذة فحدقت إلى الخارج مرتعبة. بدا الجو بارداً جداً وقد تساقطت الثلوج التي كانت تهدد بالتساقط منذ أربعة أيام، فغطت الحقول والأشجار وكل شيء آخر بما في ذلك سيارتها، فقالت بهلع: «يجدر بي أن أذهب الآن، ديدي».

قالت ديدي بحزم: «لا يمكنك قيادة سيارتك والعودة إلى المنزل، جورجي. أليس كذلك، بيير؟»

نظرت ديدي إلى ابنها بحثاً عن المساندة، فانضم إليهما هذا الأخير عند النافذة مطيعاً، حيث وقف صامتاً أمام منظر الثلج. نظر بيير إلى جورجي ثم تكلم وهو يعني كل كلمة يقولها: «قطعاً لا! سيارتك لا يمكن الاعتماد عليها لاسيما في طقس سيئ كهذا. إن جلّ ما تريده سيارتك الآن هو أن تحشر في مرآب دافئ وأن تتناول كوباً من الشوكولا الساخنة».

لم تقوَ جورجي على تمالك نفسها، فضحكت لأن شرح بيير بدا صحيحاً تماماً.

- لطالما قلت لك إن عليك التخلص منها، لكنك مولعة بتلك الخردة القديمة. ألست كذلك عزيزتي؟

أبدت ديدي جهداً لا تعنيه حقاً بالتوجه نحو حوض غسيل الأطباق، لكن بدا من الواضح أن نشاطها وطاقتها أخذا يذبلان، لذا شعرت بالارتياح حين أصرت عليها جورجي بأن تصعد إلى الطابق العلوي لتنام.

- عديني ألا تحاولي المخاطرة بالعودة إلى منزلك الليلة!

طلبت ديدي منها ذلك وقد ظهر عليها القلق وهي واقفة في مدخل الباب، فهزت جورجي رأسها موافقة مع ابتسامة مطمئنة.

- لن أحلم بذلك حتى. سوف أعد غرفة الضيوف، ديدي. أعرف مكان الأغراض كلها.

لوحت ديدي بيدها وقالت: «آه لا! أثناء العاصفة وقع أحد الأغصان على زجاج النافذة في تلك الغرفة فانكسر، ولا بد أنها باردة جداً. على أي حال، أنا لست قادمة من العصر الفيكتوري جورجي. أعرف أنك وبيير

مغرمان ببعضكما، لذا يمكنكما أن تتشاركا غرفته!»

حاولت جورجي جاهدة ألا تبدو مرتعبة من تلك الفكرة، فسمرت ابتسامة متخشبة على وجهها. أعلنت ديدي وهي تنسحب خارج المطبخ متثائبة: «لا داعي لأن تشعري بالخجل عزيزتي. لست بحاجة إلّا إلى إحضار منشفة نظيفة من خزانة الحائط، وسوف أراكما في الصباح!»

استدارت جورجي ببطء، نحو بيير حالما انغلق باب المطبخ وحملقت فيه. ثم همست بنبرة اتهامية: «هذا كله بسببك!»

علق بيير ببرود: «ربما يقع علي اللوم في أمور كثيرة، لكن لم يلمني أحد قط بسبب حالة الطقس».

- لست أتكلم عن الثلوج، وأنت تعرف ذلك.

بدأت جورجي بتنظيف الطاولة، ولم يكن هنالك الكثير من الأطباق للتنظيف.

أدارها بيير حول نفسها حتى تواجهه، فيما بدا وجهه متحجراً كالغرانيت. تكلم بصوت حريري ناعم، لكنه لاسع كالسوط حين قال لها: «لا تفكري حتى بتمثيل دور العذراء المحتشمة المثيرة للسخط، جورجي!»

- أعلم أنني أنا المسؤولة عن هذه الورطة التي نحن فيها، بيير. أنت لم تتوقف أبداً عن تذكيري بذلك خلال كل خطوة من دربنا، لكن...

- لكن؟ أنت فجأة تجدين عواقب تصرفاتك مزعجة بعض الشيء، فلا تعجبك؟

وجهت جورجي إليه نظرة متمردة فوجدت نفسها تشرد في عينيه... في تينك العينين المدهشتين بأهدابهما الرائعة الطويلة البالغة الكثافة. إنهما عينان ساحرتان قد تهب أي امرأة حياتها لأجلهما.

رمشت بعينيها، وأجبرت نفسها أن تعود إلى الواقع، لتجد أن بيير يقبض على كتفيها ويحملق فيها.

- لكنك لم تكن مضطراً إلى المبالغة بتمثيل دور العاشق كما لو أننا طيرا الحب.

www.alkottob.com

سألها بيير بصوتٍ يقطر تهكماً: «أليس هذا ما يفترض أن نكون عليه؟ مهما يكن، أنا لم أتكلم إلّا بإيجاز بحسب الدور المناط بي».

وهذا كله بسبب خطتك! توقعت أن ينهي كلامه بهذه الملاحظة. لم ينطق بيير بذلك لكن الأمر بدا واضحاً كالشمس.

- لا تفكري حتى بأن تصعدي إلى سيارتك تلك الشبيهة بآلة الخياطة، لتحاولي قيادتها عائدة إلى منزلك في هذا الطقس.

ردّت جورجي متجهمة: «لا أنوي القيام بذلك. لو أنك رجل نبيل لعرضت علي أن تقلني بسيارتك. سيارتك يمكنها تحمل الرحلة بسهولة».

- لكنني لست رجلاً نبيلاً!

قال بيير ذلك من دون أن يرف له جفن، ثم أفلتها فجأة من دون تحذير. تراجع قليلاً ثم وقف وهو يحشر يديه في جيبي سرواله، وراح يراقبها باهتمامٍ واضح. قال: «نحن عالقان سوياً في هذا الموقف المضحك...»

التوى فمه بالسخرية على ما قاله بعد ذلك: «... في السراء والضراء، لذا من الأفضل أن ترضخي للواقع. يفاجئني حقاً أنك تفتقدين إلى المرونة باعتبار أنك ذهبت إلى أقصى الحدود لاختطافي في بادىء الأمر».

التزمت جورجي الصمت فيما أحست أن قدميها تكادان ترتخيان تحتها.

هدأها بيير قائلاً: «مهلاً... مهلاً. لا داعي لأن تشعري بالانزعاج إلى هذا الحد، فكما قالت ديدي إننا الآن في القرن الحادي والعشرين، ما من خطب في أن تقوم المرأة بملاحقة الرجل. الآن...».

نظر إلى ساعة يده، ثم عاد ونظر إليها متابعاً: «... سوف أعمل لمدة ساعة من الوقت، وهذا سيعطيك وقتاً لتسبقيني. إذا كنت بحاجة إلى لباس نوم يمكنك دوماً أن تستعيري إحدى قمصاني القطنية الفضفاضة التي أحتفظ بها في الخزانة. ستبدو تلك لمسة جميلة. ألا تظنين ذلك؟ ترتدين الملابس الخاصة بحبيبك حتى تتمكني من استنشاق رائحته».

- يا للمرح! لم أدرك أنك تتمتع بحسٍ فكاهي إلى هذه الدرجة.

اندفعت جورجي إلى التحرك بسرعة حالما خرج بيير من المطبخ، فغسلت

ما تبقى من الأطباق بسرعة هائلة، وبقي أمامها أربعون دقيقة قبل أن ينتهي بيير من العمل الذي يقوم به في الطابق السفلي. لم تكن لديها أدنى فكرة كيف قد يستطيع شخص ما أن يجلس أمام شاشة الكومبيوتر في هذا الوقت المتأخر غير الملائم، لكنها لن تتذمر من ذلك.

ما إن صعدت إلى غرفة النوم حتى جذبت الستائر المخملية السميكة التي تحجب الضوء، فلاحظت أن الثلوج ما زالت تتساقط بثبات في الخارج، حيث شكلت طبقة سميكة من البياض الأصلي الذي غطى الحقول وامتد خلف المنزل. عادت لتنظر إلى الداخل حيث السرير يسيطر على الغرفة التي تضم أيضاً خزانة ملابس قديمة الطراز من خشب الماهوغاني ذات مرآةٍ في واجهتها وخزانة ذات أدراج وضع على سطحها طاس من أوراق الورد المجففة انبعثت رائحتها العطرة في الغرفة. إلى جانب النافذة وضعت طاولة زينة صغيرة تطل على الحقول الممتدة أمام المنزل، بالاضافة إلى أريكة سهلة الاستعمال تفتح على شكل سرير.

في الحقيقة انتهى بها الأمر فعلاً إلى ارتداء إحدى قمصان بيير القطنية، وهي قميص تفوح منها رائحة بيير بشكل غامض خفي. إنه عبير ذو نكهة حادة، غريبة، منعشة ورجولية إلى أقصى حد. أغمضت جورجي عينيها، فأحست بجلدها يخزها في الظلام لدى تذكرها لمساته وعناقه.

حرصت على الخلود إلى النوم بسرعة، فلجأت إلى أسلوب عدّ الخراف القديم العهد إلى أن توقف رأسها عن الطنين وغرقت في النوم.

www.alkottob.com

٥ - ثلج ونار معاً

لم يعرف بيير إن كان سيجد جورجي مستيقظة تعاني من نوبة غضب وسخط، أم تراه سيجدها نائمة. كانت الستائر تحجب الضوء الخافت الموجود في الخارج، فاستغرقه الأمر عدة ثوانٍ وهو يحدق في الغرفة فقط، إلى أن تأقلمت عيناه مع الظلام. أحسّ بشيء ينقبض في أعماقه، لأن جورجي لم تكن فقط غارقة في النوم، لكنها أيضاً نائمة على الأريكة وقد امتدت رجلها إلى خارج اللحاف الذي يغطيها. فاستطاع بيير أن يلاحظ ساقاً نحيلة تستلقي بارتياح فوق اللحاف. لماذا بحق السماء اختارت النوم على الأريكة ولم تنم على السرير وكان الأحرى بها أن تتركها له!

أغلق باب غرفة النوم بهدوءٍ بالغ، فهو لا يرغب بإيقاظها. كان قد استحم مستخدماً الحمام الموجود في الطابق السفلي، لأن منزل والدته خالٍ من أي شيء عصري مثل غرفة الضيوف ذات الحمام المتصل بها. ارتدى بيير بدافع اللطف تجاه شريكته في الغرفة، سروالاً قصيراً مع قميصٍ قطنية فضفاضة، وذلك لعدم توفر أي لباسٍ مخصص للنوم لديه. ابتسم بيير في الظلام مفكراً أن جورجي لجأت إلى ارتداء إحدى قمصانه القطنية الفضفاضة مع أحد السرويل المخصصة للرياضة. ابتسم ابتسامة أوسع حين تذكر التعابير التي ارتسمت على وجهها عندما لمّح إلى أنها ربما ترغب أن تشعر برائحته على جسدها. كم يسهل إثارة غضب جورجي، فوجهها هو من النوع الشديد التعبير الذي يظهر كل إحساسٍ يعبر في ذهنها. إنها ليست امرأة باردة، هادئة أو رصينة، لكنها ليست من ذاك الصنف الذي يفضل بيير مشاركته الغرفة. لملم الأغطية ورتبها بعناية فوق جسدها المسترخي.

تصلّب جسده حين تقلّبت في نومها واستدارت إلى جهته. صعد إلى السرير وأسند جسمه على أحد مرفقيه وراح ينظر إلى جورجي. كانت عيناه قد أصبحتا متأقلمتين جداً مع نقص الإضاءة، فاستطاع أن يلحظ ملامحها الرقيقة وفمها المفتوح جزئياً، بينما استقرت ذراعها النحيلة بلامبالاة فوق اللحاف وقد تكورت يدها على شكل قبضة خفيفة. شردت عيناه إلى الأسفل، وسرعان ما استلقى إلى الوراء على ظهره وراح يحدق نحو السقف.

هو لم يسعَ إلى هذا الأمر، لكن الأمور حتماً تغيرت منذ أن بدأ يلعب دوره في هذه التمثيلية. والدته لم تكن يوماً منفتحة معه من قبل. لطالما شعر بالوحدة أثناء الإجازات التي كان يمضيها في المنزل وهو فتى. استمر ذلك إلى أن أصبح كبيراً بما يكفي ليبدأ بدعوة رفاقه للبقاء معه في المزرعة. تساءل إن كان هو أيضاً بدأ تدريجياً ببناء سورٍ من المقت والكراهية حوله، في حين أن المسألة هي بكل بساطة أن والديه كانا يعملان لساعاتٍ طويلة في المزرعة، وأراداه على الأرجح أن ينضم إليهما؟ جل ما يذكره هو أنه نشأ حاملاً إحساساً قوياً بالرفض لهذا الدرب الذي لا يعطي مردوداً مالياً كافياً والذي اختار والداه سلوكه. ما زال بيير يتذكر كيف كان يلقي عليهما المواعظ بخصوص عدم جدوى دفن الأموال في الزراعة العضوية، فذلك سوف يؤدي إلى استنزاف مالهما في نهاية الأمر. لطالما نصحهما بالعمل في تجارة الأراضي، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الحديث إلى المجادلة المعتادة المتعبة حول الرأسمالية. لذلك تخلى عن المناقشات، ومنذ ذلك الحين تعلّم ألا يتعمق في المناقشة حين تدور الأحاديث بينهم. ولطالما شعر بالارتياح للعودة إلى حياته في لندن. لذا استمر هذا النمط من الأحاديث على مر السنوات.

استدار بيير مبتعداً بأفكاره عن جورجي. شعر أن النوم جاءه بسهولة. فهو متعب بعد قيادة السيارة لمسافة طويلة، كما أنه أمضى ساعة ونصف الساعة أمام شاشة الكمبيوتر قبل أن يتوجه صعوداً نحو غرفة النوم. لابد أنه سيستيقظ عند بزوغ الفجر فهذا هو أسلوب عمل ساعته البيولوجية الداخلية. لكن ذلك لن يحدث إلا بعد مرور عدة ساعات.

www.alkottob.com

في الواقع، استيقظ بيير فيما كان الظلام ما يزال سائداً، فقد سمع صوتاً خفيفاً جداً، بل استشعر بحركةٍ ما وليس صوتاً في واقع الحال لذلك استيقظ على الفور. لمح خيال جورجي في مدخل الباب كمجرد ظل نحيلٍ مظلم وهي تتسلل عائدة إلى فراشها. كانت تتلمس طريقها لتتحسس معالم الأغراض الموجودة في الغرفة لكي لا تتعثر.

- يمكنك أن تضيئي الأنوار إذا أردتِ.

قال بيير ذلك بنبرة جافة، فأطلقت جورجي شهقة خافتة بسبب الصدمة: «هل أنت مستيقظ؟»

أنار بيير الضوء الموجود على الطاولة إلى جانب السرير فتابع تقدم جورجي حيث عادت إلى سريرها وقد بدت زهرية الخدين مشعثة الشعر.

- يمكنك أن تطفىء النور الآن. أردت فقط استخدام الحمام. سوف أعود إلى النوم.

قالت ذلك واستدارت متعمدة إلى الجانب الآخر، ثم انتزعت اللحاف وشدته إلى الأعلى ما استطاعت من دون أن تبرز أصابع رجليها في الأسفل.

- نومي خفيف جداً.

ردّ بيير على سؤالها بالرغم من أنه بدا واضحاً بأنها تريد ادعاء النوم، أما هو فشعر أنه متيقظ تماماً وهو يعرف السبب. الساعة تكاد تقارب السادسة صباحاً، وذلك وقت قريب من ساعة استيقاظه المعتادة.

- أظن أن سبب ذلك هو أنني لم أتمكن من الاعتياد على أصوات الحيوانات أثناء الإجازات التي كنت أعود فيها من المدرسة الداخلية إلى المزرعة. عندما تكونين غير معتادة على سماع أصوات الخراف والبوم ستبدو لك هذه الأصوات مزعجة وكثيرة التشويش.

مهما يكن، لابد له أن يقر على مضض بأن هذه الإجازة ليست بذلك السوء الذي توقعه. هو حتماً لم يتوقع انتهاء هذه السهرة بحيث يجد نفسه نائماً في الغرفة نفسها مع جورجي. وإذا أراد أن يصدق مع نفسه، فهي تثير اهتمامه بشكلٍ غامض. أحس برغبةٍ حادة مفاجئة بأن يخرجها من صمتها

المتعمد. إنها رغبة نزقة لا تشبهه البتة.

- قررت قطع علاقتي بجنيفر...

استدارت جورجي نحوه فأصبحت تواجهه الآن. بالرغم من أن بيير كان يحدق نحو السقف فيما ألقى رأسه على يديه المشبوكتين خلفه، إلا أنه شعر بقوة بعينيها الناظرتين إليه.

- أنا آسفة بخصوص ذلك.

- لماذا؟ أخبرتك أن العلاقة لم تكن جدية. أنا فقط... فكرت أن ليس من المنصف نوعاً ما أن أبقيها معلقة بخيطٍ رفيع، فيما أقوم بتمضية الوقت مع امرأة أخرى.

- أنت بالكاد تمضي الوقت مع امرأة غيرها.

- أحقاً؟

أدار بيير رأسه لينظر إليها. كانت الغرفة ما تزال مظلمة جداً ولا أثر بعد لشروق الشمس، لكنه يدرك أنها قريبة منه. إنه في الواقع يكاد يشتم رائحتها اللذيذة التي تعبق برائحة صابون الفاكهة، وهو شيء يحبه نوعاً ما. قال: «نحن نتشارك في الغرفة، ألسنا كذلك؟ ماذا تسمين هذا؟»

- أسميه «حالة طارئة بسبب العاصفة الثلجية غير المتوقعة»!

- أتدركين أنك أول امرأة أمضي الليل معها في غرفة واحدة على الإطلاق؟

لم يكن بيير ينوي الاعتراف بذلك، لكنه فاجأ نفسه.

- آه، أرجوك! لابد أنك تظن أنني ولدت البارحة لو تصورت بأنني قد أصدق هذا فعلاً.

- ما الذي يصعب تصديقه بخصوص الأمر؟

- بيير كريستوفر نيومان لم ينم أبداً مع أية امرأة... ها، ها! ذلك أشبه بأن تقول إن كازانوفا كان يقوم بالتطريز في أوقات فراغه!

- أهذا ما تظنينني عليه؟ رجل ككازانوفا؟

علقت أنفاس جورجي في حلقها. حتى في ظلام غرفة النوم، لا مجال

www.alkottob.com

لأن تخطىء بشأن وسامة بيير الصرفة وتلك الجاذبية البدائية التي تشع منه بغير قصدٍ على شكل موجاتٍ تتجه نحوها.

- أظن أن الوقت حان للعودة إلى النوم أو... أو لعلني أستطيع أن أقود السيارة عائدة إلى المنزل... لعل الثلج قد خف وذاب الآن.

تكلم بيير بطريقة عملية حشرتها في الزاوية إذ قال: «لا تكوني سخيفة! ما الذي ستظنه ديدي حين تخرج من السرير لتجد أنك اختفيتِ عند بزوغ الفجر؟ فضلاً عن ذلك، يفترض أننا على علاقة غرامية، لذا أقل ما نستطيع فعله هو إجراء محادثة».

- في السرير؟!

- يصادف أنني أجد السرير مكاناً مريحاً جداً. ولأوضح ما قصدته بخصوص عدم نومي مع أي امرأة من قبل، فأنا عنيت أنني لم أمضِ الليل بطوله مع أي منهن في الغرفة نفسها.

- أنت لم تمضِ الليل أبداً مع أي امرأة؟

سألت جورجي ذلك غير مصدقة. حسناً! هي تدرك أنها يجب ألّا تحشر نفسها في ما لا يعنيها، لكنها لم تقوَ على ردع نفسها. نجحت المكيدة في تشتيت انتباهها، واستطاع بيير أن يشعر بأنها أخذت تسترخي فيما توقفت عن التفكير بحميمية موقفهما.

- ما من داعٍ لأن تُبدي مثل هذا الذهول.

لكن من وجهة نظرها بدا هذا الأمر شيئاً غامضاً تماماً.

- وأنتِ، هل أمضت الليل برفقة رجلٍ ما؟

- نحن لا نتكلم عني أنا، وأنا لست... لست...

- كازانوفا؟

استشعر بيير عدم ارتياحها، وبدا هذا أمراً منعشاً لذا قال: «أنا لا أحب أن أستيقظ إلى جانب امرأة».

سألته جورجي بدهاء ومكر: «هل تقصد أنك تخشى أن تراودهنّ أفكار جنونية عن الثبات والاستمرارية؟»

تصلب بيير وقال: «هل سأسمع محاضرة منك الآن؟»

أحسّ بحاجة متمردة لأن يستفيض ويتوسع بالموضوع، فتابع: «أنا أقوم بعملي في ساعاتٍ غير منتظمة لذا يبدو لي منطقياً ألا تكون إلى جانبي امرأة لأفكر فيها حين أخرج من السرير عند الساعة الثالثة فجراً لكي أحضر مؤتمراً في مكان بعيدٍ في الجانب الآخر من الكرة الأرضية».

لم يسمع أي رد من جورجي، فتابع: «لا تحب النساء الاستيقاظ على دوي صوت الهاتف، أو أن تضاء الأنوار في ساعة مبكرة جداً من الصباح».

ظلت جورجي صامتة، وشعر أن صمتها يحمل لمحة اتهامية ما بدأ يثير أعصابه. فقال: «و... لعلك على حق».

صر على أسنانه قائلاً ذلك بمزاج سيء، ثم تابع: «لعلني لا أرغب بأن تظن امرأة ما بأنها لو أمضت ليلة في غرفتي فإن ذلك قد يكون بداية لعلاقة طويلة الأمد».

أصدرت جورجي صوتاً خافتاً اعتبره بيير دليل اكتفاء ورضى.

- على أي حال، بما أننا الآن على طريق الاستكشاف... ماذا عنك؟ هل كنت على علاقة جدية مع أحدهم يوماً؟

- أجل، بالطبع.

شعر بيير بالصدمة بشكل غير طبيعي لسماعه ذلك الاعتراف. جورجي، تلك الفتاة التي تشبه الصبيان في تصرفاتها، والتي تحولت إلى امرأة قصيرة القامة تعلم الأطفال الصغار وتربي الدجاج! كيف يمكنه أن يتصورها في هذا السيناريو الذي يتضمن علاقة غرامية جدية؟ أين تراها تمكنت من إيجاد رجلٍ لائقٍ بها؟ فكر أنها جميلة لكنه جمال خاص بها. بعض الرجال قد يجد شعرها الأشقر المتطاير وعينيها الكبيرتين الخضراوين مميزات جذابة إلى حدٍ ما. وربما تجذبهم عادتها في أن تتصرف أولاً ثم تفكر.

سألته جورجي: «هل تفاجأت؟»

كذب بيير بنعومة قائلاً: «بالطبع لا! لمَ تراني أتفاجأ؟ معظم النساء في مثل سنك لديهن علاقات غرامية. أهو شخص أعرفه؟»

www.alkottob.com

جاء صوته خافتاً ما يدل على الاهتمام الخفيف، لكنه بالطبع لن يقر مطلقاً بأن فضوله يتعدى كثيراً ما يبدو عليه من اهتمام.

- لا أظنك على اتصال مع أي شخص من هذه الناحية من العالم، بيير. أظنك تخليت عن كل شيء حالما غادرت القرية متجهاً إلى أضواء المدينة المشعة.

- لماذا توحين لي دائماً بأن الطموح هو أمر سيء بشكلٍ ما؟

استلقى بيير على ظهره فيما ألقى رأسه على ذراعيه المطويتين محدقاً نحو السقف، أما جورجي فرفعت جسمها على أحد مرفقيها وحدقت به. بدا لها بأن هنالك شيئاً ما خطيراً بخصوص هذا الحديث الذي يتبادلانه همساً، لكنها رفضت أن تشعر بالانذار. هذا كل ما هو عليه الأمر: مجرد حديث.

- أهذا ما أفعله؟

- أنت تعلمين أن هذا ما تفعلينه، جورجي. وأتساءل لما تفعلين هذا. ألأنك دوماً كنتِ تخشين مغادرة هذا المكان، بحيث أصبح دفاعك الوحيد عن نفسك هو بانتقاد الناس الذين يغادرونه؟ أعني أن والديك توفيا وأنت يافعة جداً لا تستطيعين الاعتناء بنفسك حقاً، ولطالما قام والداي مقامهما في الاهتمام بك للبقاء هنا؟ ألأن هذا هو المكان الذي يغمرك بالشعور بالأمان؟

قالت جورجي ببرودة: «ظننتك لا تهتم للثرثرة التي تدور حول التحليل النفسي، بيير».

استلقت إلى الوراء مثله، وحدقت نحو السقف من دون أن ترى شيئاً، ثم قالت: «أنا لست غبية! أعلم أن الناس يرغبون في القيام بما هو أفضل لحياتهم وأحياناً ذلك يعني المغادرة نحو المدينة».

- لكن في حالتي أنا...

- أرغب بالعودة إلى النوم الآن.

تصورها بيير وهي مستلقية بالقرب منه فيما تعتصر عينيها لتغمضها حتى

تتمكن من صدّ الحديث. فقال: «لن تتمكني من ذلك».

- ما الذي تقصده؟

- أعني أننا كلانا مستيقظان تماماً الآن.

- ما يعني أنك تفكر بإنجاز بعض العمل. أليس كذلك؟

في العادة، نعم. فكر بيير بذلك. لكنه، وللمرة الأولى شعر بالميل نحو كسر هذا التقليد الذي يتبعه فقال: «لست واثقاً من أنني قادر على مواجهة البرد القارس حتى أصل إلى كمبيوتري».

أحسّت جورجي بابتسامة صغيرة ممتنعة تهدد دفاعاتها. بينما راحت تتصارع مع رغبتها بأن تلين وترضخ اكتسح بيير عالمها متدخلاً، فقال: «إذاً...؟ هل تورطتِ مع ذلك الرجل لفترة طويلة؟ أكانت حقاً علاقة جدية؟»

لم تر جورجي أي جدوى من الشعور بالخجل والتكتم. إن كان بيير لا يعرف أي شيء بخصوص ماضيها، فسوف تجد ديدي الأمر غريباً جداً، لاسيما أنهما بنظرها مغرمان جداً ببعضهما، ويفترض بهما أن يستكشفا كل خفايا ماضيهما بعمق وحب.

أقرت بغرابة: «جدية تماماً».

ثار اهتمام بيير بالموضوع أكثر، فاستدار لينظر إلى هيئتها الجانبية. لطالما اعتبر أن جورجي شفافة جداً ككوب من الماء، والآن يتضح له أنها أكثر تعقيداً مما تصورها يوماً. داهنها قائلاً: «ماذا حصل؟»

هزت كتفيها قائلة: «كما يحصل عادة».

استغرقها الأمر بعض الوقت لتزيل آثار الجراح من قلبها، لكنها تخلصت منها في آخر المطاف. أما الآن فأصبحت قادرة على النظر إلى ستان باعتباره شخصاً ساحراً بدا مناسبا تماماً في ذاك الحين لكن علاقتهما ما كانت لتدوم على المدى البعيد. قالت متابعة: «التقينا في الجامعة ووقعنا في الحب، ثم حظينا بسنتين رائعتين، لكن الأمر لم ينجح».

حثها بيير على المتابعة قائلاً: «أهذا كل ما في الأمر؟»

www.rewity.com RAYAHEENA
www.alkottob.com

ردت جورجي بسخط: «نعم. هذا كل ما في الأمر!»

- أين هو الآن؟

- متزوج وله ولد، ويعيش في الجانب الآخر من العالم... حسبما أعتقد.

- آه!

انتظرت جورجي أن يتوسع في ذاك الزفير الدال على المعرفة، لكنه لم يفعل.

أخيراً طالبته قائلة: «ما الذي يعنيه ذلك؟»

ثم استدارت إلى جانبها لتنظر إليه مباشرة.

تكلم بيير وهو يبدو متطفلاً بوقاحة للحصول على المزيد من التفاصيل، إذ قال: «يعني أنك كنت مدمرة على المستوى العاطفي. شابة حساسة مغرمة تثقين بحبيبك، وفجأة ينهار ذلك كله، ثم يتوجه رجل أحلامك إلى مكان بعيد ليجد لنفسه امرأة أخرى وينجب طفلاً منها. ألهذا السبب ما زلت غير مرتبطة؟ أجرحتِ بشدة إلى درجة لم تسمح لك بأن تثقي برجلٍ آخر؟»

- أظن أن الوقت حان لنستيقظ.

- حتى العصافير لم تستيقظ بعد.

بدت جورجي فتية شابة إلى حدٍ لا يصدق. كيف تراه لم يلحظ ذلك من قبل؟ صحيح أنها أصغر سناً من غالبية صديقاته الحميمات السابقات، لكن مع ذلك فهي تبدو أقل منهن قساوة وأقل خبرة.

- أما زلتِ تتوقين إليه؟

يستطيع بيير أن يتصور أي نوعٍ من الرجال كان صديق جورجي، بما أنه غادر من دون أن يلقي نظرة إلى الوراء. لابد أنه عديم المسؤولية.

- ما الذي يفعله؟ ما هي وظيفته؟ هل كانت لديه واحدة؟

- بالطبع لديه وظيفة، بيير! كان في سنته الأخيرة في الجامعة، وتابع دراسته فأصبح صحافياً. في الواقع غادر لتغطية موضوع الاحتباس الحراري للكرة الأرضية وتأثيراته على أستراليا، وبكل بساطة... وجد

شخصاً غيري هناك. نحن ما زلنا على اتصال من حين إلى آخر عبر البريد الإلكتروني.

- بما أنك كنت مغرمة إلى هذه الدرجة بذاك الرجل، لِمَ لم ترافقيه؟

سألها بيير ذلك مقراً بأنه فوجيء بحقيقة أن جورجي وقعت بغرام رجلٍ ثابت الخطى على الأرض. جاء ذلك بمثابة صدمة بالنسبة له.

- لأن...

لأن الفكرة بدت مخيفة جداً بالنسبة لها، ولأن شعورها بالأمان اقتصر على ديفون. لطالما كرهت جورجي قطع أواصر العلاقة بينها وبين قريتها، تماماً كما قال بيير. تابعت تقول: «... كان عليّ متابعة دراستي الجامعية».

كان بمقدورها أن تضيف بأنها تلقنت درساً مهماً جداً من هذه التجربة، مفادها أنه عندما يتعلق الأمر بالرجال، عليها الوقوع بغرام رجلٍ تستطيع الاعتماد عليه فلا يغادر ويتركها خلفه. همت جورجي بمغادرة فراشها لكن بيير سبقها إلى ذلك، بالرغم من أن جو الغرفة بدا بارداً لأن الوقت لم يحن بعد لتشغيل التدفئة المركزية تلقائياً. لم يدرك بيير مدى تأثير البرد إلى أن ارتدى كنزته الصوفية وراح يفرك يديه ببعضهما ليدفئهما. تشدق قائلاً: «ما من داعٍ لأن تهربي».

فيما تابع ارتداء ملابسه بسرعة مستشعراً بالحرج من هذا الوضع.

كذبت جورجي قائلة: «لم أكن أنوي الهرب».

- سوف أشعل جهاز التدفئة. هذا المكان أشبه بالثلاجة.

سمعت جورجي نفسها تتمتم شيئاً ما، لكنها بدت شديدة الانشغال وهي تراقبه وهو بالقرب من الباب. كلما أسرع بيير بالتوجه إلى الطابق السفلي ليعمل كلما أصبحت جورجي بحالٍ أفضل، فكرت جورجي بذلك وهي تشعر بالارتباك. تخبطت بأفكارها فانقلبت على الوسادة حالما غادر الغرفة.

مر الوقت بأسرع مما تصورته، وقاربت الساعة السابعة صباحاً. خلال فترة زمنية قصيرة سوف يطلع النهار. يجدر بها أن ترتدي ملابسها من دون

www.alkottob.com

أن يبدو الأمر مثيراً للريبة، ولعلها تستطيع الخروج من هنا بحلول الساعة الثامنة لتطعم الدجاجات وتعمل على تحضير بعض الأزياء الخاصة بحفلة المدرسة. ربما يمكنها أن تعود لاحقاً هذا الصباح ولعلها تبقى حتى وقت الغداء. ديدي تعرف أنها منشغلة جداً بنشاطات المدرسة، فعيد الميلاد أصبح قريباً، وهنالك مهمات كثيرة يجدر بها إنجازها قبل حلول عطلة الأعياد. أسرعت جورجي بالتوجه إلى الحمام بقدر ما استطاعت من الهدوء، فقامت بغسل وجهها وحف فمها بمعجون الأسنان في غياب فرشاة الأسنان.

عندما عادت وجدت أن الحرارة بدأت بالانتشار في الغرفة، مما يعني أن بيير قد شغل جهاز التدفئة. أدارت جورجي ظهرها نحو الباب وهي تشعر بالأمان لمعرفتها أن بيير يجلس أمام شاشة الكمبيوتر في مكانٍ ما من المنزل، وهو الآن على الأرجح غافل عن كل ما يحيط به. لذلك خلعت ملابس نومها المستعارة، وبدأت بارتداء ثيابها. كان الثلج ما يزال يتساقط لكنه بدا أقل تجهماً من الليلة السابقة. سوف تتمكن من العودة إلى منزلها إذا ما اشتغل محرك سيارتها، إلا أنها قد تحتاج إلى بعض المساعدة. استدارت مبتعدة عن النافذة، فيما راح ذهنها يتمعن بكيفية تحكمها من الخروج من هنا من غير أن يبدو رحيلها متسرعاً أو غير لائق نظراً إلى كونها امرأة حظيت بحبيبها خلال عطلة الأسبوع. لم تسمع صوت الباب وهو يفتح، ولم تدرك حتى أنها تركته مشقوقاً. لم تشأ أن تحدث ضجيجاً بإغلاقه كي لا توقظ ديدي.

انطلقت الصدمة متسارعة في جسدها ما إن دخل بيير إلى الغرفة فيما هي لا تزال تقفل أزرار قميصها. وقفت هناك بكل بساطة، فيما انشق فمها جزئياً وارتخت يداها بحيث لم تعودا قادرتين على إتمام عملهما. لاحظت أن بيير يحمل صينية عليها كوبان من القهوة وبعض الخبز المحمص.

مشى بيير إلى داخل الغرفة، وعندها عادت يدا جورجي إلى التحرك فيما تلونت وجنتاها بلونٍ أحمر غامق بسبب الغضب والخجل الصرف. قالت

بصوتٍ يشبه العواء: «ما الذي تفعله هنا؟ يفترض بك أن تكون في الطابق السفلي... تعمل! أنت قلت هذا!»

وضع بيير الصينية على السرير، ثم وقف باستقامة قائلاً: «لم أقل أي شيء من هذا النوع. سوف أشيح بنظري عنك إذا ما رغبتِ حتى تنتهي من إصلاح هندامك بالرغم من أن الأمر أشبه بإغلاق باب الاصطبل بعد أن هرب الحصان».

بذل أقصى جهده كي يجعل صوته يبدو عادياً. شعر كما لو أنه يستطيع أن يرى قامتها الرشيقة من خلال تلك الثياب الفضفاضة. جورجي رشيقة القوام كما توقعها إلا أنها ليست نحيلة إلى حد الهزال. كما أن ملامحها الأنثوية مؤثرة إلى حدٍ جعل جسده القوي يجيش بردة فعلٍ فورية. إنها لا تشبه البتة أياً من النساء اللواتي خرج معهن في مواعيد غرامية في السابق واللواتي كن من دون استثناء أطول قامة وذوات قوام أكثر امتلاء. أما جورجي فتمتلك جسداً يتلاءم بشكل استثنائي مع شخصيتها: فتيّ ومفعم بالبراءة.

أدار بيير ظهره لها فيما عبس لردة فعله القوية تجاهها.

عندما استدار من جديد وجدها تقف في الوضعية السابقة نفسها، لكنها ثنت ذراعيها بشكلٍ متصلب. كانت جورجي قد فتحت الستائر، فدخلت أشعة شمس الشتاء الخفيفة مانحة الغرفة لوناً رماديا بارداً.

- وعدت والدتي أن أحضر لها الفطور إلى السرير لذا لم أقصد الطابق السفلي لكي أعمل، بل ذهبت لإعداد القهوة والخبز المحمص.

- كان يجدر بك أن تقول هذا!

تمشى بيير نحوها وقال: «أنت ترتعدين كورقة شجر في مهب الريح».

تمتم بيير بذلك وهو يضع يديه على ذراعيها، فشعر بها تتصلب بتأثير لمساته. سيطر عليه شعور بأنه خارج أعماقه تماماً، وأحب هذا الاحساس الذي سار متسارعاً عبر جسده، ما تركه مرتبكاً غير واثق من نفسه. إن بشرة جورجي ناعمة جداً كثمرة الدراق. غمغمت جورجي بجموح ووحشية: «أبعد يديك عني».

www.alkottob.com

لكن جسدها رفض بعناد أن يتخذ أي تدابير للتملص من بيير. عوضاً عن ذلك بقيت جامدة في مكانها فيما غرست أناملها بقوة في لحم ذراعيها الناعمتين، بينما استمرت يدا بيير بملامسة بشرتها. تجاهل بيير اعتراضها. لعل صوتها يأمره بأن يتركها لكن جسدها ينشد أغنية مختلفة خاصة به. شعر بالذهول وأحس كما لو أنه مراهق شغوف. سألها بنعومة: «لماذا؟ أهذا حقاً ما تريدينني أن أفعله؟»

قالت جورجي بصوتٍ ضعيف: «نعم!»

ثم أضافت كأنها تحاول إقناع نفسها قبل أن تقنعه: «بالطبع، هذا ما أريده».

حلّ بيير رباط شعرها المشدود إلى الخلف على شكل ذيل الحصان، ثم دفع بأنامله ما بين خصلاته. سحبت جورجي أنفاسها وهي تشعر بالصدمة بهذه المبادرة. راحت تتخبط في ارتباكها وتشويشها فيما حاولت يائسة أن تتصور ما يجدر بها أن تفعله.

- أنت جميلة حقاً!

تابع قائلاً: «هل أستطيع معانقتك؟»

لم تقل جورجي شيئاً كما لو أنها تخطت القدرة على الكلام. إنها ترغب بشدة بأن يعانقها إلى درجة أنها راحت ترتعد فعلياً بسببه. ما الذي يحدث لها؟ منذ متى سلّمت قدرة السيطرة على ذهنها إلى شخص آخر؟ شعرت بيده تطوق كتفيها، فيما انزلقت يده الأخرى على ظهرها فوق قميصها الواسعة، وهي أول الطبقات العديدة التي ترتديها في فصل الشتاء.

- سأعتبر صمتك بمثابة موافقة...

ثم تابع قائلاً: «أنت ترتدين الكثير من الثياب. أليس كذلك؟

جاهدت جورجي لتقول: «هذا جنون».

- ما هو الجنون؟ أنسيت أننا مغرمان ببعضنا إلى حد الجنون؟

- نحن لسنا مغرمين ببعضنا إلى حد الجنون. أنت تعلم هذا... نحن فقط... لا يجدر بنا...

- نحن فقط... لا يجدر بنا...

قلدها بيير ساخراً ثم أطلق ضحكة ساحرة خافتة، وتابع: «لكن ماذا لو أردنا ذلك؟»

راح يمرر أصابعه برقة فوق عنقها. إنها متشوقة إلى عناقه مثله تماماً! بمقدوره أن يحس بها تذوب بين يديه.

أحنى بيير رأسه بحيث أجبرها على النظر إليه، وطالبها بخشونة: «هل تشعرين نحوي بما أشعر به أنا نحوك من انجذاب؟»

بدت جورجي كذلك بالفعل. ليتها تستطيع مقاومة ذلك الشعور. يجدر بها أن تبتعد عنه بسرعة، لكنها لم تقوَ على ذلك. بدت عديمة الحيلة تجاه هذه القوة المغنطيسية التي تشدهما إلى بعضهما البعض. ها هي الآن بين ذراعيه وتبدو متأثرة به كما هو متأثر بها. بل إنها تكاد تذوب بين يديه. تكلم بيير بصوتٍ أجش قائلاً: «بالطبع أنت كذلك. إياك أن تنكري».

شدها نحوه فأرجعت جورجي رأسها إلى الوراء وهي تطلق شهقة تحمل في طياتها الاجفال والشوق معاً. بدا لها كأن مجموعة من الآلات الموسيقية تعزف سمفونية رائعة في كيانها. فتحت عينيها جزئياً فرأت رأسه ينحني ليعانقها وقد التمعت عيناه ببريق غريب مذهل في روعته. أخيراً عانقها...

لفهما عالم من الدفء والحلاوة جعلهما يذوبان معاً كذوبان الشوكولا السائلة. أطلقت جورجي تنهيدة رقيقة. إن كل إنش في جسدها يتجاوب مع عناقه بيأس مرعب...

وحده الله يعلم حتى متى كان عناقهما ليستمر لو لم تخرجهما الطرقة التي سمعت على باب غرفة النوم بقوة من عالمهما الصغير الخاص فعادا إلى الواقع الذي كانا قد نسياه لبعض الوقت. قفز بيير مبتعداً عنها، أما جورجي فلم تتأخر عنه فيما أطلت ديدي برأسها من خلف الباب: «آه! آسفة، عزيزاي».

بدت والدة بيير مرتبكة جداً.

- نحن كنا فقط...

www.alkottob.com

نظر بيير من فوق كتفه نحو جورجي التي بالكاد ظهر وجهها خلف شعرها الأشقر الأجعد المشعث، فيما حدقت نزولاً نحو رجليها، فقال: «. . . كنا على وشك القدوم. . .».

توقف للحظة، ثم تابع: «. . . إلى الطابق السفلي».

– لا داعي للعجلة. آسفة.

كانت ديدي للتو قد همت بإغلاق الباب، أما جورجي فلم تشعر أنها قادرة فعلاً على استنشاق أنفاسها إلى أن أغلق ذاك الباب بصمت. ما الذي كانت تفكر فيه بحق السماء؟ أتراها فقدت صوابها؟ قالت بهدوء: «هذا لن يحصل مجدداً أبداً. أبداً. . . هل تفهمني؟»

استند بيير إلى الحائط ونظر إليها ملياً. أبداً؟ هذه الكلمة ليست موجودة في قاموسه! أمال رأسه جانباً، لكنه لم يجب. من دون أن تتفوه بكلمة مرت جورجي بقربه فتخطته لتسير خارجة من غرفة النوم. فكر أن هنالك أشياء تبدو كالتحدي بالنسبة إليه، وجورجي إحداها!

٦ - لا مفر!

لم تتمكن جورجي من الهروب إلا بعد أن تجاوزت الساعة التاسعة صباحاً. بذلت ديدي جهدها في إقناع جورجي كي تبقى ساعة إضافية من الوقت، وسوف يتمكنان بعدها من إيصالها إلى منزلها بسيارة البنتلي. تطلب الأمر من جورجي استخدام كل مهاراتها التمثيلية حتى ترفض العرض. وبعد أخذ ورد اتجهت نحو الباب من دون أن تبدو يائسة للابتعاد من هناك. أخيراً نجحت في مسعاها وعادت بمفردها إلى خلوتها الخاصة مدركة أن النهار بأكمله سيكون لها وحدها، لأن ديدي وبيير ذاهبان في رحلة تسوّق، وحمداً لله، لن يعودا إلّا في وقت متأخر من بعد الظهر.

توقفت الثلوج عن التساقط، وبالرغم من أن الطقس ما زال مثلجاً بارداً، إلا أن السماء بدت زرقاء صافية والشمس تلمع متوهجة، حيث بدأت للتو تذيب بعضاً من الغطاء الأبيض الذي بدا جميلاً جداً منذ بعض الوقت. صلّت جورجي بصمتٍ كي يبقى الطقس صافياً فلا تتعطل خطتهم لتناول العشاء في أحد المطاعم المحلية. إذا ما تناولوا هم الثلاثة العشاء معاً، فلن يبقى هناك مجال لأن تخرج الأمور عن السيطرة بينها وبين بيير. عندما فكرت جورجي بما حصل بينهما ذلك الصباح اضطرت إلى أن تستند فعلاً إلى شيء ما وأن تغمض عينيها.

بيير لم يعانقها فقط، بل أشعل أحاسيسها وأيقظ كل خلية من خلايا جسمها، وهي تجاوبت معه بشكلٍ مخزٍ بتخلّيها عن كل محاولات التحكم بنفسها. أتراها اعترضت ولو قليلاً؟ إنها غير قادرة على التذكر. أغرقت نفسها في النشاط الجنوني، فنظفت المنزل كما لم تفعل منذ وقت طويل، ما

www.alkottob.com

جعلها تشعر بالارهاق التام مع حلول وقت الغداء. إلّا أن صورة بيير وهو يقترب منها ويعانقها ظلت تتطفل على ذهنها. تذكرت دفء عناقه ولمسات يديه، وذلك الشعور بالرغبة في الاستسلام لتلك الجاذبية التي تجمعهما بقوة. ذلك الشعور ليس مشابهاً لأي شيء أحست به من قبل. ستان كان رقيقاً، أما بيير فغمرها بحضوره وسيطر عليها فحوّلها إلى امرأة أخرى بالكاد تشبهها.

توقعت أن تسمع أخباراً من ديدي في مرحلةٍ ما، وهذا ما حصل فعلاً. رنّ جرس الهاتف عند الساعة الخامسة، وبدا من الواضح أن ديدي مسرورة جداً بعد رحلة التسوق الناجحة برفقة ابنها. كادت ديدي تتعثر بكلماتها وهي تصف لجورجي الغداء الرائع الذي تناولاه سوياً في أحد الفنادق المحلية، ثم أخبرتها عن المتاجر التي قصداها بحثاً عن الهدايا وعن زينة شجرة الميلاد... ألخ. أثناء ذلك تبين لجورجي أن افتراضاتها حول بيير تتداعى بسرعة كبيرة. كيف لها أن تعرف أن بيير يحب التسكع في المتاجر بعد تناوله الغداء؟ أين هو ذلك الرجل الوسيم المظهر، المبجل، الخالي من المرح والمدمن على عمله؟ فكرت أن هذا الرجل ليس موجوداً إلا في ذهنها، وذلك يثبت بشكلٍ قاطع أنها لا تبرع البتة حين يتعلق الأمر بتحليل شخصيات الآخرين، لاسيما الجنس الآخر. راحت ديدي تثرثر بسرور متابعة: «أصبح الطقس صافياً وجميلاً، لذا فكرنا بأن نذهب إلى مطعم «شيز رولاس «كما خططنا. سيكون عشاء رسمياً جداً بالمقارنة مع عشاء يوم أمس. أدرك ذلك... فإذا كنت تفضلين أن نبقى في المنزل...».

- لا!

مجرد تذكرها لما تفكر به ديدي جعل العرق يتسرب من جسدها. سعلت لتنقي حلقها، وتابعت: «لا. نتناول العشاء في الخارج فكرة رائعة. أنا أتحرق شوقاً لأسمع كل شيء بخصوص نهاركما. مضى وقت طويل جداً منذ أن غامرت بالخروج للتسوق، ديدي».

ذكرت جورجي نفسها بأن هذا هو السبب الذي يدفعها إلى اختلاق هذه

التمثيلية. لقد استعادت ديدي ذلك التوهج الذي كان قد اختفى من حياتها خلال الأشهر القليلة الماضية.

- آه! أنت لن ترغبي بسماعي أتكلم طيلة الوقت، جورجي.

لاحظت جورجي فيما أحست بقلبها يغوص أن ديدي أطلقت قهقهة شبيهة بقهقهة الفتيات، فقالت لها بمرح: «بالطبع أريد ذلك! فبيير وأنا يمكننا دوماً أن... أن نتابع كلامنا... لاحقاً...».

- بالطبع يمكنكما... حسناً...!

سمعتها جورجي وهي تسأل بيير عن موعد العشاء، فارتعشت لدى سماعها صوته ذي النبرة العميقة فيما قال شيئاً ما غير محدد في الخلفية. عادت ديدي تتكلم عبر خط الهاتف قائلة: «سوف نمر بك حوالى الساعة السابعة. الوقت مبكر بعض الشيء، لكن ما من داعٍ لأن نجازف بالخروج في وقت متأخر جداً في هذا الطقس السيء».

جورجي توافق تماماً على هذا الرأي، فهي ترغب بأن تتدثر جيداً وتأوي إلى سريرها الخاص في وقت مبكر هذه الليلة. هذا يلائمها تماماً. سيبدو من المناسب أن تعود إلى منزلها عند الساعة العاشرة لتقفل بابها الأمامي وتشعر بالارتياح.

ارتدت جورجي ملابسها وهي تحمل هذه الفكرة المتفائلة في ذهنها. فلبست شيئاً أكثر تميزاً مما ترتديه عادةً، وهو أمر غير اعتيادي بالنسبة إليها. إنه في الواقع الزي الوحيد المتميز في خزانة ملابسها. ارتدت فستاناً أحمر اللون طويل الكمين يبرز ملامح جسدها، وعوضاً عن ارتداء حذائها المسطح الكعبين المضاد للمياه، انتعلت حذاءً عالي الكعبين. لعله ليس عملياً نظراً إلى حالة الطقس، لكنه حتماً ضروري لمكانٍ مثل «شيز رولاس».

- ملابسك جميلة، لكن القبعة الصوفية غير مناسبة لها على الإطلاق.

قال لها بيير ذلك عندما فتحت له جورجي الباب وبدأت ترتدي معطفها الأسود.

www.alkottob.com

ردت بنبرة لاذعة: «لا أنوي ارتداءها في المطعم».

كانت جورجي قد استجمعت قواها استعداداً لرؤية بيير، لكنها بدت مأخوذة به بشكل غبي لأنه بدا وسيماً جداً وهو يرتدي معطفه الأسود المفتوح الذي يكشف عن قميصٍ بيضاء مشرقة مع سروالٍ غامق اللون. أحست أن كل جزءٍ من جسدها تدب فيه الحياة بشكلٍ مرعبٍ، فأصبحت متنبهة لوجوده. لكنها أخفت هذه الحقيقة تحت تجهمها وعبوسها، فيما جذبت القبعة الصوفية نزولاً فوق رأسها بحركة دفاعية.

- أنت تنتعلين حذاء...

- عادة ما أفعل ذلك.

- لكنه من النوع الملائم للنساء.

- نعم. لكن يصادف أنه ليس من النوع الملائم لعملي! لا يبدو عملياً أن أؤدي مهمة رعاية التلاميذ في الملعب وأنا أنتعل حذاء عالي الكعبين!

وتجهّا قائلاً: «هيه... إن التحدث مع حبيبك بنبرة لاذعة ليس تصرفاً رومنسياً. أليس كذلك؟»

أمضى بيير نهاراً مريحاً برفقة والدته. اتكأت ديدي على ذراعه فيما سارا متمهلين على طول الشارع. بدت روحها المعنوية عالية، لكن قدراتها الجسدية بدت محدودة أكثر مما توقع بيير. لم ينظر بيير ولو مرة واحدة إلى ساعة يده، ولم يتساءل عما يحدث في مكتبه خلال هذا الوقت. كذلك فهو لم يصر على استقبال المكالمات الهاتفية على هاتفه النقال.

غمغمت جورجي متذمرة، وقد بدت زهرية الخدين: «أنت لست حبيبي».

ليس بعد! أدرك بيير أنه يفكر بذلك فعلاً فابتسم لنفسه. ما حصل بينهما هذا الصباح بدا بمثابة الرؤية الجديدة بالنسبة إليه. لطالما اعتقد أن الفتاة الغريبة الشبيهة بالصبيان قد نمت وبلغت فصارت امرأة مزعجة تماماً، لكنه اكتشف أن هذه المرأة ليست شبيهة بالصبيان وليست مزعجة أيضاً، كما أنها تشعر بالانجذاب إليه بغض النظر عن اعتراضاتها المعاكسة.

- آه! لكننا لن نرغب بأن تشك ديدي في ذلك. ألست محقاً؟

وضع بيير ذراعه حول خصر جورجي، فتمنت لو أنها تستطيع أن تصفعه وتبعده عنها، لكنها تعلم أنها لن تنجو بفعلتها. رافقها بيير وقادها نحو سيارة البنتلي التي تنتظرهما. فتح لها الباب ووقف بانتظارها ليغلقه بعد أن أصبحت جورجي آمنة في داخلها.

بدت ديدي في حالةٍ ممتازة فيما أقلتهم السيارة باتجاه المطعم. لاحظت جورجي أن خديها متوردان وعينيها مليئتان بالحيوية، كما أنها ترتدي ملابس رائعة، وسرّت جورجي لرؤية ذلك. ارتدت ديدي تنورتها الخضراء ذات المربعات الشبيهة بلوحة الشطرنج مع كنزة خضراء ملائمة. حين تقدمها بيير ليتحدث مع مدير المطعم، أقرت لجورجي بأن بيير أصر على شراء هذه الكنزة لها.

- هذا ما يجدر به أن يفعله.

وافقتها ديدي وهي مستغرقة في التفكير: «أدرك ذلك، لكنه لم يفعل هذا أبداً من قبل. ليس إلا إذا كانت مناسبة خاصة تتطلب ذلك. آه... ! نعم. هو لم ينسَ يوماً عيد ميلادي أو عيد الأمهات، لكن هذه هي المرة الأولى التي يشتري لي فيها شيئاً ما بشكلٍ عفوي تلقائي. لا يمكنني أن أشرح لك كم يعني ذلك لي. لابد أنه الحب».

- بالطبع هو يحبك.

- لا، عزيزتي! لابد أن السبب هو كونه مغرماً.

عودة بيير في تلك اللحظة أعفت جورجي من وجوب ملاقاة ذاك التصريح بتعليق ملائم. كان عدد لا بأس به من رواد المطعم قد ألغوا حجوزاتهم بسبب حالة الطقس، لذا تمت مرافقتهم إلى أفضل طاولة في المطعم. وضعت الطاولة في إحدى زوايا المطعم الحميمة، حيث علقت صور فوتوغرافية باللونين الأبيض والأسود على الجدران خلفهم لتذكر الزبائن بأن عدداً كبيراً من المشاهير زاروا هذا المكان على مر السنوات. وبما أن الطاولة الدائرية كبيرة الحجم، فإن بيير يجلس بعيداً جداً ولا يقدر على القيام

www.alkottob.com

بأي من تلك الحركات والمبادرات الخاصة بالعشاق، التي يبدو أنه يظنها ذات أهمية جوهرية. يوم غد سوف يرحل ليعود إلى لندن فيصبحان قادرين على إدارة علاقتهما الغرامية المختلقة بأمان على بعد عدة مئات من الأميال التي تفصل بينهما. بعدئذٍ سوف يتوصلان إلى طريقة لإنهائها قبل أن تسنح الفرصة لديدي بأن تظن أن سماع صوت أجراس الكنيسة أثناء حفل الزفاف سيكون الخطوة المنطقية التالية في هذا السيناريو.

لم يدم ارتياح جورجي طويلاً. بعد أن تبادلوا الحديث بمزاح ومرح حول قائمة الطعام واختيار الأطباق وانتقاء العصير، استند بيير إلى الوراء في كرسيه وقال بشكل لا مبال لم يعجب جورجي كثيراً: «من السهل أن يعتاد الرجل على المساحات الفسيحة. إنه تغير جذري عن لندن».

في الحال انتصبت جورجي في جلستها وأصغت إليه بانتباه، مع أن الملاحظة بدت غير مؤذية إلى حدٍ بعيد. قالت له ديدي متفاجئة: «لم أظنني قد أسمعك تقول ذلك يوماً، بيير».

أقر بيير: «وأنا ما كنت أظنني أفعل. لعل التقدم في العمر بدأ يأخذ مفعوله».

ثم وجه لجورجي شبه ابتسامة متكاسلة وتابع: «ما رأيك؟»

- آه! لطالما كنت رجلاً يحب حياة المدينة، وستبقى كذلك!

ابتسمت جورجي بأسى نحو ديدي، قائلة: «أنت تعلم أنك تحب العيش في لندن. لطالما قلت ذلك بنفسك! أنت تعشق طراز حياة المدينة المندفع السريع. كما تعشق الحماس والتحدي. قد تظن نفسك لوهلة معجباً بهدوء الحياة الريفية وسكينتها، إلا أنك تشعر بالضياع من دون لندن. يقوم الكثير من الناس ببيع كل ما يملكونه في المدينة فينتقلون إلى الريف لأنهم قصدوه في عدة مناسبات، فيتخيلون أن لا شيء أفضل من الاستيقاظ على صوت زقزقة العصافير وأصوات حيوانات المزرعة. وحين يصلون إلى هنا يتلقون الصدمة إذ يدركون أن ليس هناك محلات تجارية تبيع القهوة بالحليب ولا الخبز الفرنسي الطويل، كما لا توجد نوادٍ ليلية توفر لهم التسلية ولا خيارات

عديدة من العروض الموسيقية المسرحية ليقصدها المرء، مساء أيام السبت... غريب كم هو عدد الأشياء التي تعتاد عليها من دون أن تدرك ذلك حتى».

نظرت بأسى نحو ديدي، وتابعت: «هذه هي إحدى سيئات العلاقة الغرامية بين شخصين يعيشان على مسافة بعيدة عن بعضهما».

هتفت ديدي قائلة: «لكنكما لستما تعيشان في الجهتين المتقابلتين من الأرض».

- أعلم ذلك. لكن، حسناً...! الأمر يتعدى هذا. أليس كذلك بيير؟

نظرت جورجي إلى بيير بحثاً عن الدعم لرأيها لكنه بدا عابساً، ما جعل جورجي تتساءل إن كانت قد تمادت كثيراً في الكلام. إن آخر شيء تريده هو أن تشعر ديدي بالقلق. سألها بيير بنعومة: «أحقاً؟»

- حسناً! نعم... بالطبع هو كذلك!

سمعت جورجي نفسها تبدأ بالغمغمة، فاستنشقت نفساً عميقاً لتنظم أفكارها. لماذا بحق السماء لا يدعمها بيير؟ إنه يسترخي في كرسيه بتكاسل وهو ينظر إليها كما لو أنها فجأة بدأت تتكلم لغة غريبة عنه. أتراه حقاً لا يفهم ما الذي تحاول أن تفعله؟ أو لعله يريدها أن تتخبط في اعترافاتها المرتبكة، ليسمح لنفسه بأن يدير ظهره في وقتٍ لاحقٍ، فيقول لديدي: «حسناً! كنت أنوي أن أمنح العلاقة فرصة، لكن جورجي...».

كلام جورجي جعل ديدي تشعر بالارتباك، فقالت: «ما الذي تقصدينه، عزيزتي؟»

- آه! لا شيء. أردت أن أقول إن من الصعب جمع خلفيات اجتماعية مختلفة.

يا إلهي! ها هي الآن تبدو كما لو أنها قادمة من كوكب آخر.

قالت ديدي مفكرة: «يمكن للعقبات أن تدعم الحب فتجعله شيئاً صلباً لا يمكن زعزعته».

أصدرت جورجي صوتاً يدل على الانزعاج، وما لبثت أن لمحت بطرف

www.alkottob.com

عينها أحد النادلين يدنو منهم. شكراً للسماء! شبكت أناملها ببعضها آملة أن ينقذها هذا الإلهاء المؤقت وهم يقومون بطلب الطعام. لكن حالما اختفى النادل عادت ديدي إلى الحديث السابق، فأخذت تتوسع فيه الآن بشكل شاعري لتتحدث عن التسويات الضرورية لاستمرار العلاقة الغرامية. جاهدت جورجي لإعادة الأمور إلى مجراها الصحيح، فقالت: «أنا موافقة تماماً. كل ما في الأمر هو أن بيير شديد...».

وجهت له ابتسامة وأملت أن تلخص له تماماً ما تشعر به تجاهه، فتابعت: «... الحماس، كثير الطموح والأسفار. أنا فقط أخشى، حبيبي أن تشعر بالملل معي...».

ثم مدت يدها فاعتصرت يده قليلاً بحيث أصبحت أظافرها منغرسة في كف يده. بدا من الطبيعي أن تستدعي هذه المبادرة ردة فعل من قبله. جذب بيير يدها إلى شفتيه فقبل أناملها برفق حتى ليبدو للناظر إليه أنه ذلك العاشق المسلوب العقل الذي لا فكرة لديه لماذا تجعل حبيبته من شيء تافه كعدّة أميال تفصل بينهما أمراً بالغ الأهمية. تمتم بيير قائلاً: «وصفك هذا إطراء بالنسبة إلي، لكنني أؤكد لك أنني لا يمكن أن أعتبرك مملة أبداً».

حاولت جورجي أن تخلص يدها من يده إلا أن بيير أمسكها بحزم. لم يعد هناك جدوى من الادعاء بأن الأميال العديدة التي تفصل بينهما أو الاختلافات الشاسعة بين شخصيتيهما هي مشاكل جدية تقف لهما بالمرصاد، استعداداً للانقضاض عليهما في أي لحظة. تمتم بيير برقة: «على العكس تماماً... أنت عفوية ومندفعة إلى أقصى حد، وتقومين بتصرفات غير متوقعة. ألا توافقينني الرأي؟ كم مرة فاجأتني في لندن بحيث ظهرت أمامي فجأة كما لو أنك جئتِ من العدم! أنت مستعدة لأن تفعلي أي شيء مرتجل وفوري...».

داعب يد جورجي بإحدى أنامله فأرسل ذلك موجة كهرباء حامية في داخلها. تابع قائلاً: «أنت لا يمكن أبداً أن تكوني من الصنف الممل المضجر!»

تأملت ديدي مفكرة: «إن النقيضين ينجذبان إلى بعضهما فعلاً كالمغنطيس».

ضحك بيير وقال: «آمل أنك لا تلمّحين إلى أنني الممل في هذه العلاقة، ديدي! إن كنت كذلك فأنت مخطئة، باعتبار أن هذه المرأة الوقحة الجالسة إلى جانبي تجدني رائعاً».

امرأة وقحة؟! أتراه يشير إلى عناقهما صباح ذلك اليوم؟ أيسخر منها لأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها فيما ديدي جالسة معهما وهي تبتسم لهما راضية؟

وافقت ديدي مقهقهة بتسامح: «هذا ما أنت عليه. من المؤسف أنك ستضطر إلى العودة إلى لندن بهذه السرعة».

انتزعت جورجي يدها من يد بيير وقالت: «هذا مؤسف حتماً، لكن العمل يناديه. أنا لم أفهم يوماً ضرورة العمل في كل ساعة من النهار، لكنني حتماً تعلمت احترام ذاك الجانب فيك، بيير».

- بالطبع، وأنا أقدر ذلك تماماً.

سادت بينهم فترة صمتٍ مثقلة، فيما قام النادل بوضع الأطباق أمامهم. أعلن بيير راضياً: «لهذا السبب اتصلت بمكتبي وأعلمتهم أنني سوف آخذ إجازة طيلة الأسبوع القادم. أشعر حقاً أن حياة الريف بدأت تؤثر بي. أتعلمين...؟ مضت سنوات لم أحصل خلالها على أي نوع من الإجازات من عملي. أظنني أستحقها. لاسيما أن هناك الكثير من الإغراءات بانتظاري هنا!»

لم تقوَ جورجي على ردع نفسها، ففتحت فمها باندهاش وارتعاب. غمغمت بغير وضوح: «لا يمكنك...! أعني... سوف تفلت من يدك تلك الصفقة الكبيرة... المهمة... أعني ذلك العقد الذي عليك إنجازه. ذاك الذي أخبرتني عنه. إنه يتطلب لقاءات عمل... مؤتمرات... محامين...».

سألها بيير بعبوس: «عن أي عقد تتكلمين؟ حددي لي أكثر».

www.alkottob.com

كزّت على أسنانها قائلة: «لا يمكنني أن أتذكر العقد بالتحديد، لكنك ذكرت. . . ذكرت لي أنك مضطر إلى العودة يوم الإثنين على أبعد تقدير!»

- المخططات تتغير.

أصبح لون ديدي زهرياً لدى سماعها لهذا التطور غير المتوقع، فقالت: «هذا خبر رائع، بيير!»

حاولت جورجي أن تبدو مبتهجة: «حقاً، بيير! لكن لا تنس أنني سأكون في العمل! ألا يبدو سخيفاً أن تأخذ إجازة من عملك في حين أنني سأكون فعلياً منشغلة خلال كل دقيقة من النهار؟»

قال لها مهدئاً: «لا تقلقي بهذا الشأن أبداً، فأنا سأعمل معظم هذا الوقت. كمبيوتري النقال معي، وهنالك بعض الأمور التي أرغب بتفقدها وإصلاحها في أرجاء المنزل».

ابتسم بيير لها متحدياً. وقالت ديدي بشجاعة: «إن القيام بأعمالك المنزلية بنفسك هو تطور مرضٍ جداً، ولن أنكر بأن من الرائع أن أحظى برجلٍ في المنزل. مضى وقت طويل جداً على ذلك».

تمنت جورجي لو أن بمقدورها أن تكون أكثر تعاطفاً تجاه ديدي، لكن أعصابها أصبحت مشتتة منذ أن حلّ بيير عليهما، وهي تتطلع قدماً إلى موعد مغادرته بشوق يكاد يصل إلى حدود اليأس.

- يمكننا دوماً أن نلتقي خلال الأمسيات، وأنتما الاثنان تستطيعان فعل ذلك أيضاً! أنا يسرني بكل بساطة أن أتابع ما فاتني من قراءات. هل ذكرت لك عزيزي أنني انضممت مجدداً إلى نادي المطالعة؟ يا إلهي! هذا الطعام لذيذ جداً!

بدت جورجي منهزمة، وبالكاد استطاعت أن تستمتع بالطعام المميز الذي وضع أمامها. لماذا يتصرف بيير على هذا النحو؟ وجدت نفسها تتمنى أن تنتهي الأمسية بسرعة. ليس لأنها ترغب بالعودة إلى المنزل، مع أنها تريد ذلك حقاً، لكن الأهم من ذلك هو أنها ودّت لو تكتشف ما الذي يظن بيير نفسه فاعلاً بحق الجحيم!

أوصلها بيير إلى منزلها أولاً بما أنه يقع على طريقه. أخبرها وهو يقف قرب الباب أنها تبدو كأنها على وشك الانفجار.

- أنا كذلك!

همس بيير قائلاً لها: «ذلك مضر لضغط الدم».

وفيما راحت جورجي تحملق به وتفكر بردٍ مناسب، انحنى بيير وعانقها برشاقة من دون أن يتسنى لها الوقت لتنسحب إلى الوراء. ذلك الأمر جعلها ترغب بأن يرحل في أسرع وقت ممكن. عناقه السريع أثر بها حتى الصميم بقوة هزت كيانها وزعزعت ثقتها بنفسها. الآن سوف تضطر إلى التعامل معه لمدة أسبوع آخر وهو يتسكع هنا ويلعب دور العاشق الولهان كلما كانت ديدي برفقتهما! كيف تراها بحق السماء ستتكيف مع هذا الوضع؟ كم من الأعذار يمكنها أن تختلق حتى تتجنبه من دون أن تشك ديدي بوجود خطب ما؟ اعتقادها البريء الساذج بأن هذه المهزلة قد تحقق النتائج المرجوة من دون أن تحدث أي أذى أثبت فشله. ما يحصل لها ليس سوى خطر مميت على وشك أن يصبح أقبح وأشنع غلطة ارتكبتها طيلة حياتها. حسناً! يفترض بها أن تتكلم مع بيير.

* * *

قرع جرس الباب خمس مرات قبل أن تدرك جورجي المتقوقعة في غرفة نومها وجود زائر ما. كانت تقرأ كتاباً فيما أدارت جهاز راديو صغير محمول لتسمعه. علاوة على ذلك، علمت تماماً من هو ذلك الزائر، وقررت أنها ليست في مزاج يسمح لها بإجراء حديثٍ معه، ليس وهي ترتدي لباس نومها. يوم غدٍ سوف تكون هادئة ومسيطرة على نفسها، وستتمكن من التعامل معه كشخصٍ راشدٍ. أطفأت الضوء في غرفة النوم، ثم طمرت رأسها تحت الوسادة. ابتسمت لدى تصورها أن بيير يضرب قدميه بالأرض بعنف أمام بابها الأمامي لشدة حنقه، في هذا البرد القارس. ربما تكون هذه المرة الأولى التي لم يحصل فيها على مراده.

لم تتمكن جورجي من سماع وقع الخطوات التي تتقدم صعوداً على درج

www.alkottob.com

منزلها فيما راح بيير يدفع أبواب الغرف في الطابق العلوي إلى أن وجد غرفة نومها. أضاء النور في الغرفة، فيما راقب تلك الكتلة المطمورة تحت اللحاف التي خرجت في نهاية الأمر وشعرها مبعثر في كل الاتجاهات. راحت عيناها الخضراوان تقدحان شرراً وسخطاً وهي تصرخ في وجهه.

تكلم متخطياً كل المقدمات والمجاملات، قائلاً: «قرعت جرس الباب عدة مرات».

- كيف دخلت إلى هنا؟

ربت بيير على جيب سرواله فسمعت خشخشة المفاتيح فيه فيما قال: «ديدي تمتلك مفتاحاً لمنزلك معلقاً على مشبك بالقرب من الباب».

- وأنت أخذته بكل بساطة وتوجهت إلى هنا!

خطا بيير داخل الغرفة التي بدت بحاجة إلى بعض التنظيم. رأى الفستان الذي ارتدته إلى المطعم معلقاً بشكل عشوائي على الكرسي المجاور لطاولة التزيين، بالإضافة إلى بضع قطع ثياب أخرى مكدسة بالقرب من النافذة فتوقع أنها على الأرجح جربتها في وقتٍ سابق. من الواضح أن جورجي أضاءت شمعة معطرة لأن الغرفة تعبق برائحة خشب الصندل. فكر أن تلك لمسة جميلة.

- في الواقع ديدي فوجئت بأنني لا أمتلك مفتاحاً خاصاً بي، لكنني أخبرتها أنك تسافرين دوماً إلى لندن لرؤيتي.

جلست جورجي شبه مستقيمة في السرير شابكة ذراعيها بشكل مستفز مغتاظ. فتابع بيير: «أمضيت الأمسية بأكملها وأنت تتفجرين غضباً. لماذا؟»

- هذا ليس الوقت ولا المكان. . . .

- نعم، نعم، نعم. والآن بعد أن أثبتنا هذا، هل ستنطقين بما يكدرك؟

تمشى بيير عابراً الغرفة نحو النافذة الناتئة، فأزاح جانباً كومة الملابس ثم جلس ممدداً رجليه الطويلتين، واسترخى إلى الوراء ليحدق بها. أتراها

تدرك كم هي امرأة جذابة بشعرها الأشقر بلون الفانيلا، وبعينيها الخضراوين الغاضبتين؟ أو تدرك كيف تختلس عيناها الغاضبتان النظرات نحوه، وقد بدا فيهما الذهول والتوق معاً. من هو ليقاوم هذا الانجذاب الطبيعي بينهما؟

لم يتوقع بيير أن ينجذب إلى هذه المرأة مطلقاً، لكن لا بد له أن يقر أن الأمر ممتع إلى أقصى حد. أما تلك الإشارات التي تحذره بأن يبقى بعيداً عنها والتي أحاطت نفسها بها فتبدو مزعجة إلى أقصى الحدود أيضاً.

- يمكننا أن نذهب إلى الطابق السفلي، إذا كنتِ تشعرين بالانزعاج لأنك في السرير. . .

تخيلته جورجي وهو يجلس هناك فيراقبها وهي تتسلل خارجة من تحت اللحاف في لباس نومها غير الأنيق فلم تعجبها الفكرة مطلقاً: «حسناً! سأقول لك ما لدي وبعدها أريدك أن ترحل. مفهوم؟»

- بالطبع.

- ما الذي ظننت نفسك فاعلاً هذا المساء؟

عبس بيير وشبك رجليه ببعضهما. مجرد النظر إليها جعله يشعر بالتوق إلى معانقتها. إنه جنون! نهض وبدأ يخطو عبر الغرفة الصغيرة لكي يلهي نفسه عن أفكاره تلك، وليبعد نظراته قليلاً عن جسمها المنحني إلى الأمام الذي يوجه له دعوة معذبة ومربكة في آن معاً.

- ما الذي تقصدينه؟

- لا تتظاهر بالجهل، بيير! أنت تعلم تماماً ما الذي أتكلم عنه! منحتك الفرصة التامة لكي نبحث كلانا عن مخرج لنا من هذا الموقف!

- آه! نعم، بدأت أتذكر ذلك الآن.

توقف بيير عن السير في الغرفة فجلس منحنياً إلى الأمام عند مؤخرة السرير بطوله الذي يزيد عن الست أقدام. ألقى إحدى يديه على مسند القدمين ما جعلها تتحرك لا شعورياً إلى الوراء.

- أكان يفترض بي أن أوافق على أنني شخص مدمن على العمل؟

www.rewity.com RAYAHEEN
www.alkottob.com

شخص لا يمكن أن يحيا من دون . . . ما كان ذلك؟ آه! نعم. طراز حياة المدينة المندفع السريع . . . ذاك النوع من الرجال المملين المحدودي العقول الذين لا يستطيعون الحفاظ على علاقة غرامية ولو بعد مئة سنة؟

عارضته جورجي قائلة بتجهم: «أنا لم أقل أبداً إنك ممل».

– آه! بالطبع. أنا شخص مندفع، كثير الطموح والسفر. أنا متحمس وطموح جداً وكثير الأسفار إلى درجة أن الريف يسبب لي انغلاقاً ذهنياً.

– حاولت أن أضع الأسس: أنت وحياتك في لندن. أنا وحياتي هنا. إنه أفضل أسلوب نعتمده لإحاطة ديدي بحقائق حتمية بأن المسافة البعيدة والاختلافات الموجودة بيننا سوف تعترض دربنا.

أومأ بيير متفكراً ثم وقف وتمشى في الغرفة قبل أن يعود إلى جانب السرير ويجلس مجدداً. نظرت إليه جورجي بحذر، وقالت: «أتعني أنك توافقني الرأي؟ ظننتك ستفعل! أعني، إنه منطقي. أليس كذلك؟ يمكنك حتى أن ترحل بعيداً!»

– أنا لا أحبذ فكرة الاختفاء لفترة، كما يصادف أنني أستمتع نوعاً ما بحياة الريف. في الواقع أنا أنوي المجيء إلى هنا باستمرار وبكثافة أكبر. لا . . . بل لدي فكرة أفضل، جورجينا . . .

ابتلعت جورجي ريقها وقالت هامسة: «ماذا؟»

قال لها بيير بنعومة: «أعتقد أنه يجدر بنا أن ننظر إلى الموقف من ناحية مختلفة تماماً. ها نحن الآن هنا . . . نتظاهر أننا عاشقان في حين أنه ما من داعٍ للتظاهر».

شعرت جورجي أن عينيه الزرقاوين الساحرتين تنومانها مغنطيسياً أما صوته فبدا خافتاً مخملياً، تابع بيير: «لن أكذب عليك. أنا أتوق إلى عناقك والتقرب منك، وما دام الشعور متبادلاً . . .».

فتحت جورجي فمها لتعترض، فرفع بيير إحدى أصابعه رافضاً أن تتفوه بهذا الاعتراض والانكار. هز كتفيه وقال: «. . . لِمَ نقاومه؟ ما من داعٍ لأن تجفلي وتبتعدي عندما أدنو منك. أنا أرغب بضمك إلى ذراعي، وأنت

ترغبين بذلك أيضاً».

إنه كالحيوان المفترس، استشعر بضعف الفريسة فانقض عليها. أما المشاعر والأحاسيس فلا تدخل في معادلاته. هما يشعران بالانجذاب إلى بعضهما وهذا يكفي بالنسبة إليه. أحسّت جورجي بموجة غضب غامرة تكتسحها، ما منحها القوة حتى تنظر إليه ببرود.

– هذه فكرة مغرية جداً، بيير. ومع ذلك سوف أرفضها.

مرر بيير أنامله في شعره وهو يشعر بالارتباك. سألها: «لماذا؟»

– ناقشنا هذا الأمر من قبل.

– نعم. قبل أن يطرأ هذا الانجذاب المفاجىء بيننا.

– أنا لا أؤمن بلعب دور الفتاة اللعوب. سواء كان هناك انجذاب متبادل بيننا أم لا، فأنت مسؤول عن أخلاقياتك الخاصة بيير، وأنا مسؤولة عن أخلاقياتي.

– آه، بحق السماء! نحن لا نتحدث هنا عن التخطيط لإحراق مدرسة البلدة، جورجي! نحن نتحدث عن اللهو والعلاقة الغرامية ضمن حدود المسموح به.

– ما بيننا هو مجرد تمثيلية كبيرة، وأنا لست مجرد شيء ملائم لك يمكنك أن تحصل عليه ساعة تشاء لأنك تريده. هذه هي المشكلة الكبرى.

– لم أسمعك تعترضين هذا الصباح، ولو لم تدخل ديدي صدفة إلى الغرفة كنا على الأرجح سنستمر في عناقنا من دون أي اعتراض من قبلك . . .

قالت: «لست أدري كيف حصل ذلك».

– ما إن اقتربت منك حتى دبت النيران. هكذا حصل الأمر.

إنه يكاد يخسر المعركة . . . أمر لا يصدق! في أي عصر رجعي تعيش هذه المرأة؟ تابع قائلاً: «هذا أمر طبيعي. أما أن تجلسي مكانك بانتظار السيد المناسب لك، فذلك يسمى مضيعة للوقت».

– بل يسمى قذف مبادئي في النار. أما جلوسي في مكاني بانتظار السيد المناسب لي فيسمى الإيمان بالحب، على أي حال ليس هذا ما أفعله الآن.

www.alkottob.com

أنت متهكم فظ.

- وأنت يا حبيبتي منافقة مرائية.

مشى بيير باتجاه الباب فتسكع متكئاً إليه لبضع لحظات، ثم هز كتفيه قائلاً: «لكن... هذا خيارك».

شعر بيير كما لو أن كبرياءه تنال صفعة على الوجه تعيدها إلى مكانها. تابع قائلاً: «سأقول لك مع ذلك كلمة تحذير... لعل نكران الذات هو أمر نبيل أخلاقياً، لكن عندما ترتعدين برداً في سريرك فإن مبادئك لن تجعلك تشعرين بالدفء».

كل جواب مفحم وسريع وذكي على تلك الملاحظة الصاعقة، قفز إلى ذهن جورجي بعد عشر دقائق تقريباً على مغادرة بيير للغرفة حيث أصبح لديها عدد لا بأس به من الردود لتقولها، لكن بعد فوات الأوان. أما في تلك المرحلة، فإن أكثر ما استطاعت أن تفعله هو التنقيب في ذهنها لتذكر نفسها بأسباب كرهها له. إنه مجرد خنزير أناني صعب المعشر!

٧ - مفاجأة عيد الميلاد

أملت جورجي أن يسدي لها هذه الخدمة الهائلة، فيجد عذراً ما حتى يغادر في وقت أبكر مما قرره. تطلب الأمر كل ذرة من طبيعتها المحبة للخير حتى تذكر نفسها بأن ديدي تستمتع بكل لحظة من وجود ابنها إلى جانبها. على أي حال، سوف تنشغل بعملها نهار الإثنين وديدي تدرك تماماً أن مهنة التعليم تعني الكثير لها. تعتبر جورجي تلاميذها في المدرسة الابتدائية المحلية أكثر من مجرد أولاد صغار تدرسهم لأنها مجبرة على ذلك، ذلك أنها فقدت والديها وليس لديها أقارب ولا أطفال. إنها تمضي الكثير من الوقت وهي تحضّر دروساً غير مدفوعة الأجر وتشرف على أحداث مدرسية يحاول معظم المدرسين تجنب المشاركة بها خصوصاً في فصل الشتاء. أما مع اقتراب موعد حلول عيد الميلاد، فهي المسؤولة عن كل ما ينبغي إعداده لأجل المسرحية المدرسية، وعن التحضير لزيارة سانتا كلوز المنتظرة بشغف من قبل الأطفال.

في هذه الفترة بالذات شعرت جورجي بالامتنان جداً لعملها الذي يلهيها بكثرة نشاطاته. في الواقع، كانت هي أول من وصل إلى المدرسة يوم الإثنين، فهي في الواقع لم تعد تقوى على النوم فنهضت مبكرة من سريرها هذا الصباح. ما انفكت كلمات بيير تتردد في ذهنها كما لو أنها أسطوانة عالقة في مكانها؟

أقرت جورجي أنها أعطته إشارات بأنها منجذبة إليه، فراحت تتقلب وتستدير في السرير حتى بزوغ الفجر. إلّا أنها شعرت بالرضى عن نفسها لأنها أعلمت بيير بعبارات واضحة بأنها أقوى من أي انجذاب عابر قد

www.alkottob.com

يسيطر آنياً على قوة إرادتها. مع حلول الساعة السادسة صباحاً، كانت جورجي قد استعرضت مختلف السيناريوهات الخيالية التي تصورها حاملة فخورة للقيم الأخلاقية والمبادىء العقلانية. فقد أدلت بآرائها تلك بنبرة عالية رنّانة، فيما أصغى بيير إليها وهو يشعر بالأسى والحزن.

قررت جورجي أن تتأخر عن الموعد المقرر لذهابها إلى منزل ديدي مساءً محتجة بتأخرها في العمل. حاولت إقناع نفسها أن من الأفضل أن تكون متمسكة بمبادىء أخلاقية ترشدها لا أن ينتهي بها الأمر كبيير. فهذا الأخير أصبح مجرداً من الأحاسيس والعواطف، وهو يجد المتعة العابرة في نساء ليس بينه وبينهن أي تواصل مستمر، وحين يغادرن حياته، فهنّ لا يتركن أي أثر. ظلت تردد هذه الأمور لنفسها بعناد فيما ارتدت ملابسها في وقتٍ لاحقٍ من ذاك المساء. لا شيء يستحق التأنق هذه المرة. ديدي سوف تعد وجبة الطعام، وليست لدى جورجي أي نية بالتأنق لأنها لا ترغب بأن يظن بيير أنها تبذل جهداً إضافياً من أجله. شدّت شعرها إلى الخلف فعقدته على شكل ضفيرتين صغيرتين رقيقتين، وارتدت تنورتها الفضفاضة التي اعتادت أن تلتقطها بسرعة من خزانة ملابسها مع حذاء مسطح الكعبين. ثم ارتدت طبقتين من الكنزات توجتها بوضع معطفها الواقي من المطر الذي يلف جسمها بأكمله. إنه معطف سميك يزودها بالدفء، لكنه قد يجعل أي عريس ذي ذوقٍ رفيع يودّ تخليصها منه بسرعة. لو أن الفصل كان صيفاً لما ترددت جورجي في القفز على دراجتها الهوائية للذهاب إلى أي مكان، لكنه فصل الشتاء. وبالرغم من توقف تساقط الثلوج، فإن حرارة الجو في الخارج شديدة الانخفاض وحال الطقس سيئة جداً.

تمنت جورجي لو أن باستطاعتها التسكع هنا وهناك لبعض الوقت بحيث تصل متأخرة ساعة ونصف من الوقت. لكنها فكرت باحتمال إصابتها بلذعة الصقيع، لذا قادت السيارة وهي تبذل أقصى جهدها بألا تفكر ببيير.

عندما وصلت إلى منزل ديدي وجدت أن هذه الأخيرة تشعر بالقلق، وقد وضعت يدها فعلياً على مقبض الباب بانتظار وصولها. قبّلتها ديدي على

خديها الباردين إلا أن ترحيبها رافقه عبوس يدل على القلق. سألتها: «أين كنت، عزيزتي؟ ساورنا القلق عليك! حاولنا أن نتصل هاتفياً، لكننا لم نلق أي رد! أتعلمين؟ كان بيير على وشك الذهاب للبحث عنك!»

شعرت جورجي بلسعة من الشعور بالذنب لمعرفتها أنها سمعت صوت رنين الهاتف لكنها ظلت مستلقية في حوض الاستحمام لفترة طويلة.

- أنا آسفة، ديدي. إنه العمل... مشاكل عيد الميلاد المعتادة... أنت تبدين جميلة! لا تقولي لي إنك حصلت على كنزة جديدة أخرى!

- في الواقع، حصلت على البعض منها! بيير في المطبخ. العشاء غير رسمي الليلة، فهو مؤلف من طبق وحيد.

تخلصت من معطفها ومن إحدى كنزاتها الصوفية، محتفظة فقط بكنزة صوفية ضيقة واحدة تتلائم مع تنورتها الطويلة. قالت ممازحة: «توقعت ذلك، لذا ارتديت ما يتلائم مع هذه المناسبة».

راحت معدتها تصدر أصواتاً مطالبة بالطعام فيما تمشّتا وهما تثرثران إلى داخل المطبخ. شعرت جورجي أن بشرتها تخزها كما لو أن جسدها دخل في حالة من الإنذار بالخطر. كان بيير يمزج الطعام في القدر الضخم الذي ملأ المطبخ برائحة شهية وهو يدير ظهره لهما. أما الطاولة المصنوعة من خشب الصنوبر، فقد أعدت لثلاثة أشخاص. أحست بوخزةٍ أخرى من الذنب لوصولها متأخرة. كان يجدر بها أن تصل إلى هنا منذ خمس وأربعين دقيقة.

- تبدو الرائحة شهية.

قالت جورجي ذلك وهي تسير مترددة نحو بيير، فقط لأن ذلك ما هو متوقع منها. استدار بيير نحوها، وهذه المرة بدت الابتسامة المرتسمة على وجه جورجي حقيقية فعلاً.

- يا إلهي، بيير! أنت ترتدي مئزراً للمطبخ.

تراجعت بضع خطوات إلى الوراء ونظرت إليه متهكمة، ثم تابعت: «عجباً! ليتني أحضرت آلة التصوير الفوتوغرافي معي!»

بدأت جورجي تضحك فهي من اشترت هذا المئزر لديدي منذ سنوات.

www.alkottob.com

– لا تقل لي إنك من طهى الطعام!

غمغمت جورجي محاولة ابتلاع ضحكتها لأن عيني بيير الزرقاوين لم تبدوا مشاركتين لها في هذا الاستمتاع. تذمر بيير قائلاً وهو متجهم الأسارير: «ذلك ليس أمراً نادر الحصول».

اقتربت منه وهي تبدو كالفتاة المراهقة بشعرها المربوط على شكل ظفيرتين، وبخديها اللذين ما يزالان زهريي اللون بسبب البرد في الخارج. رقّت ملامح وجهها بسبب الضحك ما شكل طعناً لكرامته التي ضعفت لحظة رفضت جورجي مغازلته لها... ورفضته!

ضحكت جورجي وهي ترمي رأسها إلى الوراء قائلة: «لكنه لم يحصل من قبل معك أنت!»

– هذا قول منصف.

غمغم بذلك، فيما استدار حول نفسه وبدأ يحرك محتويات القدر بنشاط. أجبر نفسه على الاسترخاء عندما أدرك أن ديدي منشغلة بسكب كوب من العصير لجورجي.

– أنا شخص قادر على اتباع التعليمات الموجودة في كتاب الطبخ.

صاحت جورجي مستهزئة: «أراهن أنك لا تمتلك كتاباً للطبخ حتى!»

أضافت ديدي عازفة على الوتر نفسه: «هذه فكرة ممتازة لهدية عيد الميلاد».

تلك الملاحظة جعلت جورجي تتوقف عن الكلام. عيد الميلاد! بالطبع، يُفترض بها أن تشتري هدية لبيير بمناسبة عيد الميلاد! ذلك متوقع بينهما. قال بيير بنعومة: «آه! قررنا أنا وجورجي ألّا نقدم لبعضنا هدايا بمناسبة الميلاد».

بالرغم من أن بيير سبقها إلى تلفيق الأعذار، أحست جورجي باندفاع صغير للألم غير مرحب به.

بدت ديدي حائرة فسألت: «ما الذي تقصده بحق السماء؟»

قالت جورجي مستخدمة سرعة بديهتها: «فكرنا... نحن فقط

فكرنا... أن من الأفضل أن نهب المال إلى أحد المآوي التي تهتم بالمشردين. هنالك عددٌ كبيرٌ جداً من الناس الذين لا يمتلكون شيئاً البتة، وعيد الميلاد هو فرصة رائعة لنا حتى... نلعب دورنا في ذلك بكل بساطة...».

ناولتها ديدي كوب العصير وابتسمت قائلة: «ذلك تصرف لطيف من قبلكما، عزيزتي... مع أن بيير يقوم بفعل الكثير لأجل المحرومين من حقوقهم الاجتماعية والمادية».

نظرت جورجي إليه وقالت: «أتفعل ذلك حقاً؟»

– أنا نفسي اكتشفت الأمر اليوم. أليس كذلك، بيير؟

ابتسمت ديدي بدفء لابنها الذي ظل يدير ظهره لهما فيما تابع تحريك الطعام الذي لم يعد بحاجة إلى التحريك. تابعت قائلة: «مررنا بكنيسة القديس ميخائيل لنشتري بعض بطاقات المعايدة الخيرية المخصصة لعيد الميلاد، فتعرّفت إحدى السيدات في القسم المخصص لبيع البطاقات على بيير. أليس كذلك بيير؟ يفاجئني أنه لم يطلعك على هذا الأمر بنفسه».

متفاجئة! ليست الكلمة التي قد تستخدمها جورجي في وصف ما تشعر به. تمكنت من القول متأتئة: «ل... عله تواضعه... الطبيعي. لم تخبرني أبداً أنك...».

– أعلم. هذا يصدمك. أليس كذلك؟

انحنى بيير نحوها مبتعداً عن مدى سمع والدته. لعل والدته بطيئة الحركة، لكن سمعها ما زال مرهفاً. همس قائلاً: «لست ذلك الوغد الذي تظنينه».

– أنشأ بيير صندوقاً في شركته لمساعدة المراهقين المنعزلين اجتماعياً على الانخراط في منافسة خلّاقة تظهر مواهبهم. تصميم بطاقات المعايدة المخصصة لعيد الميلاد ليست سوى أحد الأمور التي يسهم بها. تلك السيدة التي أخبرتك عنها أحضرت عدّة رزم منها إلى هنا كي تبيعها، فقد جاءت إلى هنا لتمضي فرصة الأعياد مع ابنتها...

أحست جورجي بانزعاج غير مبرر لأن تلك المعلومة الصغيرة عن بيير تمكنت من التأثير فيها إلى درجة قوضت كل دفاعاتها. ألصقت ابتسامة على

www.alkottob.com

وجهها . . . ما الذي يمكنها قوله؟

أخيراً وصل العشاء إلى الطاولة. إنه طعام لذيذ بقدر ما هي عليه رائحته الشهية بالفعل. لاحظت جورجي أن بيير لم يتلفظ بأي ملاحظات جانبية ودودة. في الواقع، شعرت بالانزعاج وبخيبة الأمل بسبب غياب الملاحظات المثيرة للغيظ التي عهدتها منه فهي أصبحت معتادة عليها. بالنسبة لديدي، بدا بيير تماماً مثلما هو عليه دائماً، لكن جورجي لاحظت الفرق. فهو لم يتعمد أن يلامسها أو يراقبها بعينيه الساحرتن. حيث كان ينظر إليها كما لو أنه يتشربها حتى وهو يرى انزعاجها الواضح بسبب هذا الاهتمام.

يبدو أن الرسالة وصلت مرة واحدة ونهائياً. فكرت جورجي أنه يجدر بها أن تكون شاكرة ممتنة لذلك. أليس هذا ما تريده؟ تكلم بيير بعد أن لقي طعامه الاطراء كما يجب، فقال: «لعلني سأعتاد على القيام بأداء المزيد من هذه الأعمال المطبخية».

ردّت جورجي بغموض: «سوف تتغير الأمور عندما تعودّ إلى بيئتك الطبيعية».

هذه المرة رمقها بيير بنظرة مقتضبة جداً، وقال: «لعلك على حق».

فيما نهض فأخذ الأطباق إلى المجلى، ثم تابع كلامه: «ليس بإمكان الفهد أن يغير جلده أو يزيل البقع السوداء عنه. أليس كذلك جورجينا؟ لعلنا نظن أنفسنا أحراراً لنفعل ما نريده، لكن الحقيقة هي أننا عالقون في أساليبنا الخاصة، غير راغبين ولا قادرين على التحرر منها».

ضحكت ديدي وقالت: «ذلك قولٌ عميقٌ جداً، بيير».

احمر وجه جورجي، فأشاحت ببصرها إلى البعيد قائلة بصوتٍ مرتفع: «ذلك صحيح. أعني هل تظن فعلاً أنك قد تطهو وجبة طعام بنفسك حين تعود إلى لندن في نهاية الأسبوع؟»

- ذلك يعتمد على المرأة.

افترضت ديدي خاطئة أنه يشير إلى جورجي، لكن جورجي علمت أن

هذا هو أسلوب بيير في القول بأن الدنيا مليئة بالنساء.

- عزيزتي . . . !

قاطعت ديدي كلامهما، فتساءلت جورجي إن كان رادارها قد التقط أي إشارات غريبة. تابعت: «. . . كنت تقولين شيئاً ما بخصوص العمل».

- آه، نعم! بالطبع . . . ! العمل . . . تعلمين كيف تجري الأمور، فعيد الميلاد على وشك الحلول. وكالعادة نصف الأشياء الضرورية للحفل إما ضاعت خلال احتفالات سابقة أو هاجمها العث.

- أية أشياء؟

تلكأ بيير ماشياً الهوينى باتجاه طاولة المطبخ، ثم جلس.

- لا شيء مثير للاهتمام، أنت سوف تعتبرها أموراً مملة جداً.

- آه! نعم، لقد نسيت. أنا رجل قادم من المدينة يخدع نفسه بأنه قد يستمتع بحياة الريف.

غمغم بيير بذلك وهو يطوي ذراعيه خلف رأسه ويحدق بجورجي بعينين شبه مغمضتين، ثم تابع يقول: «أنت لا تعرفين حقاً إن كنت سأتعلم الاستمتاع بالحياة البسيطة أكثر من معرفتك إن كنت قادرة على الاستمتاع بحياة المدينة. أنا في الواقع مؤهل أكثر منك في هذا الموضوع، لأنني اختبرت كلا الأمرين، أما أنت فلم تفعلي».

نظرت جورجي نحو ديدي بحثاً عن الدعم، لكنها شعرت بالخيبة حين قالت ديدي ببطء: «بيير لديه وجهة نظر، فأنت لم تختبري أبداً حياة المدينة فعلاً. أليس كذلك جورجي؟ أعني أنك تربيت هنا. صحيح أنك ذهبت إلى الجامعة، لكنها أيضاً جامعة في الريف. . . همم. . . ».

قالت جورجي بصوتٍ تمكنت من التحكم به، فيما أشاحت بنظرها عن بيير: «لطالما استمتعت بالعيش في الريف. بعض الأشخاص يفعلون هذا».

علقت ديدي قائلة: «لكن أليس جميلاً بالنسبة إليك أن تختبري الحياة السريعة: المتاجر، المطاعم، المسارح. . . كل الحماس والحيوية. . . ؟»

رمقت جورجي بيير بنظرة اتهامية. حتى ديدي أصبحت الآن تقف إلى

www.rewity.com
ARAYAHEEN
www.alkottob.com

جانبه. قالت متظاهرة بالرصانة: «العلك على حق. لكن بما أننا نتحدث عن التجارب، لدي تجربة قد تكون أفضل بالنسبة إليك، بيير».

- أحقاً؟

ألقت نظرة باتجاه بيير، فاعتبرها هذا الأخير جذابة جداً، أم أن ذهنه يخدعه؟ قالت جورجي بخفة وسرور: «إنه سانتا كلوز».

- سانتا كلوز! ليست لدي أي فكرة عما تتكلمين.

- ألم أقل لكما إن النهار كان محموماً في المدرسة اليوم؟ حسناً! المشكلة التي سببت لنا الصداع هي أن السيد بلاكمان الذي يؤدي في العادة دور سانتا كلوز هو في المستشفى. انزلق المسكين في الطريق فالتوى كاحله.

بدأت الفكرة تصل إلى بيير فسارع يقول: «آه... لا! لا مجال».

قالت جورجي مبتسمة بأناقة: «ماذا عن كل هذا الكلام عن التحديات؟ ها أنا أتحداك لتفعل شيئاً صغيراً جداً لا يتطلب سوى بضع ساعاتٍ من نهارك. بالطبع يمكنك توفير هذا الوقت».

علقت ديدي فيما بدا أنها تود كثيراً أن ترى ذلك: «لا يمكنني أن أتصورك ترتدي زي سانتا كلوز. ظل والدك يرتدي زي سانتا كلوز حتى بلغت السابعة من عمرك، بعدئذٍ لم تعد تؤمن بوجوده. آه، كم أحببت ذلك!»

- أنا لا أتذكر ذلك.

شتّ ذهن بيير قليلاً بعد أن جرجرته إحدى الذكريات القادمة من مؤخرة ذهنه. ثم عاد إلى الحاضر ليقول: «على أي حال... ذلك مستحيل».

- لِمَ لا؟ ستكون تلك مساعدة كبيرة لنا، بيير.

- لِمَ لا تختارين أحد الآباء؟ لا بد أن هناك أباً أو اثنين مستعدان لملء هذا الفراغ؟ أنت بحاجة إلى شخص يتمتع بمصداقية أكثر مني.

- لا. لا يمكنني أن أفكر بأي شخص.

بل يمكنها أن تفكر باثني عشر شخصاً على الأقل.

- حجمي ليس ملائماً وليس هنالك متسع من الوقت لتسميني.

- آه، لا تقلق بخصوص ذلك! سوف يدهشك ما تفعله بعض البطانة! وسادة هنا... وسادة هناك...

تثاءبت ديدي وقالت: «سوف أدعكما أنتما الاثنين لتتناقشا بخصوص ذلك. حسناً! سأتوجه إلى الطابق العلوي وسأشاهد التلفزيون لفترة قصيرة! أظن أن ذلك المسلسل الدرامي سيعرض بعد نصف ساعة. لكن، بيير...».

نظرت إلى ابنها بحزم وقالت: «... أظن أنه يجدر بك أن تقبل تحدي جورجي. فقط فكر بكل تلك الوجوه الصغيرة المبتسمة».

حالما اختفت ديدي من المطبخ، نظر بيير إلى جورجي عابساً وقال: «عليكِ أن تشكري والدتي على هذا».

- إذاً، هل أنت موافق؟

- بتردد.

- لن يتطلب الأمرُ سوى بعض الأغاني وبعض ترانيم عيد الميلاد، ثم تسلّم الهدايا للأطفال.

- وما الذي ستقدمينه لي بالمقابل؟

أحسّت جورجي أن قلبها فقد إحدى نبضاته، لكنها وجهت له نظرة استفسار وقالت: «ماذا تعني؟»

- ما رأيك بأن تجربي حياة المدينة؟ حتى ديدي توافقني على ذلك.

- آه! يجدر بي أن أتوجه إلى المنزل الآن، بيير.

نهضت جورجي فتبعها بيير إلى الخارج نحو الرواق. راقبها وهي ترتدي طبقات الملابس الملونة، ثم انتهت بالمعطف الثقيل الواقي من المطر. لطالما بدت جورجي نموذجاً للقرويين الخشنين فهي ترفض الاستسلام إلى الموضة الرائجة. لكن يبدو أنه لا يمانع الآن إذ بدا له مظهرها فريداً من نوعه ومميزاً وأنثوياً... أنثوياً جداً. قال لها فجأة من دون مقدمات، وهو يبعد نظره عنها: «سوف أوصلك إلى المنزل».

انطلقت جورجي بالاعتراض، فهي قادرة على القيادة بنفسها لتعود

www.alkottob.com

وحدها إلى منزلها. لطالما اعتادت أن تقود سيارتها بسرورٍ تام خلال فصل الشتاء المثلج قبل وصوله إلى هنا، كما أن هاتفها النقال بحوزتها، وهي سوف تتصل به لينقذها إذا ما قررت سيارتها أن تتعطل في وسط الطريق.

هز بيير كتفيه قائلاً: «افعلي ما يناسبك. سوف أذهب إلى لندن لتمضية نهار الغد، لكنني سوف أعود صباح يوم الأربعاء. في أي وقت تريدينني أن أحضر؟»

- أنا... سأحضر الزي التنكري إلى المدرسة يوم غد... ذلك ما أفعله عادةً، أما كيس الهدايا فهو موضوع بأمان في غرفة الموظفين. يمكنك أن تبدل ملابسك هناك. هل هذا مناسب؟

استدارت نحوه واضعة إحدى يديها على مقبض الباب، ثم قالت له: «ما قالته ديدي عن... أعمالك الخيرية... لم تكن لدي أدنى فكرة عن الأمر. أريدك أن تعلم أنني أظنه تصرفاً رائعاً من قبلك».

تلاقت عيونهما مباشرة، فقاوم بيير إلحاحاً يدفعه إلى الفخر بنفسه ذهنياً.

- لا تحكمي أبداً على كتابٍ ما من غلافه. سوف أراك بعد غدٍ.

مدّ يده فجذب الباب وفتحه. ذكّرتها لفحة الهواء الباردة بأنه يريدها أن ترحل. ما من داعٍ لمحاولة التودد إليها بالكثير من الكلام المنمق الفارغ، لاسيما أنها أعلمته بموقفها في ما يتعلق بالتورط في علاقة عاطفية حقيقية معه.

ظلت جورجي غير واثقة تماماً من أن بيير سوف يعود إلى ديفون، بالرغم من أنها أصبحت تدرك أن بالإمكان الاعتماد عليه. لا شك أنه سيعود من أجل ديدي ويحاول أن يقنعها بموافاته إلى لندن لبضعة أيام. علّ ديدي ستتوجه إلى لندن فيما تبقى جورجي مستكينة مختبئة في ديفون بعيدة عن بيير، منهمكة بعملها ونوباتها السخيفة المتعلقة بسانتا كلوز. لكن مجرد الاتصال هاتفياً بديدي صحح لها فكرتها حول هذا الموضوع. بيير سوف يعود حتماً إلى البلدة، ويفترض بها أن تستخرج أفضل ملابسها وأكثرها أناقة لأنه سوف يخرج برفقتها لتمضية الأمسية.

- ... ولا تخافي أبداً عزيزتي، فلن ألعب دور نبتة العلّيق الملتصقة بكما هذه المرة!

فكرت جورجي أن تطلق هجومها الخاص بهدف إقناع ديدي بالانضمام إليهما للعشاء، فاقترحت أن تمر بها حاملة لها طبق الكيش للغداء، لكن سرعان ما أفشلت ديدي المرحة مخططها حين أعلمتها أنها سوف تمضي النهار برفقة بعض الأصدقاء الذين لم تقابلهم منذ مدة، منذ أن انزلقت إلى نوبة الاحباط تلك.

ما إن قارب الوقت بعد الظهر حتى أصبحت أعصاب جورجي على وشك الانفجار بسبب ضجيج الأولاد الذين دخلوا في نوبة اهتياج حماسية. حفل عيد الميلاد الذي تتخلله الأغاني يقام في كل سنة بحضور الأهل. استطاعت أن تسمعهم يتجمعون في قاعة الاجتماعات الصغيرة من خلف الستائر على المسرح، ثم سمعت صرير الكراسي وهم يجلسون في أماكنهم. سوف يكون حضور الأهالي مربكاً نوعاً ما، لكن أداء الأطفال لن يتجاوز النصف ساعة. بعدئذٍ سيغادرون المسرح، وسيقوم سانتا كلوز بالتكرم عليهم بالهدايا بسخاء... لكن أين هو؟ لم يصل حتى الآن.

أصغت جورجي إلى الحفل الغنائي من موقعها الجانبي، وهي يقظة متنبهة على الدوام إذ ربما احتاج أحد الأولاد إلى دخول الحمام فجأة أو فكر أحدهم بشكلٍ عابرٍ أن يتمشى في أرجاء المسرح باتجاه أهله الذين يحسنون استخدام كاميرات تصوير الفيديو. انخفض حماس جورجي تجاه تمضية الأمسية بمفردها مع بيير، مقارنةً بتوترها لأنه لم يأتِ لأداء دوره المرتجل.

ما كان يجدر بها أن تقلق. فقد تمت رعاية الأطفال خلف الكواليس، أما الأهالي فتم إرشادهم إلى مقاعدهم ومواكبتهم إلى خارج المسرح. وفيما راحت جورجي تعيد تنظيم القاعة بمساعدة المدرسين الآخرين، رفعت نظرها إلى الأعلى فرأته في مدخل الباب. تجمدت في مكانها للحظات مسندة يدها على ظهر أحد الكراسي. استجمعت شتات نفسها وعبرت المكان متجهة نحوه. تجمد كل من في الغرفة في أماكنهم، وتوجهت جميع الأنظار إلى

www.alkottob.com

بيير. فمن بين كل الذين لعبوا دور سانتا كلوز، بدا بيير رجلاً أنيقاً بشكلٍ غير منطقي.

- أيفاجئك أن تريني هنا؟

سألها بيير ذلك ببرود وقد قرأ تعابير وجهها، من ناحية أخرى بدت نبرة صوته البعيدة ملتوية إلى حدٍ ما بسبب الزي التنكري الأحمر والأبيض، وتلك اللحية الشديدة البياض التي كان يمسكها بإحدى يديه. بذلت جورجي مجهوداً كي لا تبتسم، لذا أخفضت بصرها للحظة، ثم نادت زملاءها حتى تعرفهم به.

لم تستطع جورجي حمل نفسها على النظر إليه. لابد أنه في مزاجٍ سيء وهو يلعنها في سره. إنها تكاد لا تصدق أن الرجل الذي اعتاد أن يدير دفة الأمور يرتدي الآن زياً تنكرياً أحمر اللون ذا مقاسٍ يزيد عن مقاسه بعدّة أرقام فيما يقبض على لحيةٍ بيضاء وهو ينتعل جزمتين سوداوين من الواضح أنهما تزعجانه فهما على الأرجح أصغر بعدّة مقاسات من قياس قدميه. ذلك كله يهدد بخطر انفجار موجة من الهستيريا العصبية.

- هذا مضحك وسخيف.

- أعلم، لكنني حقاً أقدر لك هذا المعروف، بيير. اسمع! لدي بضع وسائد في الخزانة.

أخرجت جورجي وسادتين محشوتين مزينتين بالأزهار. حدق بهما بيير بحيرة تامة وهو شاحب الوجه: «ما الذي يفترض بي أن أفعل بهاتين الوسادتين بحق الجحيم؟»

سألته جورجي ببراءة: «ألم ترتدِ زياً تنكرياً من قبل؟»

- أعطني إياهما.

فك بيير أزرار قميصه وهو متجهمٌ عابسٌ، فيما حاول حشرهما داخل القميص إلى أن أخذت جورجي الوسادة أخيراً وأسقطتها بمهارة وخبرة داخل الزي الفارغ. ثم ربتت على المعدة الناعمة المستديرة ووقفت متراجعة إلى الوراء لتتفحصه ناقدة.

- أنت تستمتعين بهذا. ألست كذلك؟

- جميع الناس يجدر بهم أن يفعلوا شيئاً مضحكاً ولو مرة واحدة في حياتهم. هل قمت يوماً بفعل شيءٍ سخيفٍ مضحك، بيير؟

فكر بيير أن كلمتي سخيف ومضحك لا تكفيان حتى لوصف ما شعر به، لأن هذه المرأة لم تفارق تفكيره لحظة واحدة عندما كان في لندن.

كان التلامذة الأصغر سناً ينتظرون في القاعة وهم يرتدون البذلات المدرسية. صفقت جورجي بيديها، وأعلنت من دون أن تنظر حولها أن سانتا كلوز سوف يدخل القاعة، لذا فهم مضطرون إلى السكوت الآن. وكأنما بسحر ساحرٍ ساد الصمت فجأة المكان. سار بيير خلفها وهو يدخل القاعة فدوّى صوته عالياً وهو يمثل دوره ببراعة. لعله تردد في البداية حيال تطوعه للقيام بهذا الدور، لكن لا بد لجورجي أن تقرّ له بمهارته في الأداء. إنه يبدو سانتا كلوز ممتازاً. كان السيد بلاكمان العجوز يتبع روتيناً تقليدياً، حيث ينادي التلاميذ إليه كل بدوره ليثرثر معه قليلاً قبل أن يسلمه الهدية الخاصة به. أما بيير فصرخ منادياً الجميع حتى يأتوا إليه ويجلسوا حوله. إنه ارتجال فوري، لكنه مع ذلك سيطر على الثلاثين طفلاً الغريبي الأطوار، وجعلهم هادئين كأنهم منومين تنويماً مغنطيسياً بسبب قناع السلطة المستور الذي بدا كأنه يجعل الناس راغبين بطاعته. بدا بيير مضحكاً مرحاً وثرثاراً، ثم ألقى خطاباً صغيراً مؤثراً حول تذكر المعاني الحقيقية لعيد الميلاد، فاستحق على ذلك جولة تصفيق نالها عن جدارة. بعد ذلك، خرج التلامذة بأمان من المبنى، فأحيط بيير بالمدرسين والمدرسات. أما جورجي فشعرت بالمقت عندما لاحظت المدرسات اللواتي حاولن كبت ضحكاتهن حين خلع بيير لحيته ثم خلع البذلة التنكرية. كان بيير يرتدي تحت الزي سروالاً من الجينز الباهت اللون مع قميص قطنيةٍ بيضاء قصيرة الكمين، جعلته يبدو أكثر جاذبية وأكثر وسامة. انتحت جورجي جانباً ملاحظة التأثير الذي يتركه بيير على النساء. يالالأسى! هل تتصرف هي على هذا النحو؟ حتى السيدة إيفانس التي لا يقل عمرها عن الستين والتي أصبحت جدّة، لم تختلف ردة فعلها عن

www.alkottob.com

الأخريات! قالت جورجي بجفاء: «سوف أرحل الآن من هنا. جانيس، هلّا حرصت على إقفال المدرسة قبل ذهابك؟»

خرج صوتٌ لامرأة تقول لها إن كل شيء سيكون على ما يرام، وإنها ستراها في الصباح. أقسمت جورجي أيضاً أنها سمعت شخصاً ما يهمس شيئاً ما بخصوص الرجل الجذاب. هاه!

ها هي الآن على موعد عشاء مع الرجل الذي لم يعد لديه أي شيء ليقوله لها. على الأرجح أنه سيتثاءب طيلة الأمسية قبل أن يجد لنفسه مخرجاً ويتمكن من المغادرة بشكلٍ لائق.

سوف يمر بها بيير عند الساعة السابعة. علمت جورجي ذلك لأنها كلمت ديدي هاتفياً فاكتشفت أنه لم يعد بعد. كادت الساعة تقارب السادسة مساءً. أين هو؟ أحست بلذعات من الغيرة تمزق أعماقها، انتهى حديثهما بعد أن أخبرتها ديدي أن موعدهما الغرامي هو على الأرجح عند الساعة السابعة. كما أن ديدي لم تقصد أن تفسد المفاجأة، لكنهما سوف يقصدان مطعم السمك الأنيق ذاك الذي افتُتحَ مؤخراً في المدينة. قالت جورجي ممازحة: «أيعني هذا بأن ملابسي لن تكون على المستوى المطلوب؟»

بدت ديدي مرتبكة لكنها قالت: «لا تكوني سخيفة فتاتي الحبيبة! أنت تبدين جميلة على الدوام».

- علمت أن هذا ما سوف تقولينه، ديدي. حسناً! هل أنتِ واثقة من أن بيير سيأتي عند الساعة السابعة؟ كل ما في الأمر أن الساعة أصبحت السادسة الآن، وبما أنه لم يعد بعد...

- آه! بالطبع سوف يعود في الوقت المناسب! أنت تعرفين طبائع الرجال! حتى لو كانوا مهتمين جداً بصديقاتهم فهم بحاجة إلى وقتٍ يمضونه بمفردهم من حينٍ إلى آخر.

قفزت إلى ذهنها وجوه العديد من المدرسات الجميلات اللواتي ربما قابلهن بيير. بالطبع! بيير رجلٌ حر غير مرتبط ويمكنه أن يفعل ما يرغب به. سمحت جورجي بمرارة لغيرتها أن تعبر عن رأيها فسمّتها خيبة أمل. بعدئذٍ

شنت هجوماً على خزانة ملابسها المحدودة. سوف ترتدي ما يحلو لها... حسناً! ستهتم قليلاً بمظهرها من أجل الزبائن الأنيقين الذين يتعشون في ذلك المطعم.

ارتدت تنورة صوفية قصيرة جداً باللونين الأبيض والأسود، وهي تركة بقيت لديها من زمن ارتيادها للجامعة، ثم لبست كنزة صوفية سوداء ضيقة. فكرت أن عنقها سوف يتجمد برداً. انتعلت في قدميها جزمة سوداء عالية الكعبين، بالرغم من أنها أحست بالرغبة المريرة في انتعال حذائها المسطح العادي. أخيراً أخرجت أداة كي الشعر، وبعد نصف ساعة من الوقت روّضت شعرها الأجعد المتطاير -آفة حياتها- فأخضعته وحوّلته إلى صفحة ذهبية مستقيمة لامعة تنسدل نزولاً على ظهرها. ليس سيئاً! فكرت جورجي أنه في الواقع رائع فيما قامت بالدوران قليلاً حول نفسها أمام المرآة. لا يحصل ذلك دوماً، بحيث أن كل ميزات مظهرها الثلاث تتلاءم سوياً؛ عادةً ما يخذل حذاؤها المسطح الكعبين ملابسها الجميلة، أو أن شعرها الأجعد الأشعث يخذل حذاءها... القائمة لا متناهية، لكن الليلة...

تأملت انعكاس صورتها في المرآة إلى حين قرع جرس الباب عند الساعة السابعة. أخذت وقتها وهي تتأرجح على كعبيها العاليين حتى وصلت إلى الباب ففتحته. قالت: «آه! مرحباً».

ارتدى بيير ربطة عنق على شكل الفراشة لكنها بدت محلولة، أما معطفه الأسود فتدلى بلا مبالاة فوق كتفيه. فكرت جورجي بمرارة أنه يبدو كمن خرج من المنزل على عجل.

- سوف أحضر معطفي فقط.

انحنى بيير مستنداً إلى الباب وراح يراقبها. كان يجدر به أن يغادر المدرسة ويتوجه عائداً إلى المنزل مباشرة، لكنه عوضاً عن ذلك، انحرف ذاهباً في الاتجاه المعاكس كما يفعل الرجل الفاشل. جلس بمفرده في المقهى ليحتسي الشراب، لكن ذلك لم ينفع في تحسين حالته الذهنية.

عادت جورجي وقد لبست معطفها، ثم نظرت حولها كما يفعل الناس

www.alkottob.com

حين يتفقدون منزلهم للمرة الأخيرة قبل مغادرتهم له. أحسّ بيير لبضع لحظات بأن ذهنه شتّ إلى أميالٍ وأميال بعيدة. لكنه بالطبع لم يكن يفكر بالعمل، بل يفكر ب. . . فرك عينيه وخطا إلى الخارج. هو لم يعد واثقاً تماماً مما يفكر به. هو يعلم فقط أنه يجدر به أن يعيد حياته إلى مسارها المعهود في أسرع وقت ممكن.

www.rewity.com
ARAYAHEENA

٨ - لا تغادر!

- أشكرك على ما فعلته بعد ظهر اليوم.

قالت جورجي ذلك لتكسر جدار الصمت. لاحظت أن كل مظاهر المجاملات قد اختفت بينهما. لم يقل بيير أي ملاحظة تتعلق بمظهرها تلك الملاحظات اللاذعة التي اعتاد أن يطلقها بدت أفضل من صمته المتحجر. عزت جورجي ذلك الصمت إلى خيبة أمله بسبب اضطراره إلى الابتعاد عن زميلاتها المعلمات والعودة لاصطحابها، متخلياً عن ذاك المكان الذي قصده بعد مغادرتها.

- وعدتك أنني سأفعل، فهل ظننتِ أنني سأخذلك.

- لا! بالطبع لا!

المزيد من الصمت المستغرب. أضافت بعد أن سعلت لتتقي حلقها: «نجحت في دور سانتا كلوز. بدوت مقنعاً جداً، وقد أحبك الأولاد. بدت فكرة جيدة حقاً أن تطلب منهم الجلوس حولك».

- جيد.

- أخبرتني ديدي أننا سنذهب إلى مطعم السمك الجديد.

- نعم.

قالت: «تريحني معرفة ذلك لأنني لا أود أن ينتهي بي الأمر في مكان فيه أشخاص متأنقين بشكل مبالغ فيه».

نظر بيير باقتضاب نحوها؛ إنها تبدو مدهشة! لم يتصور أنه قد يستخدم يوماً هذا التعبير ليصفها، لكن جورجي بدت مدهشة حقاً. قال لها باختصار: «لن تكوني كذلك».

www.alkottob.com

أعاد انتباهه نحو الطريق، فازداد انزعاج جورجي من مزاجه السيء، فانفجرت قائلة: «أنا آسفة لأنك اضطررت إلى الخروج معي في موعد العشاء، لكن كان بإمكانك أن تبتدع عذراً لديدي، وكنت لأسر كثيراً بإلغاء المشروع».

- أنا واثق من ذلك، لكن ديدي ستشعر بالخيبة وأنا لا أريد لذلك أن يحصل. أما إذا كنت تفضلين الانسحاب فتلك مسألة أخرى.

- في تلك الحالة، أقل ما يمكنك أن تفعله هو أن تكون لبقاً معي.

- أنا آسف. أليس هذا ما أفعله؟

انعطف بيير بسيارته نحو مدخل المطعم ثم أطفأ المحرك، وقبل أن يخرج من السيارة استدار بحيث أصبح مواجهاً لجورجي وهو يلقي إحدى ذراعيه بارتخاء على المقود. بدت ملامح وجهه في الظلام قاسية، فاضطرت إلى تذكير نفسها بأنه مجرد إنسانٍ عادي مهما بدا مخيفاً. تلك الفكرة المواسية أعطتها القوة حتى لا تتراجع خوفاً في المقعد المجاور للسائق. قال: «لعلني جرحت إحساسك لأنني لم أجاملك على مظهرك الأنيق. هل يتحسن مزاجك إن قلت لك إن جمالك متألق جداً؟»

أحس بيير كما لو أنه عاد إلى سن المراهقة بل أسوأ، إنه كالمراهق الذي لم يحصل على مراده من الفتاة التي يلاحقها. مرّر أنامله من خلال شعره وأشاح بنظره بعيداً وهو يشعر بالغضب من نفسه لفقدانه القدرة على السيطرة على نفسه.

- أنت في مزاج سيء.

قالت له جورجي ذلك وهي تحمر خجلاً. بعدئذٍ استدارت لتفتح الباب، ولم يعترض بيير على ذلك. ما هي إلا ثوانٍ حتى تحرك من مكانه ولحق بها.

- لا يهمني رأيك بي!

أعلمته بذلك فيما دفع باب المطعم ليفتحه أمامها مفسحاً المجال للمرور. تركت جورجي في أثرها تلك الرائحة النظيفة التي تعبق بعبير الأزهار. لقد

سحرته هذه المرأة بأزيائها المضحكة وبشخصيتها المشاكسة، وبعطرها البسيط الذي ملأ منخريه وجعله مأخوذاً بها يرغب بالمزيد. لم يعد يعلم ما الذي يهمه أكثر في هذا السيناريو غير المرحب به: أهو ضعفه أمامها أم شخصها لأنها جورجي بما هي عليه! لو أنهما يعيشان قصة حب حقيقية لما ظهرت الآن أي مشكلة. إنه رجلٌ ضار مفترس يستمتع بالمطاردة تماماً كما يفعل الأسد. لكن الوضع في ما يتعلق بجورجي مختلف. فقد نجحت في تحقيق الشيء الوحيد الذي لم تنجح بفعله أي امرأة من قبل؛ سلبت منه قدرته على التفكير بوضوح، وجعلته ضحية لحاجاته ورغباته.

فيما تم إرشادهما إلى طاولتهما، تمهلت عينا بيير بالنظر إلى جورجي. لأول مرة لم يكن جسمها الرشيق مخفياً تحت طبقات الملابس الفضفاضة الشبيهة بملابس الهيبيين. تدلى شعر جورجي نزولاً على ظهرها، فرغب بيير بأن يمد يده ليمسكه ويجذبها إلى الوراء نحوه ليعانقها. سألها حالما جلسا إلى طاولتهما: «هلّا حاولنا مجدداً؟ نحن هنا الآن، ومن الأفضل أن نتصرف كالراشدين وأن نستمتع بسهرتنا».

نظرت إليه جورجي بحذر وقالت: «أنت من يبدو راغباً بقوة في افتعال شجار معي».

في تلك اللحظة اضطر بيير إلى مواجهة القرار الذي لا مجال لإعادة النظر فيه: سوف يتخلى عن غروره الذي يعتز به ويفتخر، وسوف يلاحق هذه المرأة بالرغم من صدّها له. إما أن يتخذ هذا الخيار أو أن الاحباط سيقوده إلى الجنون.

أخفض بصره نزولاً لينظر مباشرة إلى جورجي، ثم قال موافقاً: «لعلك محقة».

شعر بالامتنان حين رأى عينيها تتسعان، فتابع: «أنا أتحلى بالشجاعة الكافية لأقر بأنك أثّرت عليّ كثيراً».

هز كتفيه ثم أردف: «لا يمكنني التوقف عن التفكير بك».

رمى بيير هذه الحقيقة التي لا تحمل النقاش في وجهها لتسقط كالحجر في

www.alkottob.com

بركة ماء، ثم انتظر تموجات الماء لتتشتر.

- في الواقع، أوشكتِ على فقدان تركيزي خلال لقاء العمل يوم أمس بسبب التفكير بك.

- أنا... أنا لا أصدقك...

- لِمَ أكذب عليكِ؟ أنت تطاردين أفكاري. يمكنني التعرف إلى رائحتك من بين مئة امرأة.

تلعثمت جورجي وهي تقول: «لا... لا تكن سخيفاً».

أحست فجأة أنها صغيرة وضعيفة في ملابسها الجريئة تلك التي لا تستطيع أن تختبيء خلفها بشكلٍ ملائم.

- أنا فعلاً لاحظت ثيابك الجميلة هذه الليلة...

زعقت جورجي: «أحقاً؟»

- كيف عساي ألا ألاحظها؟ أراهن على أن تنورتك تلك هي الوحيدة القصيرة التي تمتلكينها.

- إنها... أنا...

قذف بها بيير إلى حالة من الارتباك، لكن ذلك بدا صحيحاً وعادلاً باعتبار أن جورجي أيضاً حشرته في هذا الوضع المحرج نفسه.

- أنت لا تبالين إن كانت غالبية الفتيات في مثل سنك يمتلكن خزائن ملابس مليئة بالتنانير القصيرة، ومع ذلك، أنت ببساطة تستطيعين الظهور بمظهر أنيق جداً مهما كانت الملابس التي ترتدينها. كيف تدبرت أن تجعلي شعرك يبدو كما هو الآن.

أجابته جورجي مرتبكة: «أداة كي الشعر».

- مع ذلك، أنا أفضله مجعداً. إن الشعر الأجعد يتلائم مع شخصيتك. حسناً! يكفي كلاماً في هذا الموضوع. لا أفترض أنك ترغبين بمعرفة مشاعري تجاهك، فلا شيء أسوأ من شخصٍ يستمر بالمطاردة بعد أن تنتهي اللعبة.

وحدق بجورجي تاركاً المجال لكلماته بأن تدخل إلى صميمها. لعله ليس

من ذلك الصنف من الرجال الذي يهتم كثيراً بعرض مشاعره علناً، لكنه الآن في مواجهة شخص معتاد على أسلوب التصرف الأنثوي، لذا قام باستغلال ذاك الاحساس الذي هو الأخطر بين المشاعر جميعاً لصالحه، ألا وهو الفضول. إن جورجي فضولية، بالرغم من أنه قادر على رؤية مشاعرها المتحاربة مدونة بوضوح على جبينها. لقد فاجأها على حين غرّة، ففتح باباً غير متوقعاً أمامها ثم دعاها لاختلاس النظر إلى الداخل. فتحت جورجي فمها لتقول شيئاً ما، لكن بيير سارع إلى تبديل الموضوع بمهارة، فبدأ الثرثرة بكلام عن رحلته بالسيارة من لندن إلى هنا. فكرت جورجي من يأبه لأمر رحلته من لندن إلى هنا؟ ربما يكون ذلك خاطئاً، لكنها رغبت فعلاً بسماع المزيد عن مشاعره تجاهها. أدركت في سرها أن الأمر لا يعدو كونه نزوة لكن الأمر بدا مختلفاً الآن وهو ينظر إليها بعينيه المدهشتين من دون أن يطلب منها أي شيء، بل يخبرها بما يفكر فيه فقط.

- أخبريني عن الأشخاص الذين تعملين معهم. يبدون مجموعة لطيفة.

- الفتيات لطيفات جداً.

وافقته جورجي وهي تفكر بكلودين وجانيس وليز، اللواتي رأتهن لآخر مرة وهنّ يرفرفن أهدابهنّ ويغازلنه كما لو أن رؤية رجل شديد الجاذبية مثله حدثٌ نادر الحصول، وعليهن الاستمتاع به قبل أن يختفي.

عبس بيير قائلاً: «لماذا ينتابني شعورٌ بأنك لست صادقة تماماً. هل هنالك مشكلة من نوعٍ ما، جورجي؟ يمكن أن تتأزم الأمور قليلاً في الأماكن الضيقة، خصوصاً عندما تكون غالبية فريق العمل من النساء، وهن في أعمار متقاربة».

ليس من طبع جورجي أن تكون متحفظة في ردها، لذا أحسّ بيير بإلحاح مفاجيء وقوي كي يحميها بالرغم من معرفته جيداً أنها قد تكون شرسة ككلب البلدوغ عندما يلائمها ذلك.

- هل تتعرضين لأي نوع من الاستغلال هناك؟

- ما الذي تتحدث عنه بحق السماء، بيير؟

www.alkottob.com

سألته جورجي وقد دُهِشَت لمجرى أفكاره التي جاءت فجأة من لا مكان.

- أنا أتحدث عما يدور في مدرستك تلك. من الواضح أنك لست سعيدة هناك.

- انا سعيدة جداً هناك.

- لماذا تبدلت إذاً نبرة كلامك حين ذكرت لك الفتيات اللواتي تعملين معهنّ؟

التغيّر الذي بدا على ملامح جورجي صرّح بكل ما تفكر به، فوجّه لها بيير ابتسامة عالمة وقال: «آه! فهمت».

- فهمت... ماذا؟

- ما من داعٍ للغيرة.

- الغيرة؟ أنا؟

- الغيرة... أنت. والآن، ماذا تريدين أن تطلبي من طعام؟

لم تكن جورجي قد لاحظت وصول النادلة إلى طاولتهما. شعرت بالارتباك بسبب أسلوب بيير في استدراجها ليتركها بعدئذٍ متشوقة فيبدل الموضوع من دون أن يشفي غليلها. كيف تراه علم أنها شعرت بالغيرة، فهي بالكاد أقرت بهذا الاحساس لنفسها؟ طلبت السمك الطازج وتساءلت إن كان سيبدأ الآن بالتحدث عن شيء ممل غير مؤذٍ. لربما يتحدث عن الطقس أو عن العمل، وهما بالكاد انتهيا من الموضوع المضجر المتعلق بزحمة السير على الطريق. أطبق بيير قائمة الطعام ثم قال: «خيارٌ جيّد! والآن... أين توقف حديثنا؟ آه! نعم. هل ستخبرينني لما تشعرين بالغيرة من زميلاتك؟ أنا فقط تسامرت معهنّ، ومع ذلك...».

تظاهر بأنه يفكر في احتمالٍ مثيرٍ للاهتمام يجول في رأسه.

- ومع ذلك... ماذا؟

- أنت تزمين شفتيك تجهماً.

- أنا لا أزم شفتي تجهماً. أنا لا أفعل، بيير. يجدر بي أن أتناول بعض

الطعام.

أشار إلى النادلة لتحضر لهما بعض الخبز، ولاءم ذلك جورجي التي أخذت تأكل منه بنهم. ذكّرته قائلة: «كنت تقول... في الواقع، أنت لم تقل الكثير بقدر ما بدا عليك التفكير بإحدى زميلاتي في العمل».

أطلقت ضحكة صغيرة وحاولت أن تبدو لا مبالية، لكنها فشلت وتابعت: «إنه تصرف نموذجي من قبلك؛ تقول لي إنني أبدو جذابة، ثم تعود لتفسد ذلك بالاطراء على جانيس».

- ما الذي جعلك تعتقدين أنني أتحدث عن جانيس؟

- شعرٌ بني طويل... عينان زرقاوان كبيرتان... فتحة قبتها مكشوفة حتى في فصل الشتاء...

فجأة أدركت أن ما قالته يبدو فظاً فأردفت: «يا إلهي! ذلك مريع. أنا أسحب ما قلته».

- أنا أفضل العينين الخضراوين على أي حال...

أحست جورجي بالتهور الخطير يتسلل نحوها متخطياً دفاعاتها ويشتتها إلى قطع صغيرة. تلك الملاحظة المتكاسلة المدغدغة لحواسها وأسلوبه في النظر إليها جعلاها تشعر بالحماوة والانزعاج والحرارة. أشاحت بنظرها بعيداً عنه، وركزت على تناول طعامها، لكن يديها راحتا ترتجفان. سمعت نفسها تقول ملاحظة بلهاء بخصوص الطعام اللذيذ فيما الحقيقة هي أنها بالكاد كانت مدركة لما تأكله. لم تعد جورجي واثقة إن كان يجدر بها أن تشعر بالارتياح أم بخيبة الأمل عندما لجأ بيير إلى استراتيجية الاختباء خلف الدردشة المهذبة بعد الملاحظة التي قذفها نحوها، فراح يخبرها عن بعض الأطعمة الغريبة التي أكلها أثناء رحلاته العديدة إلى بلدان مختلفة.

فجأة قالت وهي تدفع بصحنها جانباً وتأخذ بضعة أنفاسٍ عميقة: «أنا أشعر ببعض الغثيان».

أغمضت عينيها لبضع لحظات ثم فتحتهما لتجد أن بيير يحدق إليها بقلق.

www.alkottob.com

- ما سبب ذلك؟

- ربما هو تأثير البرد أو ربما أكثرت من شرب العصير على معدة خاوية، فأنا لم أتناول الغداء اليوم.

قال لها بصوتٍ ناعم رقيق كما لو أنه يؤدب ولداً عنيداً: «لِمَ لم تخبريني أنك لم تتناولي أي طعام مُنذ ساعات طويلة؟ كنت أريد أن نبقىَ هنا لفترة أطول فلا يقتصر الأمر على تناول العشاء، لأنك...».

تمهل بيير وانتظرها أن تسأله التوسع في تصريحه، لكنه ما لبث أن تابع: «... لأنك لم ترغبي أساساً في المجيء إلى هنا هذه الليلة».

فكرت جورجي بارتباك أنها ربما لم ترغب بالمجيء، لكنها حتماً استمتعت بهذه السهرة. استمتعت بالأمسية كما يستمتع أي شخص بالدوامة البهلوانية، إذ يساورها الشعور بالخوف والهلع والارتعاش والحماس معاً، وكلها أمور غير متوقعة.

- سوف أسدد الفاتورة، ثم نغادر.

استندت جورجي إلى ذراع بيير وهما يغادران المطعم، لكنّ ما إن أصبحا في الخارج حتى شعرت بالانتعاش بسبب الهواء البارد، حيث بدأ الشعور بالدوار يتراجع على الأقل.

- أشكرك على هذه الأمسية.

استدارت نحوه حالما أوقف السيارة خارج منزلها الذي بدا بارداً، مظلماً وغير مرحب. ألا يجدر بها أن تدع الأضواء في غرفة الجلوس السفلية منارة؟

فتح بيير باب سيارته وخطا إلى الخارج من دون أن يعطيها المجال للمجادلة. قال متذمراً: «ليس بهذه السرعة. لن أتركك وأنت بهذه الحالة».

فيما تحسست جورجي طريقها للخروج من المقعد المجاور للسائق، قام بيير برفعها عن الأرض، فحملها وسار متجهاً نحو الباب الأمامي. سقطت إحدى فردتي حذائها غير العملي المتدلي من قدميها، فتجاهله وتابع التقدم.

اعترضت جورجي بوهن: «أنزلني!»

- بالطبع. حالما نصبح في الداخل. أعطيني مفتاحك!

أخرجت المفتاح من حقيبة يدها. إنه ليس مفتاحاً واحداً فقط، بل مجموعة كاملة من المفاتيح المعلقة سوياً على علّاقة مفاتيح. فكر بيير أن العلّاقة تقرقع بصوتٍ مرتفع بما يكفي لإيقاظ جميع سكان الحي. ركل الباب ليفتحه ثم وكزه حتى أغلقه خلفه، أخذ يتحسّس طريقه لإيجاد مفتاح الكهرباء، لكنه لم يكن مستعداً بعد لإنزال جورجي على الأرض. قال عندما أنزلها أخيراً برفقٍ على الأريكة في غرفة الجلوس: «سوف أحضر لك الشاي الساخن الثقيل».

- مقرف!

حذرها وهو يغادر الغرفة: «يجب أن تدفئي معدتك بشيء ما ثم تنامي وتتدثري جيداً».

عاد بعد دقائق، فأجلسها بعناية حتى يجعلها تأخذ رشفات صغيرة من الشاي الساخن.

- ما من ضرورة لأن تفعل ذلك، بيير.

تجشأت جورجي ثم تابعت: «أنا لست متعبة إلى هذا الحد. يمكنني الاهتمام بنفسي».

غمغم بنعومة: «أنا أريد القيام بذلك».

أرسل تعليقه وخزاً خفيفاً متسارعاً على امتداد عمودها الفقري.

ساعدها لتجلس بوضعية مستقيمة واضعاً ذراعه خلف كتفيها فأصبحت مستلقية عليه. أصبح ظهرها ملاصقاً لصدره، أما شعرها الحريري الناعم فانسابت بضع خصل منه على وجهه كالخيوط. إن كانت جورجي قد تجاهلت من قبل ذلك الاحساس بالدفء الذي يغمرها بحضوره فأين المفر الآن؟ إنها حتماً في عالم الأحلام الحلوة. من جهته استطاع بيير أن يشعر برائحة عطرها تلفح أنفاسه فتصيب حواسه بما يشبه الخدر. تحرك قليلاً ليضع الفنجان جانباً، فتنهدت جورجي بصوتٍ ناعم، ما جعله يطبق فكه بسبب الاحباط. إنها لا تريده بالرغم من تأثيرها الكبيرّ عليه!

- أتشعرين بتحسن؟

www.alkottob.com

انتزع هذه الكلمات بقوة من صدره، فأومأت جورجي وتنهدت مجدداً، غمغم بيير قائلاً: «يجدربي أن أذهب».

اكتشفت جورجي أن آخر شيء تريده هو رحيل بيير. تلوّت إلى ان أصبحت بمواجهته، فألقت رأسها على كتفه بخفة ودلال. بالكاد صدق بيير نفسه عندما دفعها برفقٍ عنه ثم نهض. نظرت جورجي إلى الأعلى باتجاهه غير مصدقة. مرّر أنامله من خلال شعره وتنهد مطلقاً أنيناً خافتاً ثم قال: «لا تنظري إلي بهذا الشكل. لا تظني أنني لا أرغب في معانقتك، بل إنني كذلك. أخبرتك بشعوري تجاهك... مرّتين حسبما أتذكر».

- لا ترحل! لا أريدك أن ترحل.

وجه لها بيير ابتسامة ملتوية قائلاً: «أنتِ لستِ على ما يرام الآن، وربما تشعرين بالامتنان نحوي. يمكنك أن تصفيني بأنني قديم الطراز، لكنني لم أعانق يوماً أي امرأة فقط لأنني وقفت إلى جانبها في محنة ما».

سحبت جورجي نفساً عميقاً وقالت: «أصبحت بحال أفضل الآن».

تجمد بيير في مكانه تماماً، كما لو أنه استنشق أنفاسه وما عاد قادراً على إطلاقها الآن.

نظر بيير إليها كما لو أنه منوم تنويماً مغنطيسياً. بدا وجه جورجي ناعماً وشاحباً، وفيما تنفست أخذ صدرها يعلو ويهبط. أغمض عينيه لفترة وجيزة حتى يصدّ هذه الصورة الجذابة.

تساءل بيير إن كانت ستدعوه إلى البقاء لو لم تكن تشعر بالضعف وبالحاجة إلى العطف والحنان. لو لم تكن كذلك أغلب الظن أنها كانت ستشكره ببرود على الأمسية الجميلة، ثم تغلق الباب بهدوء وحزم في وجهه. مدّت جورجي يدها نحوه، لكن قبل أن تتمادى في هذه الخطوة، كان بيير قد رفعها عن الأريكة وألقاها فوق كتفه ثم توجه نحو الدرج. أخذت جورجي تضربه بقبضتيها على ظهره من دون جدوى وهي تطالبه بأن ينزلها فوراً. تذمر بيير تحت أنفاسه بوحشية: «لا مجال لذلك. سوف تذهبين إلى السرير في الحال لصالحنا معاً».

كانت غرفة نوم جورجي مظلمة تماماً. ألا تترك هذه المرأة أي أنوار مضاءة حين تغادر منزلها ليلاً؟ أتراها تجد متعة في تحسس طريقها بحثاً عن مفتاح الإنارة وهي عمياء تماماً عن الرؤية؟

تابعت جورجي التذمر فيما تحسس بيير المكان بحثاً عن مفتاح الإنارة الكهربائي، لكنها غرقت في السكون ما إن وضعها على السرير. فوقف متراجعاً إلى الخلف لينظر إليها بحذر.

- سوف أحضر لك كوب ماء إلى هنا.

- حسناً.

سارع ينزل الدرج إلى الطابق السفلي ثم عاد إلى غرفة النوم وهو يتسلق كل درجتين سوياً. كانت جورجي قد بدأت تغفو للتو، فترك بيير كوب الماء على الطاولة المجاورة للسرير، ثم توجه نحو النافذة فأغلق الستائر.

استيقظت جورجي قبل بزوغ الفجر منتزعة نفسها بالقوة من النوم بسبب الأحلام الغريبة التي راودتها. ما إن تأقلمت عيناها مع العتمة رمشتهما محاولة تبين ما حولها، ثم أطلقت صرخة اندهاش وتفاجؤ حين رأت الكتلة الجالسة على الكرسي بالقرب من النافذة. أضاءت المصباح المجاور للسرير من دون تفكير، ما جعل بيير يتحرك في الوقت نفسه، فتشابكت عيونهما في هذا الصمت المطبق. استرجعت ذكرى الليلة السابقة بسرعة: التوعك الذي أصابها في المطعم... اهتمامه بها فيما كانت جالسة على الأريكة... نقلها إلى الطابق العلوي بأسلوب رجال الكهوف البدائيين... ويبدو أنه بقي إلى جانبها بعد أن استسلمت للنوم ليطمئن أنها ستكون بخير.

نهض بيير من كرسيه واقترب منها قائلاً: «كيف تشعرين؟»

- أشعر...

عبست جورجي ونظرت إلى الأعلى نحوه وتابعت: «... أنني بخير الآن. أشعر بالعطش قليلاً، لكن هذا كل شيء».

تناولت كوب الماء عن المنضدة الموضوعة قرب السرير وشربت جرعة منه ملء فمها، ثم قالت: «وأشعر أنني لم أكن منصفة بحقك، بيير».

www.alkottob.com

سمع بيير نفسه يسألها : «ما الذي تغير؟»

أليس هو من فتح نافذة أمل وهيأ الفرصة لنفسه بتوددهِ إليها خلال تناولهما العشاء؟ لكنه شعر بعدم الارتياح لما آل الأمر إليه مع أنه جاء لصالحه تماماً. هل حصل ذلك لأن جورجي حساسةً جداً وليست مثل أولئك النساء اللواتي خرج برفقتهن في السابق؟

– حسناً . . . ! ربما فكرت أن العلاقات الغرامية التي تصل إلى النهايات السعيدة ليست موجودة سوى في قصص الجنيات الخيالية.

إنها تحبه . . . تحبه! وهي تريده بقربها . . . ستأخذ ما هو متوفر ولو حتى عناقاً واحداً، لأن ذلك سيكون أفضل من لا شيء.

وافقها بيير قائلاً : «أنت محقة».

اقترب منها قليلاً، فأحست جورجي بنبضات قلبها تتسارع. سألته : «لماذا بقيت هنا؟»

قال بيير صادقاً : «أردت التأكد من أنك سوف تكونين على ما يرام».

– معدتي حساسة جداً كما أنني أتأثر بالبرد كثيراً.

استلقت إلى الوراء مستندة على الوسائد، تاركة ذراعيها تسقطان على جانبيها، وفجأة شعرت بالخجل لوجودهما معاً في غرفة نومها، فقالت بارتباك : «ربما . . . يجدر بي أن أحتسي كوباً من الشاي الساخن».

– حسناً! سأسبقك إلى الأسفل لأحضر الشاي لكلينا. لاتتأخري في النزول.

تمهل بيير في سيره وكأنه يتمتع برؤية ارتباكها. بدت قميصه غير مرتبة وقد فك زرها العلوي عند العنق، لكن ذلك لم يؤثر مطلقاً على جاذبيته. إنه يتمتع بجسد رشيق قوي البنية، فهو يثابر على التدرب في النادي الرياضي. حسناً! إنه يفعل هذا. أليس كذلك؟ بدت كتفاه عريضتين، وتمكنت جورجي من ملاحظة عضلات معدته المشدودة تحت قميصه. هذا الرجل ليس فقط وسيم المظهر بل هو يمثل الجاذبية الرجولية بحدودها القصوى.

– هل يعجبك ما ترينه؟

أدركت أنها تتأمله بعينين متسعتين فشعرت بالخجل. اقترب بيير من السرير، ولم تمنعه سوى قوة إرادته الصلبة الصرفة من الانحناء لأخذ جورجي في عناق محموم. قال لها : «أراك في الأسفل».

أدرك أنه لو عانقها في تلك اللحظة فهو لن يستطيع التوقف وذلك ليس في مصلحتهما معاً.

أطاعته جورجي بحيث نهضت من السرير على عجل فارتدت أحد فساتينها الفضفاضة، ونزلت إلى الطابق السفلي. شعرت بالسعادة وهي تركض على الدرج كأنها مراهقة ستلتقي حبها الأول. ما إن انضمت إلى بيير الذي أحضر الشاي إلى غرفة الجلوس وجلس على الأريكة بانتظارها حتى قربها منه بسرعة ليضمها بين ذراعيه في عناق طال انتظاره. أحست جورجي كما لو أنها وصلت إلى ديارها، وعادت إلى مكانٍ لا تريد مغادرته أبداً.

سألها بيير : «متى عانقك أحدهم لآخر مرة؟»

– لست أذكر . . . منذ عهود.

– لعلك كنت تنتظرين قدومي أنا في لا وعيك. هل أستحق هذا الانتظار؟

– كل دقيقة منه . . .

بدا وقع هذه الجملة ذا تأثير كبير على أعصاب بيير، فزمجر ثم جذبها إليه من جديد ليضمها إليه في عناقٍ شغوفٍ آخر. بدا عناقه المحموم بمثابة الرؤية بالنسبة إلى جورجي. لقد عرف ما تريده، فغمرها باندفاع كبيروهو يحرص على أن تكون كل لمسة من لمساته مميزة استثنائية يصعب نسيانها. استطاعت أن تشعر بهذا الشغف اليائس المكبوح في جسده كما هو في جسدها تماماً. فمنحها ذلك الاحساس ثقة بنفسها لم تظنها ممكنة البتة. كيف تراها استطاعت أن تشك بجاذبيتها وتأثيرها عليه مع أنهما واضحان إلى حد بعيد؟

سألها بيير بين غمرات عناقهما : «أما زلت متأكدة من أن هذا ما تريدين؟»

إنها لا تريد لهذا العناق أن يتوقف، فهي تشعر أن بيير هو حبيبها حقاً

www.alkottob.com

وهما لا يدعيان ذلك من أجل ديدي فقط. أجابت: «نعم... سأكون بخير».

في اللحظة التالية قبض بيير بيديه على كتفيها، فأنزلها من الأعالي التي كان قد رفعها إليها، ثم سألها: «ستكونين على ما يرام؟ ما الذي يعنيه ذلك يا حبيبتي؟»

تساءلت جورجي إن كانت قد سمعت جيداً ما قاله. هل ناداها للتو حبيبتي؟ إنها عبارة تحبب لا معنى لها، بالطبع، ومع ذلك... توسلته قائلة: «لا تأبه للأمر».

تساءل بيير ما الذي تراها تفكر به في رأسها الصغير. أتراها بدأت تنسج أحلاماً وردية تتعلق بالمستقبل بينهما؟ ذلك لن ينفع مطلقاً. أزاح الفكرة جانباً حالما وصلت إلى ذهنه. إن التقرب إلى جورجي ومغازلتها شيء، أما الحقيقة والواقع فهما شيء مختلف تماماً. غمغم قائلاً: «هنالك أمور في الحياة تستحق المجازفة، لكن على المرء ألا يبالغ في ذلك كي لا يصطدم بالواقع بقوة».

وافقته جورجي بهز رأسها هذه المرة وقد أدركت مغزى مخاوفه.

وفي مكانٍ ما في خضم تقاربهما، وفيما هما متعانقان تحدثا عن ديدي، وتكلما عن تجارب طفولتيهما.

حسناً! أقرّ بيير أن هذا ليس نوع الأحاديث التي يجريها عادةً مع النساء، لكنه عملياً ترقى مع هذه المرأة لذا فهما يتشاركان الكثير من الذكريات. على أي حال، هما مضطران إلى مناقشة وضع ديدي في مرحلةٍ ما، باعتبار أنها عملياً السبب الذي جعلهما يلتقيان مجدداً سوياً. تطورت الأحاديث بينهما من ديدي نحو مسائل عائلية أخرى، وبالكاد بدا ذلك مفاجئاً خصوصاً أنهما جالسان باسترخاء على أريكتها المريحة. كان رأس جورجي مستريحاً على ذراع بيير، فيما كان يلاعب خصلات شعرها الناعمة برفق. لم يقولا أي شيء بخصوص المستقبل. تساءلت جورجي وهي ناعسة عمّا ستفكر به ديدي حين تستيقظ لتجده غائباً عن المنزل. فهز بيير كتفيه بكل بساطة واستدار

ليواجهها. قال لها بجفاف: «على الأرجح أنها فوجئت لأنني لم أبقَ هنا الليلة السابقة، لذا سوف تشعر بالحماس».

فقالت: «آمل ألا تتمادى في حماستها، فنحن لا نريدها أن تعتقد بأن أجراس العرس سوف تقرع قريباً. أليس كذلك؟»

- يا إلهي! بالطبع لا.

استطاع بيير أن يشعر مجدداً بتدخل القدر الذي ينتظرهما على مفترق الطرق حاملاً أكياساً من المفاجآت الكريهة. حسناً! سيفكر في هذا الأمر لاحقاً. تابع يقول: «لكن، حبيبتي... هذا حقيقي. لسنا مضطرين بعد اليوم إلى التظاهر لإقناع والدتي بأننا مغرمان ببعضنا بقوة».

توقف قليلاً عن الكلام فتلوت جورجي بقربه لتقترب أكثر من دفء جسد ثم تابع قائلاً: «... سوف يكون ذلك حقيقياً. كل شيء سيبدو أسهل بكثير».

سمعت جورجي الفكرة في تصريحه فأغمضت عينيها متنهدة. سوف يكون عدم الادعاء أسهل بكثير، وكذلك قول الحقيقة عندما يحصل الانفصال بينهما. إنه الحل المثالي بكل نواحيه، وسوف تحصل على اهتمامه وعناقه في هذه الصفقة. لم تقوَ جورجي على التفكير بأي من هذا. فهي امرأة متفائلة، ومن يدري ما سوف يحمله لهما الغد؟

www.alkottob.com

٩ - الوقت يشفي الجراح!

هذه المرة بدت التحضيرات لعيد الميلاد مختلفةً عن التحضيرات العادية الروتينية. اعتادت في السنوات السابقة أن تقوم بالتسوق بحثاً عن هدايا للأصدقاء والمقربين منها، ثم تنصب شجرة عيد الميلاد بمفردها فيما تضع القرص المدمج الخاص بتراتيل عيد الميلاد حتى يصدح عالياً وهي تزيّن الشجرة. كما أنها كانت ترتاد حفلات ما بعد العمل حيث تحظى ببعض المرح مع أصدقائها. لكن هذه المرة كان بيير موجوداً. لم تشأ أن تسأله عن العمل كي لا يتذكر أنه ليس في مكانه المناسب. في الواقع، ما كانت لتتصور أبداً أنه قادرٌ على الشعور بالاسترخاء كما يفعل الآن. أمضيا غالبية الأيام سوياً ولم تره جورجي سوى مرتين فقط وهو يتلقى مكالمات هاتفية على هاتفه النقال، وفي المرتين كان يعتذر منها قائلاً: «إنه لا يمكن تفادي تلك المكالمات لأهميتها».

بالرغم من أن حال الطقس لم يبدُ مساعداً، لكنهما مع ذلك قاما بالكثير من الجولات السياحية. أصيبت جورجي بالصدمة بسبب قلة معرفة بيير بالمحيط الذي أمضى فيه طفولته وعدم تآلفه معه. إلا أن بيير ذكرها أن أفضل جزء من طفولته هو الفترة التي أمضاها في مدرسةٍ داخلية. حاول طمأنتها قائلاً: «ذلك الأمر لا يعنيني بشكلٍ تام. إن الطفل الوحيد يعيش منعزلاً عن الآخرين، أما في المدرسة فكنت محاطاً بأطفالٍ في مثل سني، لذا بدا الأمر ملائماً جداً لي. شارلي وديدي كانا يمضيان معظم أوقاتهما وهما يحاولان إنجاح عمل المزرعة».

- هل كرهتهما بسبب ذلك؟

سألته جورجي ذلك. لكن بيير وجه لها إحدى هزّات كتفيه البليغة، وتلك عبارة عن إشارةٍ لها بأن تبتعد عن اختباره وامتحانه. إلا أن هزّات الكتفين هذه أخذت تقلّ شيئاً فشيئاً وتتباعد أوقات حصولها. لم تعرف جورجي إن كان بيير قد لاحظ ذلك، أما هي ففعلت. وقد سرّها ذلك إذ بدا بمثابة الرؤية بالنسبة لها، فهي ترغب باستكشاف كل شيء يتعلق به. بالطبع، بعد انقضاء فترة الميلاد سوف تظهر الحقيقة بقوة. سوف يعود بيير إلى لندن، فينضم إلى نمط حياته هناك. سوف ينسى بسرعة الأوقات المتباطئة التي أمضاها في ديفون. لكن حتى يحين ذلك الوقت، يسر جورجي أن تتنعّم بمتعة القيام بأمور مشتركة برفقته.

تبين لها أن معرفة بيير واسعة حتى بالأشياء الصغيرة غير ذات الأهمية. أصغت إليه وهو يخبرها عن أسفاره ورحلاته، فراحت تمازحه وتغيظه قائلة إنه لا يستطيع فعلاً أن يسميها أسفاراً في حين أنه يمضي أوقاته داخل المكتب وهو يعمل، حتى لو كانَ هذا المكتب يقع في الجهة الأخرى من العالم. بالطبع اشترت جورجي له هدية بمناسبة الميلاد. استغرقها انتقاء الهدية عهوداً من الزمن، وذلك لأنها مضطرة إلى أن تخطو ذاك الخط الأحمر الرفيع الذي يفصل ما بين الشخصي وغير الشخصي. لعل بيير يستمتع برفقته لها، لكن علاقتهما مبنية على تفاهم ضمني بأن لا شيء سيدوم إلى الأبد. إنه لا ينوي التعلّق بأحد. إن أقل تلميح توجهه له بأنها تنظر إلى علاقتهما بجدية أكبر مما يرغب هو سوف يدفعه إلى الرحيل على الفور. لهذا السبب أهدته كتاباً بمناسبة العيد.

كان قد ذكر لها خلال إحدى لحظاتهما الحميمة أن كتابه المفضل هو «مغامرات هاكلبيري فيت»، وأنه أعجب بهذا الكتاب حين قصد المدرسة الداخلية للمرة الأولى، حيث كان عليه أن يستقر هناك ويتأقلم مع الأجواء الجديدة. تراءت لجورجي صورة صبي صغير يشعر بالوحدة، وهو متقوقع تحت الأغطية حاملاً المصباح الكهربائي ويقرأ عن مغامرات شخص آخر حتى يبعد تفكيره عن كونه منعزلاً وحيداً لأنه في مكانٍ غريبٍ لأول مرة في

www.alkottob.com

حياته. من الطبيعي أنها تجنبت مشاركة بيير في هذه الرؤية التي تصورتها عنه لعلمها أن ذلك سوف يستدعي إحدى هزات كتفيه المعهودة؟

حلّت ليلة الميلاد بعد مرور أسبوع ونصف الأسبوع على تقاربهما الفعلي. ذهب بيير مع جورجي ووالدته لحضور قدّاسٍ مبكر في الكنيسة، ثم عادوا إلى المنزل لتناول العشاء. لم يتطلب الأمر كثيراً حتى يقنعا جورجي بالبقاء لتمضية الليل حتى يتمكنوا من الاستيقاظ باكراً صباح عيد الميلاد فيقوموا بفتح الهدايا سوياً. كان بيير قد أقلّ جورجي مع ملابسها وهداياها ومختلف أنواع الطعام إلى والدته. مازحته جورجي وهي تخطو خارج سيارة البتلي وهي تنظر إليه فيما ملأ الضحك عينيها، قائلة: «أشعر كما لو أنني أنتقل إلى هذا المنزل».

علق بيير: «آه! لا يمكنني أن أتخيلك تتخلّين عن دجاجاتك بهذه السهولة».

أما جورجي فأحست بظل يخيم على مزاجها المشرق، لكنها أزاحته وطمسته مطلقة ضحكة أخرى: «ألا تظن أن الدجاجات ستكون قادرة على اتقاء الخطر والاعتناء بنفسها؟»

- لا أظنها ستحصل على الدلال الذي عودتها أنت عليه. ما الذي وضبته في هذه الحقيبة بحق السماء، جورجي؟ إن وزنها يقارب الطن!

شعرت جورجي بنبرة دفاعية تتسلل إلى صوتها وهي تقول: «أحضرت هداياي، بالاضافة إلى بعض الملابس».

- أفترض أن من حق النساء أن يسافرن وهنّ يحملن أمتعة ثقيلة.

قال بيير ذلك وهو يفتح الباب الأمامي فيدفعه لينفتح مستخدماً قدمه، وذلك لكي يتمكن من طرح حقيبة جورجي في البهو. كانت ديدي نائمة، مع أنها رغبت في البقاء مستيقظة، حتى يتمكن الثلاثة معاً من الاستمتاع بالسهرة حول شجرة الميلاد قبل أن تخلد إلى النوم. لكن ديدي وجدت في نهاية الأمر أن النهار طويلٌ جداً، لذا استقرت لتنام قبل ذهاب بيير برفقة جورجي لإحضار أغراضها من المنزل. تابع بيير يقول: «لكنك سوف تبقين

هنا لليلة واحدة فقط! كم مرّة قد يحتاج المرء إلى تبديل ملابسه خلال يومٍ واحدٍ وليلة واحدة؟»

اعترفت جورجي قائلة: «أحضرت فائضاً من الملابس إذ لربما انتهى بي الأمر بالبقاء لفترة أطول مما خططت له. اضطررت مرتين حتى الآن إلى قضاء الليل في مكانٍ ما من دون ملابس إضافية، لذا قررت أخذ بعض التدابير الاحتياطية هذه المرة».

بدت هذه إحدى تلك اللحظات التي يذكرها فيها بعدم استمرارية وضعهما سوياً، لكنها لم تشأ مواجهة الأمر الآن. ليس عشية الميلاد...

اندفعت إلى غرفة الجلوس، ثم نظرت إلى الوراء لتغمز بيير من فوق كتفها مدعية الغنج والدلال، وهي ترفرف رموشها وتبتسم ابتسامة خجولة. كانت قد مازحته لتغيظه منذ فترة من الزمن قائلة إنه ضعيف أمام النساء اللواتي يقمن برفرفة رموشهن وادعاء الغنج والدلال، وبما أن جورجي لم تقم بهذه الأمور من قبل فسوف تتمرن عليها. تقدمته إلى داخل الغرفة فيما جرّ بيير حقيبة أغراضها ليتركها عند أسفل الدرج، ثم تذمر من ألمٍ مفاجىء في ظهره.

سألته جورجي ببراءة: «هل أدلكه لك؟»

قوم بيير ظهره وابتسم لها، ثم غمغم بنعومة: «أنت تدهشينني على الدوام، إذ تظهرين لي أنك امرأة متعددة المواهب».

خلع كنزة الركبي الرثة التي كان قد ارتداها في وقتٍ سابق، ثم همّ بفك زري قميصه العلويين وتابع قائلاً: «أدهشتني حين تخليت عن ملابسك الشبيهة بملابس الهيبيين...»

- هذا فقط لأنني لا أذهب إلى المدرسة حالياً.

قالت جورجي ذلك بنبرة ملؤها الغطرسة متعمدة أن توضح له أن ليس بإمكانه أن يجعلها تغير أسلوب عيشها وطريقة لبسها. تابعت قائلة: «ما من داعٍ لأن أرتدي ملابسَ مريحة إلى هذه الدرجة خارج دوام المدرسة. من جهة أخرى نحن حضرنا قداساً في الكنيسة، ومن الطبيعي أن أحرص على أن أبدو

www.alkottob.com

جميلة وأنيقة!»

رفع بيير يديه باستسلام ساخر، لكن عينيه بدتا ضاحكتين. قال: «حسناً... حسناً!»

خلع قميصه ثم تمشى باتجاه الأريكة. مازالت جورجي غير معتادة على رؤية عضلاته الصلبة وجسمه الرشيق كما تراه الآن في قميصه القطنية الداخلية.

- أنا جاهز لجلسة التدليك التي وعدتني بها.

وقف أمامها بطوله الفارع وبدأ يدلها على النقاط التي يشعر فيها بالألم قائلاً إنه يفتقد إلى التمرن في النادي الرياضي. استلقى بعدئذٍ على بطنه على الأريكة فيما شبك ذراعيه بخفة تحت رأسه. وقفت جورجي إلى جانب الأريكة وراحت تدلك ظهره ببطء شديد. لم يبدُ الأمر سهلاً بالنسبة إليها وهي تقف بمثل هذا القرب منه وتلامس جسده بأصابعها، أما بيير فبدا مرتاحاً جداً لوضعه هذا وسرعان ما بدأ يتنهد بارتياح. أثناء ذلك راح يعطيها التعليمات والملاحظات حول كيفية الضغط على العضلات المتصلبة لمساعدتها على الاسترخاء والتمدد. غمغمت جورجي: «دروسٌ من المعلم».

ابتسمت وهي تنظر إلى وجهه الذي بدا مبتسماً بدوره.

- سوف تشكريني على ذلك يوماً ما.

أحس بيير أن هذا الخروج من الروتين المعتاد في حياته هو أمر منعش إلى حد بعيد، فجورجي الفاتنة الجذابة تتحرك بالقرب منه كل يوم، راحا يتنقلان خلال النهار في أمكنة واسعة كالخيال، وهذا الأمر أنعشه إلى حدٍ كبير. لكن هذه المرحلة سوف تصل إلى نهايتها. أدرك ذلك لأن حياته الواقعية ما زالت بانتظاره وسوف يعود إليها في غضون أسبوع.

- ما الذي تقصده؟

سألته جورجي وهي تجذب أنفاسها شيئاً فشيئاً حتى بدأت تشعر أن صدرها صار يؤلمها.

لم تقوَ على ملاقاة عيني بيير حين رفع رأسه لينظر إليها. لحسن الحظ أنه مستلق على بطنه ولا ينظر إليها باستمرار مع أن رؤية عضلات ظهره العريض لا تساعدها كثيراً.

- ما أقصده هو أنك كلما تعلمت مهارة جديدة يمكنك استخدامها في ما بعد حتى تتركي انطباعاً جيداً لدى حبيبك.

على الرغم من أن بيير تأثر إلى حدٍ بعيدٍ بجاذبية جورجي، لكنه بشكلٍ ما أحسّ أن من الخطير أن يسمح لتلك الفكرة بالتسلل إلى ذهنه. أجبرت جورجي نفسها على الابتسام، ثم بدأت يداها تفعل سحرها على ظهر بيير.

قالت بخفة: «أنت محق».

تساءل بيير على الفور إن كان في حياة جورجي شخص مميز توفر له مهاراتها وسحرها الأنثوي. على حد علمه، ليس هناك أي رجلٍ منذ فترة من الزمن. لكن من المحتمل أن هنالك من يترصدها بانتظار الفرصة السانحة ليحصل عليها. تراءى له شك مفاجىء وغير مريح بأنه مجرد نقطة صغيرة غير مرئية في آفاق جورجي، مع أنه لم يكن يوماً من أولئك الذين يشكون بأنفسهم. قال لنفسه إنها هي أيضاً كذلك بالنسبة إليه، لكن بالرغم من ذلك....

انقلب على ظهره وجذبها لتجلس إلى جانبه، فيما رفع رأسه وكتفيه ليستلقي على مسند الأريكة، بحيث أصبح يراها بوضوح. بدت منقطعة الأنفاس أما هو فرغب في التحدث معها، ولم يشأ أن تذهب أفكاره أدراج الرياح بشأنها. إلا أنه لم يقوَ على تمالك نفسه، فجذب جورجي نحوه ليتمكن من ضمها إليه ومعانقتها. سوف يحين موعد الكلام خلال لحظات، أما الآن فهو لم يقوَ على مقاومة عطرها المشوق. قربها منه أكثر فيما لف يديه خلف عنقها وأخذها في عناق حميم تاق إليه كلاهما طيلة النهار. بعد دقائق من العناق المليء بالمشاعر رمقته جورجي بنظرة فضولية وقالت: «ما الأمر؟ تبدو كأنك على وشك أن تقول لي: «هنالك ما أرغب بقوله لك...».

www.rewity.com
RAYAHEEN
www.alkottob.com

ضحكت جورجي بتوتر لأن الجمل التي تبدأ بهذه الطريقة لا تبشر بأخبار سارّة. ما تراها ستفعل الآن إن قال لها بيير إن الأمر انتهى بينهما؟ فجأة أحست بالفراغ والضياع وبهوة عميقة تنفتح أمامها. هوة أرعبتها بمدى فراغها اللامتناهي...

- يجدر بنا أن نتحدث.

قال لها بيير ذلك بأكثر ما استطاع من لطفٍ ولباقة إلّا أنه بدأ يغلي في أعماقه لدى تصوره للسيناريوهات الخيالية التي تستخدم فيها جورجي مهاراتها المميزة مع شخصٍ غيره. ربما هو رجل نباتي ذو شعرٍ طويلٍ ولحية. إن رجلاً كهذا قد يسحرها ويدخل إلى حياتها عن طريق ادعاء الاهتمام بدجاجاتها. أما جورجي التي ستكون خارجة حديثاً من مرحلة حياة عاطفية غير ناجحة، فسوف تكون بالطبع متشوقة إلى علاقة غرامية حقيقية، ومستعدة للانطلاق مع ذاك الرجل.

- بأي شأن؟

- بشأنك أنتِ... في الواقع.

فكر بيير كيف سيصوغ عبارته التالية من دون أن يبدو متطفلاً على حياتها، ثم قرر أنه لا يأبه بذلك، فقال: «لست أدري كيف أقول لك هذا، جورجي...».

ضحكت جورجي وقالت: «أنت... لا تدري كيف تقول شيئاً ما، بيير؟»

لكن قلبها راح ينبض بحدة بمزيج من الهلع والجزع، فتابعت: «ذلك يحصل للمرة الأولى معك. لا بد أن أتذكر تدوين ذلك في دفتر مذكراتي!»

- أنتِ لستِ خبيرة في... الرجال...

- نعم، لكن...

- دعيني أنهي كلامي. إن عدم خبرتك تجعلك حساسة وسريعة العطب، وأنت أكثر حساسية حتى من المرأة العديمة الخبرة العادية، لأنك مندفعة وتفعلين الأشياء من دون أن تفكري بعواقبها أولاً.

- لست أدري... ما الذي تصبو إلى الوصول إليه بكلامك؟

قالت جورجي ذلك وقد شعرت بالانزعاج، لكن بيير تجاهل اعتراضها وتابع قائلاً: «ما أقوله هو إنه يجدر بك أن تكوني حذرة. هنالك الكثير من أسماك القرش في الخارج».

توقعت جورجي خطاباً وداعياً من قبل بيير لذا لم تعد متأكدة إن كان يجدر بها أن تشعر بالارتياح لكونه لم يتخلّ عنها أو بالانزعاج لأنه يعتقد أنها بلهاء. استندت على ظهر الأريكة جيداً، ورفعت بصرها لتنظر إلى السقف، ثم قالت له: «يمكنني الاعتناء بنفسي، بيير».

- أيمكنك؟ أيمكنك حقاً؟

أدار بيير وجهها نحوه حتى تواجهه، وكما توقع رسمت جورجي تعابير متمردة على وجهها ما جعله يصمم أكثر فأكثر على جعلها تفهم وجهة نظره. لذا قال: «أنت امرأة فاتنة وجذابة جورجي، وأنا أعرف ذلك. لكن هل أنت قادرة على اتخاذ الخيارات الصحيحة؟»

أقرت جورجي: «على الأرجح... لا».

فكرت بالخيار الأول الخاطىء الذي اتخذته للتو وهو الوقوع في حب بيير نفسه. لا شك أنه الرجل الوحيد الذي سيفطر فؤادها ويجلب لها البؤس.

طالبها بيير بخشونة: «وهل يفترض بهذا أن يطمئنني؟»

- ما الذي يمكنني أن أقوله؟ الحياة ملأى بالفرص والخيارات. ما أدراك أنني سأنتهي بالتورط مع الرجل غير المناسب؟

هذه بالطبع ليست الإجابة التي رغب بيير بسماعها، على الرغم من أنه لم يكن يعلم فعلاً ما الذي يريد سماعه. هل ظن أنها سوف تعود إلى حالة من الابتهاج لكونها غير مرتبطة. لا مجال لحصول ذلك الآن بعد أن أيقظ فيها الاحساس بأنوثتها وقدرتها على التأثير بالرجال.

- على أي حال... شكراً جزيلاً على نصيحتك، لكن أليس لدينا أشياء أفضل نقوم بها الآن، بدلاً من التحدث عما قد يحصل أو لا يحصل في مرحلة ما من المستقبل؟

www.alkottob.com

إن آخر شيء تود التفكير به هو ذلك الشيء بالتحديد: المستقبل. لو أن بمقدورها أن توقف مسار الزمن، لفعلت.

- لعلني سأفعل... ربما بكل بساطة سأفعل...

استحضرت جورجي في رأسها السيناريو المثالي: لا مزيد من الألاعيب. بيير مغرمٌ بها بجنون! في الوقت المناسب سيقام زفاف كبير وهناك فستان أبيض أو ربما بلون الكريما، وسوف تسمع بعد ذلك وقع أقدام الأطفال....

تابعت كلامها: «... سأجد رفيق روحي المثالي، أي الرجل الذي كنت أبحث عنه طيلة حياتي. من الطبيعي أن يحصل ذلك، كما تعلم. لا أظن أنني سيئة الحظ إلى درجة تجعلني أصطدم برجلٍ سيء يستخدمني ويستغلني ثم يرميني جانباً».

طالبها بيير قائلاً: «ومن سيكون هذا الرجل المثالي؟»

إنه أنت! لكنها بالطبع لا تستطيع أن تقول له ذلك، ليس إذا كانت تريد قضاء المزيد من الوقت برفقة بيير. قالت: «آه! فقط شخصٌ لطيفٌ يراعي مشاعري ويهتم أمري، ويتمتع بروح مرحة».

قال بيير باختصار: «بمعنى آخر إنه شخصٌ جامحٌ حقيقي».

- أنت تعلم أنني لست امرأة مادية جداً. وغالباً ما يكون الناس العاديين أكثر سعادة من أولئك الذين يمتلكون الكثير من المال.

- إذاً أنت تبحثين عن رجلٍ معدم يطلب منك بعض المال ليشتري لك الأزهار وليأخذك في موعد لتناول عشاءٍ رومنسي؟

- هذا حديثٌ سخيف.

هذا هو الجدال الأول الذي جرى بينهما منذ فترة، وذلك لم يعجبها. داعبت يد جورجي خد بيير فشعرت بالتوتر في عضلات فكه المشدودة. لم تكن لديها أي فكرة عن سبب تعكر مزاجه. أتراهُ يتوقع منها أن تخرّ راكعة عند قدميه امتناناً له لأنه رأى أن من المناسب أن يخبرها كيف يجدر بها أن تقود حياتها؟ ألا يعلم كم هو مؤلم بالنسبة لها أن تدرك أن خلف كلماته

تكمن حقيقة أن انفصالهما محتوم؟

استيقظت جورجي في غرفة الضيوف التي أصلح بيير زجاج نافذتها قبل أيام لتجد مشهداً شاعرياً في الخارج. تساقطت الثلوج بغزارة خلال وقتٍ ما من ساعات الصباح الأولى فاكتست الأرض وشاحاً أبيض، وهي ما زالت تتساقط حتى الآن.

دخل بيير إلى غرفة جورجي فوجدها تحدق بتعجب من خلال نافذة غرفة النوم. مشى ببطء نحوها، فوقف خلفها ولفّ ذراعيه حولها: «ميلادٌ مجيدٌ، يا عزيزتي. ألم أقل لك إن إحضار الكثير من الملابس الاحتياطية فكرة جيدة؟».

قبل بيير قمة رأسها فضحكت جورجي لانعكاس صورته على زجاج النافذة.

- أليس المشهد رائعاً؟

- أحب رؤيتك وأنتِ ترتدين قميصاً للنوم بدلاً من عدة طبقات من الملابس الفضفاضة، فهكذا أستطيع الشعور بك أكثر عندما أعانقك.

أشارت جورجي قائلة: «في الواقع، حين يتعلق الأمر بالذهاب إلى الحمام في منتصف الليل تبدو قميص النوم غير كافية مطلقاً. هذا المنزل يصبح بارداً في الشتاء بعد أن يطفأ جهاز التدفئة».

- همم!

تلاقت عيونهما على النافذة، فراقبت جورجي يديه القويتين الأنيقتين تتحركان فوق قميصها القطنية الواسعة حتى تتمكنان من القبض على كتفيها وما لبث أن لفهما حولها ليضمها إليه بقوة، همست بغير ثبات: «قد يرانا أحدهم».

ابتسم بيير وسألها: «كم هو عدد الناس الذين قد يتمشون في الحقول المغطاة بالثلوج صباح عيد الميلاد؟ آه، انظري! هنالك حشد كبير من الناس!».

استقامت جورجي في وقفتها بردة فعل تلقائية، لكنها أدركت بالطبع أن

www.alkottob.com

بيير يمازحها. شهقت جورجي وضحكت في آنٍ معاً قائلة: «يجدر بنا أن ننزل إلى الطابق السفلي. . . ديدي على الأرجح قد بدأت للتو بالتحرك في المطبخ بانتظار قدومنا! أصبحت الساعة الثامنة!»

غمغم بيير بالقرب من عنقها: «لهذا السبب جئت كي أراك هنا قبل أن ننزل».

أدارها حول نفسها، ثم جذبها نحوه بحركة سريعة رشيقة وعانقها. جاء عناقه السريع الخاطف كموجة من الدفء والحرارة التي غزت جسدها في الحال. وأحست جورجي بالأمان التام وهي بين ذراعيه. يا لها من لحظات. . . ! ليتها تستطيع التعلق بها إلى الأبد، خصوصاً بعد حديثهما الأخير الذي دفعته من ذهنها بصعوبة.

بعد أن غادر بيير غرفتها استطاعت جورجي أن تشعر وهي ترتدي ملابسها، بأن الفقاعة الصغيرة التي بنتها حولهما بدأت تترنح. ثم ارتفع تفاؤلها مجدداً فوصل إلى السطح، وفكرت، لِمَ تراها تخاف؟ تمهلت قليلاً ونظرت إلى صورتها في المرآة. رأت قبالتها امرأة مغرمة تضجّ بالحيوية؛ خداها محمران، وعيناها مشرقتان، وكل جزء منها تدب فيه الحياة. أقرت بأن بيير ليس الرجل المناسب لها في ما يخص الشعور بالأمان على الأقل. لكن، ماذا لو كان كذلك؟ لِمَ تراها تغمض عينيها عن الحقيقة وتلعب دور الميتة؟ بمعنى آخر، لِمَ لا تقاومَ للحصول عليه؟ لا بد أن تكون معركتها خفية مستورة، لأن بيير لا يمتلك أدنى فكرة عن حقيقة شعورها تجاهه، لكنها تستطيع أن تفعل ذلك!

كان بيير قد اختفى فسبقها إلى الطابق السفلي. كان باب غرفتها مفتوحاً، فتناهت إلى مسمعها الأصوات غير المحدودة لحديثه مع ديدي. إنها تعرف شخصاً واحداً قد يوافق من قلبه على مساندتها لو كانت لديه فكرة عن الموقف الحقيقي، وذاك الشخص هو ديدي. إن قامت بإطلاع ديدي على الحقيقة، لما ترددت هذه الأخيرة في مساندتها ودعمها، ولما شجعتها مطلقاً على التخلي عن بيير عندما يحين الوقت للفراق. إن الحل. . . هو بسيط. . .

سوف تجعل من نفسها شخصاً لا يمكن الاستغناء عنه. ما زال أمامها متسع من الوقت حتى رأس السنة، لكن خلال تلك الفترة ستضطر إلى بذل أقصى جهدها حتى تفوز بالحظوة، وحين يعود بيير إلى لندن. . . من يعلم؟ ألم يقل لها إنه افتقدها مرة من قبل؟ لعله سيفتقدها مجدداً، وهذه المرة سيتعلق بها أكثر بلا شك.

قصدت جورجي الطابق السفلي بعد أن تعاملت مع كل أفكارها السوداوية، فوجدت إبريقاً من القهوة الطازجة والكعك الساخن بانتظارها على طاولة المطبخ. راحت ديدي تتحرك جيئة وذهاباً حول ديك الحبش بعد أن أصرّت على أنه طبق عيد الميلاد التقليدي. قال بيير إنه أحب الكتاب الذي أهدته إياه جورجي، أما هو فأهداها ساعة أثرية للحائط كانت قد رأتها خلال إحدى رحلاتهما سوياً، وأحست برغبة لأن تشتريها، لكنها افتقرت إلى المال اللازم.

قالت ديدي بأسف: «أملت أن أرى خاتماً زرعت فيه ماسةٌ في مكانٍ ما».

لكن تلك اللحظة ضاعت في أجواء ديك الحبش وفطائر اللحم المفروم مع البطاطا المشوية. عندما حان وقت جلوسهم لتناول الطعام، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة، ومع توقف تساقط الثلوج، مرّ بهم عدد من الجيران لتناول المشروب المسائي. وجد بيير نفسه يستمتع بكل ما يحصل مع أنه في العادة يمقت هذا النوع من النشاطات. لطالما أحبت ديدي حضور الجيران إلى منزلها لتناول المشروب وتبادل الأحاديث الجارية في البلدة، لكنها كانت على الأرجح تحذرهم كي لا يأتوا في السنوات السابقة لأن بيير يكره ذلك. جلست جورجي في زاوية الغرفة تتسامر بمرح مع القس المحلي. تلاقت عينا بيير مع عينيها، فغمزها بطرف عينه فاحمرت وجنتاها خجلاً بشكل جنوني وفقدت مسار الحديث.

أدرك بيير أنه سوف يعود إلى حياته العادية بمقدار معين من الندم. فكر أن ذلك طبيعي، فقلما كانت فرص الأعياد من ضمن برنامجه، أما هذه

www.alkottob.com

الإجازة فهي خارجة عن المألوف. نظر من جديد عبر الغرفة نحو جورجي، فلاقت عينيه عبر الأشخاص العشرة المجتمعين في الغرفة، والذين راحوا يتحدثون بحماس بخصوص كل شيء وعن لا شيء مهم. ضاقت عينا بيير، كما لو أنه استيقظ حديثاً من الحلم، ورأى ما كان يجدر به أن يراه منذ بعض الوقت. كانت جورجي بالنسبة إليه شيئاً مقلقاً ومزعجاً في بادىء الأمر ثم صارت شيئاً جديداً، وأخيراً أصبحت تحدياً كبيراً. ومع أنه استمتع بكل دقيقة حظي بها معها، إلا أنه حاد الذكاء بما فيه الكفاية ليعلم أنه يريد أن تبقى حياته على حالها تماماً من دون أن تثير فيها المشاعر أي نوع من الفوضى. خدع نفسه باعتقاده أنها تشعر مثله تماماً حيال علاقتهما. لكن ذاك التعبير المرتسم على وجهها ليس مجرد ابتسامة توجهها امرأة ترغب بقضاء بعض الوقت الممتع مع رجل يجيد مغازلتها والتودد إليها. تلك ابتسامة امرأة بدأت تستثمر المشاعر في علاقتها مع الرجل. ذلك لن يجدي نفعاً فهو غير مستعد لإقامة علاقة غرامية ملتزمة. حتى لو كان كذلك فلن يرتبط بجورجي، فبالرغم من كونها لطيفة وودودة، لكنها أيضاً فتاة قروية ولن تتمكن أبداً من القفز نحو عالمه المختلف.

أنهى بقية شرابه بسرعة، ثم اختفى داخل غرفة المكتب. بعد مرور حوالي العشرين دقيقة وبعد سماعه لانفتاح الباب الأمامي وانغلاقه، ومع خروج الزائرين أزواجاً ومجموعات، عاد بيير إلى غرفة الجلوس ليجد جورجي ووالدته تنظفان. قال مقاطعاً الثرثرة الودية بينهما: «أخشى أن لدي بعض الأخبار السيئة. أنا مضطر إلى المغادرة صباح يوم غد لأتوجه إلى سنغافورة».

لاحظ التعابير التي ارتسمت على وجه جورجي وهي مزيجٌ من الخيبة والخشية. يا إلهي! يجدر به أن يفعل شيئاً ما بخصوص ذلك، ومن الأفضل أن يسرع بهذا. قاطع اعتراضاتهما، ومشى نحو والدته فطبع قبلة خفيفة على رأسها قائلاً: «لا يمكنني تفادي ذلك. سأحاول أن أعود بمناسبة رأس السنة ديدي، لكنني لا أستطيع أن أعدك بأي شيء. إن العقود لا تحترم

فرص الأعياد. أنا أعتبر نفسي محظوظاً لأنني لن أتغيب إلى سنغافورة إلا لثلاثة أيام».

لم تتفوه جورجي بأي كلمة، فقرأ بيير الانتقاد البادي في عينيها الخضراوين الواسعتين. تساءل ما الذي تتوقعه؟ أعرضٌ بالزواج منه؟ أعلنت ديدي أخيراً أنها ستتوجه إلى الطابق العلوي. ما الذي تتهمه به جورجي بعينيها الكبيرتين المؤنبتين تلك؟ هل وعدها بأي شيء؟ قال لها بيير فجأة ومن دون مقدمات وهو يغلق باب المطبخ: «في الواقع لست مضطراً لأن أذهب إلى أي مكان».

- أحقاً؟

مرر بيير أنامله من خلال شعره فنظرت جورجي إليه من دون أن تقول أي شيء. حسناً! هذه العلاقة بينهما لن تؤدي إلى أي مكان، ما الذي كانت تفكر به بحق السماء حين تصورت أنها ستتمكن بشكل ما من جعل نفسها امرأة لا يمكن الاستغناء عنها؟ ما من شخص لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لبيير، ربما باستثناء والدته. هذا ما تحتاج إلى التركيز عليه الآن: التأثير الإيجابي الذي تركته علاقتهما القصيرة على ديدي والتحسن الجيد الذي أحدثته على علاقتها بابنها.

قال لها بيير متهماً: «اعتقدت أننا عقدنا اتفاقاً، وأن كلينا نعرف حدود هذه... هذه...»

- نحن كذلك.

مشى نحو طاولة المطبخ فجثم مستنداً إليها، وهو يحدق بجورجي قائلاً: «لكن هذه الأمسية... إنها حقيقية جورجي. رأيت شيئاً على وجهك... أنت ترغبين بالمزيد، أكثر مما أنا مستعدٌ لأن أمنحك إياه... و... اللعنة! لا تنظري إلي هكذا!»

تصارعت داخل جورجي عزة نفسها مع حاجتها الملحة لأن تقول الحقيقة. أخفضت بصرها لتحدق في أرضية المطبخ المرصوف بالآجر، فتلك ناحية أكثر أماناً لتركز اهتمامها عليها. ضحكت قليلاً بغير ثبات وقالت:

www.alkottob.com

«حسناً! أنا آسفة لأنني لا أطيع شروط اللعبة، بيير. لست أدري ما الذي حلّ بي. في اللحظة الأولى كنت أعارضك فعلاً وأعارض كل ما تمثله، وفي اللحظة التالية. . . ».

هزّت كتفيها وتابعت: «ذلك ما حصل. . . عقولنا تملي علينا شيئاً ما، لكن قلوبنا لاتخضع لها».

شعرت بقلبها يقوم بضربات جنونية في صدرها، وجل ما استطاعت أن تفكر به هو: لِمَ لَمْ أوقف هذا طالما كان بمقدوري ذلك؟

- لذا تعلَمين أنه يفترض بنا أن ننهي هذه العلاقة الآن.

نظرت جورجي إلى عيني بيير مباشرة، قائلة: «لا! أنا فعلاً لا أفهم. أنا لن أطلب منك الالتزام بأي شيء. لا يجدر بك أن تهرب هلعاً فقط لأنني أكنّ لك بعض المشاعر».

قال لجورجي ببرود: «أنا لست مثلك جورجي. إن المجازفة بخوض علاقة مع امرأة ما ليس أمراً أجيزه لنفسي. لدي حياتي المهنية، ولدي حياتي العاطفية، هكذا تسير معي الأمور. أنا لم أبحث عن علاقة غرامية رومنسية هنا كما في القصص الخيالية، كل ما هناك أننا تقاربنا وتعانقنا مراراً ولم يتغير أي شيء. فضلاً عن ذلك. . . »

قال ذلك حتى يقتلعها للمرة الأخيرة من حياته، فقد كان خارج تياره المعهود خلال الأسابيع القليلة الماضية.

تابع قائلاً: «. . . أنت فتاة لطيفة لكننا لا نعيش على الكوكب نفسه».

- آه، بالطبع! أنا فتاة ريفية تافهة وأنت رجلٌ مهمٌ جداً من المدينة، أليس هذا ما تعنيه؟

عبس بيير في وجهها وقال: «لنقل الأمور ببساطة. أنت قلتها بنفسك أكثر من مرة».

- ما الذي سنقوله لديدي؟

- دعي الأمر لي. سأهتم بالموضوع. يمكنك أن تعودي لرؤيتها بعد أن تستقر الأوضاع.

- حسناً!

- لا تهدري دموعك عليّ، جورجي. سيري قدماً بحياتك وأنا سأعود إلى حياتي. على أمل أننا حين نلتقي في المرة المقبلة ستبدو علاقتنا شيئاً من الماضي بالنسبة لك، ولن يسيطر شعور بالغرابة بيننا. مهما يكن، لقد تشاركنا بالكثير من المشاعر خلال الأسابيع القليلة الماضية.

قالت له: «الوقت يشفي الجراح».

استدارت جورجي حول نفسها حتى تحدق خارج نافذة المطبخ. ثم قالت بغرابة من دون أن تنظر خلفها: «سأغادر هذه الليلة. بهذا الشكل ستتمكن من شرح كل شيء لديدي في الصباح».

فتح فمه من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما يقوله.

ثم أومأ برأسه ببساطة تجاه ظهرها المنتصب، ومشى بهدوء خارج المطبخ.

www.rewity.com
RAYAHEEN
www.alkottob.com

١٠ - من يخطف حبيبتي؟

أدار بيير كرسيه حول محوره وحدّق خارج الإفريز الزجاجي لمكتبه نحو المدينة التي خرجت أخيراً من قبضة الشتاء الخانقة. كانت الأشجار قد بدأت تستيقظ من وطأة الفصل المنصرم، وبدأ الناس يشعرون بتأثيرٍ خفيفٍ جداً للدفء في الهواء، بما يكفي لدفعهم إلى التخلي عن معاطفهم السميكة وارتداء ستراتهم. تساءل ما الذي تراها ترتديه جورجي الآن. كم تراها خلعت من طبقات الثياب الشبيهة بملابس الهيبيين حتى تتأقلم مع تغير حرارة الجو؟

هزّ رأسه ثم جرجر أفكاره عائداً إلى ديدي. كانت تلك زيارة ديدي الأولى إلى لندن منذ فترة طويلة. شعر بيير بحماس غير عقلاني بسبب رضاها الواضح عن منزله. منذ ثلاثة أشهر مضت، تقبّلت خبر انفصاله عن جورجي بهدوءٍ غريبٍ. لم يرغب بيير في التعمق بهذه المسألة المثيرة للفوضى بأسرها خشية أن يفتح على نفسه أبواباً مغلقة. في البداية بذل جهده بكل عزم كي لا يذكر جورجي عندما يكلم ديدي هاتفياً. مع ذلك، أخذ الفضول يسيطر عليه، فبدأ يذكر اسمها فجأة في أحاديثهما سائلاً عن حالها، قائلاً لنفسه بكل بساطة إنه يرغب في التأكد أنها على ما يرام وأنها لم تنزلق إلى الإحباط. أما حين أكدت له ديدي أنها سليمة جداً فتابع السؤال عنها، لأنها بحسب رأيه تقبّلت الانفصال بصعوبة، وربما هي تظهر واجهة لا مبالية، لكنها تعاني من الألم الشديد.

بالرغم من أنه أقنع نفسه بأن حياة جورجي لم تعد تهمه، لكنه مع ذلك وجد نفسه يسأل والدته عنها وهما يتمشيان داخل متاجر هارودز بحثاً عن بساطٍ لغرفة جلوس ديدي، بعد أن تخلت عن ذاك البساط القديم الذي كانت تفرشه. في ذلك الوقت بالتحديد بدأ نهاره يتكدر، إذ أخبرته ديدي وهي

شاردة الذهن تمسد إحدى السجادات الفارسية أن جورجي بحالة ممتازة وأنها تقابل أحدهم. تلك إمكانية لم يتوقعها بيير مطلقاً لذا صدمته بشدة. أعلمته بسرورٍ أنهما بديا جديين فعلاً، وبحسب كلماتها فإن الرجل ساحر جداً. ائتمنته ديدي على السر قائلة: «إنه موسيقي».

بينما سألته عن رأيه لاختيار إحدى ثلاث سجادات فأشار بيير بشكلٍ عشوائي إلى أقرب سجادة، ثم حثّها للحصول على التفاصيل بقدر ما استطاع: «أي نوع من الموسيقيين؟»

استطاع أن يسمع السخرية في صوته، فعدّل كلامه مبدياً الاهتمام المؤدب قائلاً: «أتوقع أنه ذو شعر طويل ولديه ثقوب في جسده. لعله يحمل وشماً في مكانٍ ما على ذراعه أيضاً».

لكن لا! إنه عازف في حفلاتٍ موسيقية. لا ثقوب في جسده ولا أوشام، مع أنه - كما اتضح له- ذو شعر طويل أسود، يمشطه إلى الخلف بأسلوبٍ جذاب جداً.

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ بالنسبة إلى بيير، وفيما تابعت والدته بسرورٍ استمتاعها بمناظر لندن، راح هو يقاوم مزاجاً سيئاً متزايداً. والآن ها هي ديدي في طريقها إلى ديفون وعلى الأرجح أنها تأخذ قيلولة وتغفو في المقعد الخلفي من سيارة البنتلي الخاصة به، لأن سائقه سوف يقودها إلى ديارها بعد أن أمضت وقتاً رائعاً. اشترت سجادتين لأن الاختيار بينهما بدا صعباً عليها، بالإضافة إلى عدّة بذلات ربيعية وهدايا صغيرة لجورجي. أما بيير فتصور بتشاؤم أن جورجي سوف تتشاركها مع صديقها الموسيقي الوسيم. نهض عن كرسيه وحملق بالشوارع في الأسفل. ثلاثة أشهر مرت وهو ما يزال يتساءل عما تنوي عليه جورجي. أما الآن، فهو يعلم. إنها تظهر لشخص غيره كم هي امرأة صغيرة حساسة ومليئة بالعواطف. على الأرجح أنهما يخططان سوياً لمختلف الأمور المتعلقة بالمستقبل: الخطوبة، العرس، طفلان وكلبٌ أليف...

أخفض بيير رأسه، فأسنده على النافذة الزجاجية ثم أغمض عينيه.

www.alkottob.com

عندما فتح عينيه كان قد اتخذ قراراً هاماً، فغادر مكتبه مباشرة. بإمكانه أن يستقل المروحية الخاصة بالشركة، لكنه لا يستطيع أن يزعج نفسه بالترتيبات المطلوبة. فضلاً عن ذلك فهو فعلاً بحاجة لأن يقرر ما سوف تكون عليه خطوته التالية لو صفعت جورجي الباب في وجهه، وذلك احتمالٌ وارد جداً إذا ما أخذ بعين الاعتبار موقفه المتعالي تجاهها خلال لقائهما الأخير.

بعد مرور عدة ساعات وصل القطار إلى منطقة يتساقط فيها المطر بثبات متواصل، فتنبه بيير أنه يرتدي قميصه الرسمية البيضاء مع ربطة العنق وسروال البذلة الرسمية من دون السترة التي ربما كانت ستقيه من الطقس السيء المفاجيء. توتر الأعصاب ليس شيئاً مألوفاً بالنسبة إليه، أما الآن فقد سيطر عليه هذا التوتر فجأة. تأمل لبضع ثوانٍ باحتمال أن يدور على أعقابه ويعود إلى المدينة إلّا أنه نفض الفكرة وصرفها من ذهنه بسرعة. أوقف سيارة أجرة خارج محطة القطار وطلب منها أن تقله مباشرةً إلى منزل جورجي.

استغرقت الرحلة أقل من خمس عشرة دقيقة. نزل بيير من سيارة الأجرة في مكان مواجه كي تتسنى له رؤية ذلك الموسيقي مباشرة وهو يغادر منزل جورجي. من خلال الضوء المتجمع في فترة المساء رآه بيير بوضوح. إنه الموسيقي ذو الشعر الأسود الذي لا يمتلك أي ثقوب مرئية في جسده. هو في الواقع يرتدي رداءً عادياً جداً هو عبارة عن سروالٍ باهت اللون، مع كنزة عليها رسمٌ ما تظهر تحتها قبة قميصه. لم تعانقه جورجي عند الباب، لكن لعلها فعلت ذلك للتو منذ قليل. أحسّ بيير بموجة من الغيرة تمزق أعماقه، إنها موجة متوحشة جداً لم يشعر بمثلها من قبل. دسّ في يد سائق سيارة الأجرة كمية كبيرة من الأوراق المالية ثم خطا خارج السيارة بعد أن صفع الباب خلفه محدثاً صوتاً مدوياً جعل جورجي تنظر نحوه بإجفال. هي لم تغلق الباب في وجهه، لكنه شك أنها ربما شعرت بالرغبة لتفعل ذلك. لهذا السبب توجه بيير نحوها مباشرة حتى يوفر على كليهما تلك الرغبة بالتحديد، فعبس عندما جذبت نفسها إلى الوراء برفق. مع ذلك، ما إن وصل بيير

أمامها حتى تغلّف وجهها بقناع من اللباقة والأدب: «مرحباً، بيير! هذه مفاجأة. كيف حالك؟ هل أوصلت ديدي إلى البلدة للتو؟ أظنها قالت لي إن سائقك سوف يعيدها إلى هنا».

لو علمت أن بيير سيكون في الجوار لاتخذت تدابير احترازية للمراوغة والتملص منه. إن الأشهر القليلة الماضية مرت كالكابوس بالنسبة إليها، وآخر شيء تحتاج إليه الآن هو أن يقف بيير أمامها ليزورها زيارة مجاملة.

- ألن تدعيني للدخول؟

وجه لها بيير ابتسامة ملتوية فيما وضع إحدى يديه على الباب، وهي حركة تهديدية نوعاً ما لم تفشل جورجي في ملاحظتها.

- أنا على وشك القيام بتصحيح الفروض الخاصة بالمدرسة، لذا فإن الوقت ليس مناسباً.

خطا بيير نحوها هذه المرة فبدا كأنه يخيفها، وهذا أمرٌ جعله يزداد غضباً.

- حسناً! الآن... هذا ليس بتصرف اجتماعي لائق. أليس كذلك؟

مرّ من أمامها فدخل إلى البهو. إنه قوة لا يمكن زحزحتها الآن. راقبها وهي تغلق الباب وتستند إليه. يا إلهي كم اشتاق إليها! اشتاق إلى أساليبها المحتالة المتميزة... إلى ضحكاتها... إلى مضايقاتها له... كما اشتاق إلى مظهر شعرها الذي يشن حرباً دائمة على الانضباط. لاحظ أنها ترتدي سروالاً من الجينز الباهت اللون مع قميص قطنية طويلة الكمين. فاضطر بيير إلى إغلاق ذهنه ومنعه عن تصور يديه وهما تلامسانها.

سألته جورجي بنبرة حاقدة: «هل تود أن تشرب شيئاً ما؟ يمكنني أن أعدّ لك كوباً من القهوة».

- القهوة ستكون... جيدة.

عندما مشت أمامه متجهة نحو المطبخ استغل بيير الفرصة لينظر حوله بحثاً عن أثر يدل على حبيبها الجديد. من الواضح أن هذا الرجل لم ينصب مخيماً دائماً له في منزلها وإلا لما غادر للتو. لكن ذلك ليس دليلاً كافياً على أنه لم يبدأ بعملية الانتقال.

www.alkottob.com

- يجدر بك أن تسرع، بيير. فأنا فعلاً بحاجة لأن أتابع ما أقوم به.

وقفت جورجي بأدب بالقرب من باب المطبخ وانتظرته.

- أتعلمين شيئاً جورجي؟ انسي أمر القهوة. فقط... أخبريني ما الذي كنت تفعلينه اليوم.

ثنى بيير ذراعيه واستند إلى الحائط.

- أستميحك عذراً؟

- اليوم... ما الذي كنت تفعلينه؟

إذا كانت هذه هي فكرته عن المحادثة العادية بينهما، لماذا إذاً شعرت كما لو أنه هجومٌ مباشر؟ وبما أنها بدأت تستعيد شتات حياتها فلماذا يقوم قلبها بكل تلك الضربات اليائسة؟ قالت جورجي بنبرة قوية: «أريد منك أن ترحل».

أزعجتها حقيقة أن بيير اقتحم طريقه للدخول إلى منزلها وأنه الآن يهدم كل الجهود المضنية التي بذلتها من أجل إعادة حياتها إلى نصابها السابق.

كزّ بيير على أسنانه قائلاً: «لماذا؟ أتتوقعين قدوم زوار؟ أم هل يجدر بي أن أقول زائر ما؟»

- ليست لدي فكرة عما تتكلم.

- أحقاً؟

قال ذلك مستهزئاً فيما مشى بضع خطوات نحوها، وتابع: «لا ترسمي على وجهك تلك التعابير البريئة، جورجي. ديدي أخبرتني كل شيء».

- ديدي... أخبرتك... كل شيء؟

- عن الموسيقي... حب حياتك، ولا تحاولي حتى أن تنكري فقد رأيته وهو يغادر منزلك.

أدرك بيير الآن أنه لا يستطيع التظاهر باللامبالاة وأنه مضطر إلى القيام بأكثر القفزات رعباً في حياته وهي قفزة إيمان وثقة حقيقية. إنه يحب جورجي، وهو مضطر إلى التنازل عن غروره وعزة نفسه وسيطرته على ذاته حتى يخبرها بمشاعره تجاهها. مع أنه أحسّ في مكانٍ ما من أعماقه بأن ذلك

سيكون غير مجدٍ وأنه لن ينال شيئاً. بدأ يكتشف الآن ما يفعله الحب بالمرء: إنه يجرد الرجل من دفاعاته ويجعله مجرداً من كل سلاح أمام قرارات شخصٍ آخر. هزّ برأسه وحملق بجورجي قائلاً: «أنا...».

بدأ يتكلم مجدداً: «جئت إلى هنا لأنني لم أقوَ على تحمل فكرة وجود رجلٍ آخر في حياتك».

فكرت جورجي، لا بد أن هذه هي المرة الأولى التي يحصل فيها ذلك. لقد رأت هذا الرجل الرائع ذو الشخصية المعقدة في مواقف مختلفة، لكنها لم تره أبداً من قبل غير قادرٍ على إيجاد ما يقوله من كلام. لكن... ما الذي ينوي قوله بحق السماء؟

- هل تتكلم عن مايكل؟

- مهما كان اسمه.

- ما الذي تقوله لي، بيير؟ أتقول إنك تُغار؟ لم أظنك تستسلم للغيرة يوماً.

- يبدو أنني أفعل ذلك.

مرّر بيير أنامله من خلال شعره بعدم ارتياح ولاقى عينيها بعينيه مباشرة.

- هل ما فهمته صحيح؟ أنت لا تريدني، لكنك لا تريد أي شخصٍ آخر أن يقترب مني.

- هذا صحيح... جزئياً.

سوف يضطر إلى تجريد روحه. بدا له ذلك كالقفز عن حافة الهاوية.

- أي جزء منه؟

- أنا لا أريد أن يقترب منك أي شخصٍ آخر. إن الحصول عليك هو حقٌ لي جورجي، لأن... لأنني مغرم بك.

راقبها بيير فيما تجمدت جورجي تماماً وانشق فمها جزئياً. تابع قائلاً: «اعتقدت أن ما يدور بيننا هو مجرد... تمثيلية ولهو. أنا لم أرغب بالتعقيدات في حياتي، ولطالما اعتبرت أن العلاقات الغرامية تسبب التعقيدات. لم أشأ أن تقعي في غرامي لأنني تصورت أن مجرى حياتي يسير على ما يرام».

www.alkottob.com

- أأنت مغرمٌ بي؟

- قلت لك ما لدي، فلا تتوقعي أن أركع تحت قدميك وأتوسلك.

أم ماذا تراه سيفعل؟ إنه بكل بساطة لم يعد واثقاً من ذلك، وذاك هو الأمر المذل. تابع يقول: «أنا... ذاك الرجل... قلتِ لي مرة إنك تحبينني...».

أشاح بيير ببصره عنها ونظر نزولاً نحو قدميه، فاستطاع أن يحس بعضلات فكه تطبق بإحكام.

- تعال بيير! أريد أن أريك شيئاً.

خطت جورجي نحوه، ثم وضعت يدها على ذراعه برفق وقالت: «تعال!»

أحسّت كأن قلبها على وشك أن ينفجر، فبدت لها هذه اللحظة دقيقة وهشة جداً كقشور البيض. قادته إلى غرفة الجلوس، فأشارت بيدها الأخرى نحو البيانو الموضوع بالقرب من النافذة الناتئة الصغيرة المطلة على الحديقة الخلفية. سألها بيير بمرارة: «حسناً! أحضر ذلك الرجل البيانو الخاص به إلى هنا... أهذا ما تريدين أن تريه لي؟»

قالت جورجي: «هذا البيانو لي، أما مايكل فهو أستاذي. إنه يدرسني عزف البيانو. كنت بحاجة إلى القيام بشيء جميل في حياتي بعد رحيلك عني. كنت بحاجة إلى ما يلهمني».

- أهو مدرّس البيانو الخاص بك؟ ديدي قالت...

- لعل ديدي كانت شقيّة قليلاً في توصيفها له.

ابتسمت جورجي ومدت يدها لتداعب جانب وجهه، ثم تابعت: «كيف أمكنك أن تتصوّر أبداً أنني أتورط في الحال مع شخصٍ غيرك ما إن تغادر حياتي؟ أنا أحبك، بيير!»

أمسك بيير يدها بيده، فرفعها إلى شفتيه ثم أغمض عينيه، وأبقى فمه مستريحاً هناك لبعض الوقت. قال بخشونة: «اشتقت إليكِ».

قادها نحو الأريكة وجذبها إلى أحضانه. كيف تراه استطاع أن يتصور

يوماً أنه قادرٌ على العيش من دون هذه المرأة التي صممت كي تلائمه بشكلٍ تام؟

- أنا لم أتوقف أبداً عن التفكير بك.

أمسك بيير جورجي بكلتا يديه وعانقها بنعومة، ثم قال: «اعتقدت أن بإمكاني العيش من دونك، لكن الأمر بدا أشبه بالجحيم، وحين جاءت ديدي إلى لندن... أحسست كما لو أن أحدهم ركلني في أحشائي. عندما تصورت أنك مع رجل آخر... أحسست بالغثيان الفعلي».

- لذا جئت إلى هنا.

- هذا ما كان يجدر بي القيام به. لأول مرة في حياتي لم تكن لدي القدرة للسيطرة على تصرفاتي. أنت أخرجتني من منطقتي الآمنة التي حصرت بها نفسي، ثم فقدت الرغبة بالعودة ألى حيث كنت. هل تعلمين أنني أمضيت طيلة فترة الرحلة بالقطار إلى هنا وأنا ممزقٌ بين حاجتي لإطلاعك على مشاعري تجاهك، وبين رغبتي بتمزيق ذاك الموسيقي إرباً إرباً.

ضحكت جورجي وقالت: «تلك الفكرة قد ترعب مايكل أو ربما ستضحكه كثيراً لأن لديه حبيبة».

- وديدي، هل تعرف ذلك؟

- لا! هي فقط علمت أنني أقابله من أجل بعض دروس البيانو. من الواضح أنها قررت تجاهل الحقيقة الأساسية لأجل أهدافها الشائنة. يسرني أنها فعلت ذلك، وإلا على الأرجح ما كنت لتتخذ هذه الخطوة بالمجيء إلى هنا.

أقر بيير بتثاقل: «ربما كنت لأفعل، فحياتي باتت في فوضى عارمة، وقد افتقدتك فيها. أحبك كثيراً إلى درجة أن الأمر يؤلمني».

ضمها إليه من جديد ليعانقها بشغف وقد أحس كأنه يعود إلى دياره... إلى حيث ينتمي. تابع بعد قليل: «أنا لا أرغب بخوض ذلك العذاب الأليم مجدداً. لذا، هلّا تتزوجيْن بي؟»

- فقط حاول أن تمنعني من ذلك!

www.alkottob.com

كادت ديدي تطير فرحاً. أقرت بخجل أنها بالغت في كلامها حتى ترى إذا كانت ستحصل على الرد المرغوب. أما النتيجة فكانت زفافاً صغيراً جرى في كنيسة البلدة بعد ستة أسابيع من عودة بيير. ارتدت جورجي فستاناً بسيطاً عاجي اللون، وحضر الزفاف كل تلاميذ صفها من المدرسة ما جعلها غير قادرة على كبح دموعها.

بعد أن رأى بيير لمحة عن متعة الحياة في الريف قرر أن العيش في المدينة لم يعد يلائمه، لذلك وجد منزلاً ساحراً في بلدة خارج وينشستر. قام هو وجورجي بتخصيص بضعة أيام لتفقد أرجاء المنازل المعروضة، وسرعان ما وجدا منزل أحلامهما.

- يمكنك حتى أن تحضري دجاجاتك إلى هنا، أطفالنا سيحبون اللعب معها.

نظر بيير إلى زوجته الجميلة بمحبة. بعد بضعة أشهر فقط سوف يصبح أباً. تراءت له صورة أطفال يركضون في أرجاء المنزل العتيق الفسيح الامتداد، وعندما نظر إلى زوجته المحبوبة استنتج أنها تفكر مثله تماماً. وقفت جورجي بالقرب من السياج الخشبي الصغير وهي تبتسم باتجاه البحر المضاء بنور القمر.

فيما كانا يمضيان شهر عسلهما الذي تأجل قليلاً، على جزيرة تامة الجمال والروعة في المحيط الهندي، لفّ ذراعيه حولها، فاستندت إلى الوراء لتستند عليه وتنهدت. فكرت أن النعيم لا يقتصر على المناظر الطبيعية المدهشة السالبة للأنفاس، وعلى المياه الزرقاء المتوهجة كالكريستال وعلى الشواطىء ذات الرمال الذهبية الناعمة. إن النعيم هو حيث يكون بيير موجوداً، وسوف يكون كذلك دوماً.

www.alkottob.com